

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR



32101 020616569

2258.4927
'Izz al-Din
al-Shi'r al-Iraqi

[illegible][illegible]

١٢
يوسف عز الدين

الشَّعْبُ الْعِرَاقِيُّ الْحَسَنِيُّ

وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

سأعت وزارة المعارف على نشره

دستورالعمل قانون تجارت

Izz al-Dīn, Yūsuf

al-Shi'ar al-'Irāqī

الشعر العراقي الحديث

وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

الكتور يوسف عز الدين

مدرس الادب الحديث
كلية الآداب - جامعة بغداد

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة أسعد - بغداد
(١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م)

الى

استاذي العلامة محمد خلف الله احمد . .
هدية اكلار واعتراف بجميل الفضل
وسداد التوجيه .

فهرست الشعر العراقي الحديث

الصفحة

٣

المقدمة

الفصل الاول : الشعر العراقي في العهد العثماني

١٣

المجتمع العراقي ومشكلاته

٢١

الاتجاه الاسلامي

٣٢

الدستور العثماني

٤٨

حروب الدولة العثمانية

الفصل الثاني : اثر الحرب العظمى الاولى

٧٥

اهم معارك الحرب العظمى

٨٣

معارك العراق

١١٥

الاحتلال البريطاني

١٢١

الحرب والسلم

الفصل الثالث : الثورة العراقية

١٣٧

ممهّدات الثورة

١٤٦

التحريض على الثورة

١٥٥

المقاومة العلنية

١٧٥

عرش العراق

الفصل الرابع : مشكلات العراق السياسية

١٨٣

حالة العراق العامة بعد الثورة

١٨٩

اثر الانتداب البريطاني

١٩٧

الشعر والمعاهدات والساسة

٢٢٥

عبدالمحسن السعدون

الفصل الخامس : اثر الحياة الاجتماعية في الشعر

٢٤١

مشكلات الحياة الاجتماعية

٢٥٠

مشكلة المرأة

٢٦٧

الفلاح والاقطاع

٢٦٧

مشكلة الجهل

الملاحق :

٢٩٨

المصادر

كشاف

٣٠٩

خلاصة الكتاب باللغة الانكليزية

٣١٢

فهرس الكتاب باللغة الانكليزية

جدول بالخطأ والصواب

هناك بعض الهنات تركناها لفطنة القاريء

الصفحة السطر	الخطأ الصواب	الصفحة السطر	الخطأ الصواب
٨	كانت	٧٠	كانت
٨	أو	٨٤	أو
١٥	الاهليين	٨٩	الاهليين
١٨	بضرورة	٩١	بضرورة
٢٢	كان	٩١	كان
٢٢	أومن	٩٥	أومن
٢٤	كعمل	١٠٠	كعمل
٢٥	نثبت	١٠١	نثبت
٢٦	يرون	١٠٥	يرون
٢٧	الى	١٠٧	الى
٤١	لاحقوه	١١٠	لاحقوه
٤٥	مم	١١٠	مم
٤٧	تفاغلتمو	١١٢	تفاغلتمو
٤٧	تميز	١١٣	تميز
٥١	يكون	١١٣	يكون
٥٧	ليستير	١١٤	ليستير
٥٧	صمتهم	١١٤	صمتهم
٦١	عن	١١٦	عن
٦٢	على	١٣٠	على
٦٢	فعمت	١٣٨	فعمت
٦٢	يوهن	١٤٤	يوهن
٦٤	يكتب البيت كمايلي:	١٤٩	يكتب البيت كمايلي:
فاتركوا	الايعاد	١٤٩	الايعاد
٦٨	من	١٥١	من
٦٨	سوى	١٥١	سوى

الصفحة السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة السطر	الخطأ	الصواب
١٥١	٨	الظبا	الظبي	٢٦٢	٦
١٦١	١٣	عن	من	٢٦٢	١١
١٦٦	١٣	به العدل	العدل	٢٦٤	١٢
١٦٧	١٢	بل	بل لم	٢٦٤	١٣
١٧١	٣	لها مكانتها	لها مكانتهما	٢٦٤	٢١
١٧٣		حتى	وحتى	٢٧٠	٨
١٧٧	١٥	للحاكم	الحاكم	٢٧٢	٢٠
١٩٠	١١	يقبلون	يقبلون	٢٧٢	٢١
١٩٠	١٣	منقوص	منقوض	٢٧٥	٦
٢٠٥	٢٣	والذين واحتقر الذين		٢٧٥	١٨
٢٠٧	٦	سبيلها	سبيلهما	٢٧٧	١٦
٢١٢	١٤	ضوامي	ظوامي	٢٧٩	٥
٢١٦	٤	بنود	مافي بنود	٢٨٠	٢٢
٢١٧	١٧	يشترك	تشترك	٢٨١	٣ و ٤
٢٢٠	١٦	بهن وباسيادهن		٢٨١	١١
		بهم وباسيادهم		٢٨٢	١٧
٢٤٩	١١	انشى	انشا		
٢٥٢	٣	وبين	و	٢٨٣	٩
٢٥٢	٢٣	العطار	العطا	٢١٥	١٥
٢٥٦		يضاف السطر التالى بعد		٢٨٦	٣
		السطر السادس :			
		(العام مستعدا لكانت			
		هذه المظاهرة ضد			
		الرصافي لانه كان			
		اسبق في نشر شعره)			

لك ايها القاريء

الكتاب جزء من كيان الكاتب ، وقبس من روحه ودمه وقلبه ، يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ، ويتعهده بكل ماله من قوة ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور . حتى يستوى على ساقه فتعجب الباحث اصالته ويرضى عنه .

وهذا الكتاب جزء عزيز عليّ فقد صرفت معه احلى سنيّ حياتي راضيا مسرورا ، لاني شغفت بالشعر طفلا ، وزهوت بحفظه يانعا ، ورضيته معبرا عن أحاسيسي شابا يافعا ، ونما معي حب الشعر وموسيقاه ، ونمت معي عواطف الشعراء وأحلامهم ، وكنت منكبا عليها تغمرني اللذة والرضا ، ويدفعني الشوق واخذت اجمع ما يقع بين يدي من مختارات ثم امزقتها عندما ابلغ من العمر مرحلة ، وجمعت دواوين الشعراء على اختلاف انواعها غير مفرق بين قديم وحديث ، حتى جمعت مالم اكن افهمه واطلب شرحه من مدرسي فيضجر من الالحاف ظانا انني امتحن قدرته .

وقد استهواني الرصافي لانه كان ينبض بالحياة التي نحيها ، وكتبت عنه اول بحث في الجامعة . وقد كانت التفاتة كريمة من استاذي العلامة محمد خلف الله احمد عندما أصطفاني طالبا لاكمال الماجستير تحت اشرافه وهو الشاعر الرقيق والدواقة المرفه الاحساس ، واقترح عليّ ان اكتب عن (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) فسرت في هديه ، وتحت دربته ، ووفقت بما بذله لي من عون لا ينسى ، وتوجيه لا يبلى . وسرت في الطريق العلمي حتى وصلت القرن العشرين الذي أحسست بالامه ، وشعرت باوجاعه . فكان كتابي هذا (الشعر العراقي الحديث) الذي كلفني ماكلفني اخوه الاول .

وبدأت قصة هذا الكتاب عندما عدت الى العراق بعد الحصول على الماجستير

فاخذت اطالع الجرائد العراقية من صدورها واتخذتها قاعدتي الاولى في البحث لان ماينشر فيها لا يغير متى اختلفت سياسة الحكومة واتجهت وجهة جديدة . وتبقى قوة الشعر وشعور الشاعر دون تعديل او تغيير حتى اذا غيرها خوفا او رهبة او طمعا . وسافرت الى البصرة في صيف العراق ووجدت في مكتبة باشا اعيان بعض هذه الجرائد وكنت خلال عملي في تفحص الجرائد ابعث برسائل دورية للشعراء صغيرهم وكبيرهم مغمورهم والمشهور منهم واتصلت بمن اعرف منهم - واعرف جلهم - كما اعلنت اعلانات متنوعة في الجرائد والمجلات راجيا فيها الشعراء ان يتفضلوا بمساعدتي ، ومنهم من لم تتح لي الظروف للتشرف بمعرفتهم . ولما انجزت ماقدرت على انجازه في العراق سافرت الى تركيا وبحث في مكتبات الاسطانة وذهبت الى باريس وفتشت في المكتبة الوطنية ومكتبة فرسايل وفي اثناء اقامتي في انكلترا بحثت في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة معهد اللغات الشرقية والافريقية وكانت معي خلاصة اخذتها من مكتبات بيروت والقاهرة والاسكندرية .

وبدأت في كتابة هذا الكتاب باللغة الانكليزية فكانت مشقة جديدة وجهدا عميق الاثر وخير معبر لهذا الجهد ما كتبه لصديق في اول ايام وصولي ل لندن قلت له (اكتب اليك والقلم يهتز فزعا من عميق مشاعري وحينني الى الوطن وسأهتز منه فزعا عندما اكتب بعد ذلك باللغة الانكليزية) فقد كانت الترجمة وخاصة الشعر عسيرة عليّ لاني حاولت نقل احساس الشاعر كما اتحسسها على ان احافظ على الذوق الاوروبي فحاولت ان اترجم حرفيا فلم يكن المعنى واضحا ثم اردت ان اترجم المعاني وكان من العسير عليّ ترجمة التورية والجناس والمحسنات اللغوية الاخرى بسهولة ويسر ، واخيرا مزجت بين الطريقتين فاستقام لي بعض الامر .

وعدت الى العراق بعد ان انهيت دراستي وعكفت على ترجمة ماكتبته باللغة الانكليزية فوجدته سهلا بسيطا اقرب الى لغة العلم منه الى لغة الادب فاضطرت الى اعادة الكتابة مرة اخرى ناسيا التكوين الذهني الذي اكتسبته في اوربا وحاولت ان اجليه عربيا سليما وعساي وفقت .

كان موضوع البحث شائكا لأمرين ، الاول : انه يبحث في امور ماكانت مقبولة رسميا وتجبر كاتبها الى المتاعب ، فقد تطرقت الى الاقطاع والفقر والمرض والجهل وذكرت اثر الاستعمار وموقف الحاكمين منه الذين كانوا في الحكم . والثاني : ان البحث يقدم الى جامعة انكليزية وانا عربي ابحت مشكلات وطني واكتبها للانكليز ، الذين سيقرون مصري ومستقبلي وطالما نصحت ان اترك هذا البحث وان لا اتطرق الى هذه المشكلات او ان اخفف من حقيقتها ولكنني ابيت

الا المضي في الطريق السليم وابرار الحقائق ورسم صورة جلية صادقة عن العصر الذي ادرسه ، حسب طاقتي وقدرتي لأن مشكلات العراق هي مشكلات العرب اجمع ومشكلات الانسانية جمعاء وتفهمها يعجل في حلها . وقد كانت هيئة الامتحان منصفة كل الانصاف فلم تتحيز رغم ما في البحث من حقائق مرة ، واوصت بطبعه تقديرا له ، فضربت مثلا كريما في حرية الفكر وتقديسه .

بعد ان اتخذت الشعر قاعدة استند عليها عولت على توضيح الحياة السياسية والاجتماعية في دراسة التاريخ فوجدت شعر هذه الفترة مثل عصره اوضح تمثيل واصدقه . ووقفت البحث حتى سنة ١٩٣٩ لسببين ، الاول : ظهور اتجاهات جديدة على الشعر العراقي لم تكن متبلورة وكانت في فترة التطور ، والحكم على امر غير ناضج او مستقر لا يقره البحث العلمي ، ثم اتيت لي فرصة لاجراء كتاب آخر عن (الشعر العراقي المعاصر) سأبحث فيه التيارات الشعرية التي عاصرتها وعشت في جوها . والسبب الثاني ، ان العراق بعد هذه الفترة مرّ بازمان سياسية دعت الى اعلان الاحكام العرفية ومنع كل شاعر لايسير في ركاب الحاكمين والاستعمار ان يعبر عن رأيه ، وقيدت الآراء وضغطت على الحريات العامة وهددت المفكرين وساقته الى المعتقلات والسجون من ساقته واتهمت آخرين بتهم شتى ، فعاش الفكر في محنة جرنه الى ركوده وضمور قواه ، فسجل التاريخ فترة تحكم فئة قليلة باكثرية ابناء الشعب محاولة توجيهها نحو الواجهة التي تريدها .

وليس هذا الكتاب كل ما كتبه باللغة الانكليزية فقد شمله الحذف والاطالة ليتناسب والذوق العام ولكنه يحوى الاسس الاولى واتجاهاتها وروحها فهو اكثر منها في بعض اقسامها واصغر منها في جميعها ولا بد من الاشارة الى انني درست تيارات العصر واعتمدت كثيرا على المنشور من الانتاج فان فاتني بعضه فماتركته اهمالا ، ومعدرة لمن لم أعرف عليه .

حسبي انها محاولة من طالب أدب يقدمها للادب العربي الخضم أردت بها ان اخدم أمي ولست بالعالم الذي لا يخطيء او الكامل الذي لا يعتريه الشك ، ولكنني اقولها صريحة انني بذلت جهدي ووضعت عن كاهلي بعض العبء والقي تبعة نقصه على الشعراء والكتاب الذين يجدون فيه ما يقرّبهُ نحو الصواب والحقيقة ولا يفعلون ، سواء في النقد أم في النصيح أم بالتقويم ولست بمستكثر على أحد تقويمي ونقدي ونصحني وسيجدني من الراضين الشاكرين .

ولايسعني الا شكر اولئك الاجاويد الذين مدّوا لي يد المساعدة سواء في

انكلترا ام في العراق مهما كان نوعها سواء كانت اعارة جريدة ام كتاب ام تصليح
ملزمة من الم لازم او جواب على رسالة كتبها له ام مساعدة في الكتابة على الآلة

الكاتبة وهم كثر منهم الاستاذ الجليل الفريد كيوم A. Guillume

والاستاذ آربري A. J. Arberry والاستاذ سارجنت R. B. Serjeant

والاستاذ داود كون D. Cown وجون كوكس J. Cox

وجون براون J. Brown واسرة فراير Frier والدكتور

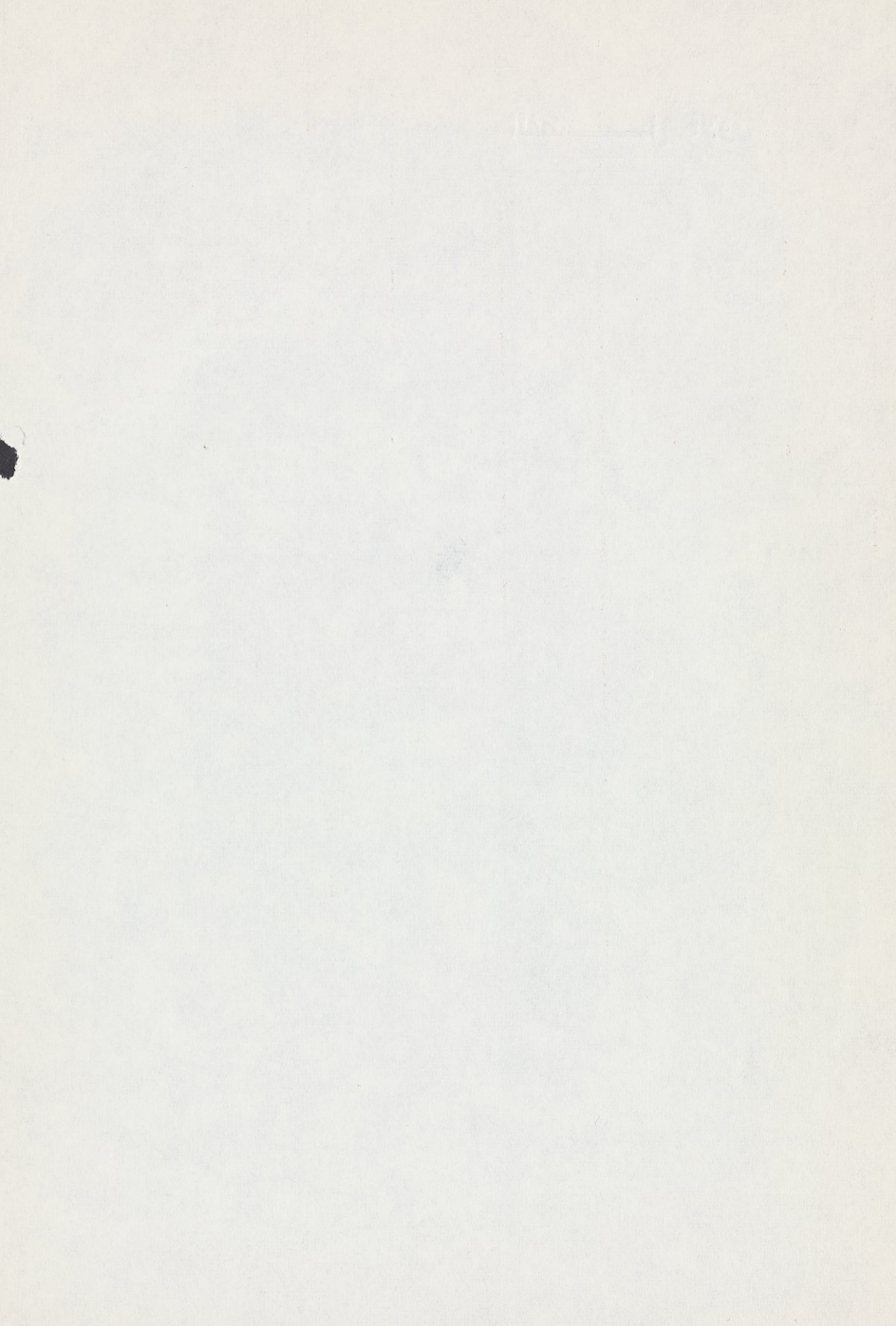
حكمت ابو زيد والاخ العقيد عبدالرحمن التكريتي والاستاذ عبدالستار القره غولي
والدكتور ابراهيم السامرائي والاستاذ احمد ناجي القيسي والاخ يحيى جاسم
والشاعر عبدالرزاق بستانه والشيخ علي الشرقي والاستاذ مصطفى علي
والشيخ فريق مزهر الفرعون ، كما اشكر جميع موظفي المكتبات في لندن وباريس
واستانبول وبغروت والقاهرة ومكتبة المتحف العراقي منهم السيد حكمت فتوح
والآنستين ساجدة العزي وفكتوريا مولود والسيد عبدالمجيد عبد علي .

وختاما ايها القاريء ما انا الا طالب أدب أتحرى الحقيقة جهدي فمعذرة مما
وقع لي من اخطاء ولا تأسف على ما دفعت ثمنا لهذا الكتاب . نرجو الله ان يأخذ
بيدنا نحو السداد بما فيه خير هذا الوطن وهذا الشعب ، فمن اجله نحيا ومن
اجله نبحت ونتحرى عن الحقيقة لنراه رافلا بالسعادة والخير .

يوسف عز الدين

بغداد رجب الاصح سنة ١٣٧٩ الهجرية
مطلع عام ١٩٦٠ الميلادي

الفصل الاول



الشعر العراقي في العهد العثماني

١ - المجتمع العراقي ومشكلاته

٢ - الاتجاه الاسلامي

٣ - الدستور العثماني

٤ - حروب الدولة العثمانية

المجتمع العراقي ومشكلاته

- ١ -

قبل ان ندرس اثر المجتمع والسياسة في الشعر العربي في العراق في هذه الفترة (١٩٠٠ - ١٩١٩) ارى ان نرسم صورة لهذا المجتمع والمشكلات التي كانت تؤثر فيه .

فقد كان الوالى هو الحاكم المطلق الذى يدير سياسة الولاية . ولو انها كانت مصبوعة بالصبغة الاسلامية . بيد ان للوالى الرأى الاول في امور الولاية . وكانت سيطرته تشمل الرياسة العامة على الجماعات مثل رياسة البلدان والمدن والامراء والجيش والقبائل وما شابه ذلك . اما السياسة الخارجية فقد كانت جزءا من سياسة الدولة العثمانية العامة التى تدار من قبل الاستانة مباشرة^(١) .

هذى الثمانى عشرة سنة من حكم الاتراك في العراق لم تكن الا استمرارا لحالة العراق في القرن التاسع عشر وتكاد تكون جزءا لايمكن بتره عنه ، لولا بعض اصلاحات ناظم باشا واثار اليقظة الفكرية المحدودة التى تسربت من أوروبا ولولا اثر الدستور العثمانى .

كان العراق بلدا متأخرا هيمن عليه الجهل وفقد الامن والنظام مخرب الجوانب والجنابات وخير وصف لحالة العراق هو وصف جريدة « صدى

(١) يلاحظ (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) للمؤلف .

بابل « فقد وصفته بأنه بلد حاق الخراب به ، والظلم والخوف والاضطراب
وذكرت القوضى التي حلت به وكيف كانت ضواحي بغداد تسلب وتنهب
وتسرق • وما حاق بالحياة العامة من تأخر^(٢)

وقد لخصت هذه الجريدة حاجات العراق فردتها الى امور رأتها أهم
ركائز الاصلاح احدها الامان وثانيها العدل وثالثها العلم^(٣) ولا ادري ما ابقته
الجريدة فهذا مختصر واف لحاجات البلد المتأخر • ويجب ان اقول ان هذا
التأخر الذي ساد العراق لم يكن غير جزء من تفسخ عام شمل جميع الامبراطورية
العثمانية • فقد كانت الولايات - ومنها بغداد - تباع وتشترى كأية بضاعة
اخرى^(٤) وقد كان هناك سماسرة يتصلون بالراغبين بمثل هذه الصفقات^(٥) فلا
نستغرب ان انحصر هم الوالي في جمع المال الكافي للوصول الى الشراء العاجل
فهو مسؤول عن دفع هدايا مستمرة لاسياده في الاستانة وعليه ان يكون له
اصدقاء يحافظون عليه وعلى مركزه كيلا يعزل^(٦) فهو يبيع لنفسه الاستيلاء على
الاموال واستيفاء الضرائب^(٧) فيتخذ الموظفين قذوة اذ يستوفون
الضرائب دون ان يسجلوها في السجلات وتبقى ديونا على ابناء الشعب^(٨)

٢ (صدى بابل العدد ٤٠ السنة الاولى عام ١٣٢٨ هـ)

٣ (صدى بابل العدد ١/٤٠)

٤ (لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢٧٨ و ٢٧٩)

٥ (غرائب الاغتراب ص ١٨٨)

٦ (غاية المرام حوادث ١٨٠٠ وغرائب الاثر ص ٥١)

٧ (لونكريك ٢٧٨ و ٢٨٩ • يقول ولي الدين يكن وهو كاتب يتعصب
للاتراك ويدافع عنهم عن سرقة اموال الشعب ما يلي :

« فتجبي اموال الرعية بلا حساب فيضيع بعضها في جيب الوالي وبعضها
في جيب من هو فوقه فلا يبقى لبيت مال الدولة الا ما يتصدق به عليه
السارق والناهب • فضالة ينفق جانب منها على طرب الملوك ولذاتهم
وجانب على المقربين من الغرائقة ويبقى الموظف الصغير صفر اليدين او
تدرك امره رحمة فيمد اليه بما يسد به رمقه (المعلوم والمجهول ص ٤٤)

٨ (صدى بابل ١/٤٥)

لذلك فقد انتشرت الرشوة بين الموظفين وتدنى بعضهم الى درجات مضحكة فأخذت تندد بهم جريدة ابابيل في عددها الثامن والاربعين بنشر ابيات هزلية تسخر من هؤلاء المرتشين وتطالب بالاصلاح العام معتمدة على اعلان الدستور الذى من اهم مواده الاصلاح ومحاربة الارشاء المنتشر في انحاء الدولة والايات :

اذا ارتشى اليوم (مأمور ببرطيل) اليه ارسلت طيرا من ابابيل
ترمي على راسه شر الحجارة من نوع الفضيحة لامن نوع سجيل
فتترك الوجه منه حين تخجله يحوى بشورا كأمثال التأليل^(٩)

والرشوة سبب من اسباب ضعف الدولة فال موظف المرتشى يكون ضعيفا خائفا لا يقدر على تطبيق النظام مما ساعد على انتشار الفوضى حتى ان الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن دون ان يحملوا معهم ما يقيهم من اذى اللصوص وسطوة الناهيين والسالين^(١٠) بل تجرأ اللصوص على السلب والسرقة علانية ولم يكن يمضى يوم دون سرقة او جرح او قتل او سلب^(١١) وقد وجدت عدة رسائل مفتوحة موجهة الى الوالى تشكو ما حل بالولاية من اراقة الدماء وانتهاك الاعراض واغتصاب الحقوق وما عمها من فوضى وخراب ودمار^(١٢) وما كانت شكاوى الاهليين بمجدية لان الوالى ومن بيدهم الامر هم اصحاب المنافع المباشرة وهم اساس هذه الفوضى والرابحون من جرائمها^(١٣) وكثيرا ما ثاروا على الدولة وقطعوا علاقتهم بها وجروا على البلاد الدمار بحروبهم^(١٤) بل ان بعض هؤلاء الولاة كانوا يحرضون الاشرار على تعكير صفو الامن للفوز بالغنائم

٩ (جريدة الرقيب العدد ١/٩٠ يقصد بـ (مأمور) الموظف في الدولة
والبرطيل كلمة تركية معناها الرشوة

١٠ لونكريك ص ٢٥٢

١١ الرقيب العدد ١/١١٥ وفي غمرة النضال ص ٥١

١٢ الرقيب العدد ١/١١٤

١٣ غرائب الاثر ٩٤ وغرائب الاغتراب ص ١٩٩ وتذكرة الشعراء ٣٥

١٤ كما حدث لسليمان باشا القتيلى عام ١٨١٠ ولداود باشا ١٨٣٠

ومصادرة ما بأيدي اللصوص^(١٥) لذلك انكمش الناس في قراهم تاركين العناية بالزراعة والاهتمام بالتجارة فظهر نقصان الغلال في بلد هو من اخصب بلاد العالم واغناها فعمه الغلاء والقحط وتردت حياته الاقتصادية^(١٦)

استمرت جميع مشكلات العراق التي كان يعاني منها في القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ومن هذه المشكلات الاساسية قضية سكان العراق فقد كان اغلبهم من العشائر الذين لهم نظامهم الخاص بهم وكثيرا ما كانت هذه العشائر تتمتع باستقلال ضمن دائرة العشيرة اذ لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليها سيطرة فعلية ، وكثيرا ما تتور العشائر على الحكومة فتتشر الذعر والرعب في النفوس^(١٧) مغتمة ضعف الحكومة في فرض اتاوات وضرائب على بعض المدن اضافة الى بعض المغنم التي تفوز بها عندما تهاجمها دون وازع من نظام يردعها^(١٨) . وقد حاولت الحكومة العثمانية السيطرة عليها ولكنها لم تفلح لتحول رجالها من عصاة الى مواطنين صالحين لانها لم تكن تمهد لهم الوسائل اللازمة ودون ان تبذل اى جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم لها^(١٩) فلا عجب ان كانوا مصدر قلق عام للحكومة وللبلاد يضاف الى ذلك انهم كانوا مسلحين بأسلحة هي اجود واحسن من اسلحة الجيش الذي كان يذهب لقمع حركاتهم^(٢٠)

ولقد كانت المرأة بعيدة عن المجتمع العراقي فقد احتجرت في البيوت اذ لم يكن يسمح لها بالاختلاط مع الرجال وقد كان الوالد يريد ان يتخلص من ابنته مفضلا عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها . فقد كانت ممنوعة من

(١٥) غرائب الاثر ص ٦٧ ولونكريك ص ٣٢٣

(١٦) المصدران السابقان

(١٧) صدى بابل العدد ٩٧ السنة الثانية سنة ١٩١١

(١٨) جريدة الزوراء العدد ١٧٣ السنة الثالثة سنة ١٢٨٧

(١٩) لونكريك الصفحات ١٧١ - ١٧٥ و ٢٨٨ - ٢٩٢

(٢٠) صدى بابل ١٩١١/٢/٩٧

تعلم القراءة والكتابة كيلا توصلها الى اغراض فاسدة^(٢١) وقد كان لاضطراب المجتمع وقلق مثله العليا اثر في حياة الرجل الذي تفككت مثله العليا ولم يعد يردعه الوازع الديني او الخلقى عن ارتكاب الجرائم • فالقبائل كانت تشن الغارات على المدن والايраниون يهددونهم ، وموظفو الحكومة العثمانية نفسها كانوا يسبون النساء ويأخذون السبايا الى الاستانة^(٢٢) لذلك حرص القوم على اخفاء بناتهم خوفا من العار والسبي •

اما الحالة الصحية فقد كانت متردية نتيجة اهمال الدولة لشؤون البلد فلم يكن في بغداد طبيب واحد يشرف على المرضى فغدا العراق مرتعا خصباً للمطاعون الذى كان يفتك دون رحمة ودون ان يقف امامه شيء^(٢٣) حتى غدت الجثث طعاما سائغا تعودت عليه الكلاب^(٢٤)

واذا تلمسنا حالة التعليم في هذه الفترة فلا نجد للتعليم ظلا الا في المساجد في المدن الكبرى وبحدود ضيقة^(٢٥) ولولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف لقضى على اللغة العربية • ولعل ازهى عصر من عصور التعليم هو عصر مدحت باشا غير ان بارقة الامل التى لمعت في عصره

(٢١) تراجع الاصابة في منع النساء من الكتابة (مخطوطة لنعمان الالوسى) ، وديوان التفتاف ، ومجموعة أمثال الموصل ، ليعرف القارئ مدى خوف الآباء واولى الامر من عار البنات

(٢٢) اخذ عاكف باشا بعض النساء العربيات من الحلة اسيرات الى الاناضول راجع مقالا بقلم يوسف رجب عن بدر الرميض في مجلة عالم الغد العدد ١٩٤٥/١/٩ و (الحقائق الناصعة) ٤٣

(٢٣) لونكريك ص ٣١٦

(٢٤) غاية المرام ص ٢٢٧ وحديقة الورود ص ١٣ ونيل المرام ص ٧٩

(٢٥) نشرت جريدة صدى بابل الميزانية في عددها ٢٣٨-٢-١٩١٤ وقد كان مصدر ايراد ميزانية الخزينة في الولاية يتألف من (معارف ويركوسى) أي ضريبة المعارف و (شوصه بدلى) ضريبة الطرق وضرائب اخرى • • ولكن الولاية لم تكن تستفيد شيئا • وهناك ميزانية اخرى توضع في الاستانة مع الميزانية العامة • اما ميزانية الولاية فليست للاستانة دخل فيها

اندثرت بعد ذهابه من بغداد وبقيت الحال مهملة حتى ان الحكومة لم ترصد عام ١٩١٤ للتعليم مبلغا من المال مع انها ارصدت مبالغ للجندرية وللامن العام مهملة شؤون التعليم وكأنه شيء غير ضرورى او يمكن الاستغناء عنه • ولم تجد المطالبة بالاصلاح بضرورة نشر التعليم فتيلًا • ومن الطريف ان الحكومة كانت تدفع للبواب ٥٠٠ قرش وتدفع للمعلم ٢٠٠ قرش (٢٦)

اما اللغة العربية فقد بقيت ممنوعة الاستعمال في الدوائر الرسمية حتى بعد ظهور الدستور العثماني وكانت ترفض العرائض التي تكتب بها بيد ان جريدة الرقيب لم يرضها الحال فقارنت بين حالة العراق وحالة سوريا التي تجيز استعمال اللغة العربية في الدوائر والمراجعات الرسمية فأمر الوالى باستعمال العربية (٢٧) وقد يكون للوالى عذر في ان يكتب له باللغة التركية ليفهمها مباشرة دون ان تكون هذه الرغبة مدعاة لاستعمالها في جميع الدوائر وفي المحاكم • لذلك فقد كان ابناء الشعب يفضلون تعلم التركية لانها السبيل الوحيد للتوظيف والعمل في مصالح الحكومة (٢٨) فلا نعجب اذا وجدنا ان نسبة التعليم لم ترتفع عن ٥٠٪ في جميع انحاء العراق (٢٩)

هذه نظرة عاجلة الى المجتمع العراقى ومشكلاته وجدت من المناسب تقديمها لهذه الفترة ليكون القارئ قد تعرف عليها قبل البدء في دراسة هذه الفترة الادبية، ومنها رأى مقدار التردى الذى حاق بالعراق في جميع نواحيه الاجتماعية، والثقافية، والصحية • وقد سكت الشعب طويلا خوفا او مجاملة للدولة المسلمة حتى ظهرت بوادر الاصلاح وارتفعت صيحاته من كل اطراف العالم ومن ثم بدأت الاراء الجديدة في العدالة والمساواة والحرية تتسرب تارة بوساطة

(٢٦) تنوير الافكار ١/١/١٣٢٨

(٢٧) الرقيب ١١٤ صدر في جمادى الاولى والعدد ١٣٥ صدر في الخامس من

رجب سنة ١٣٢٨

(٢٨) لونكريك ص ٣١٦

(٢٩) المصدر السابق

الجرائد والكتب الواردة من مصر وسوريا وطورا بما تنقله جرائد بغداد من اخبار العالم وآونة بما ينقله العراقيون المسافرون الى الاستانة عند عودتهم بعد احتكاكهم ببناء الامبراطورية العثمانية * هنالك بدأوا يحسون بضرورة الاصلاح والمبادرة الى عمل يفيد الشعب وقد كان منهم المطالب الجريء المستميت ومنهم الهادى المعتدل * * * ومن تلك الصيحات الهادئة ما كانت تنشره جريدة صدى بابل ، اما الجرائد الجريئة فقد كانت الرقيب ، وتنوير الافكار ومن ذلك قولها في احدى مقالاتها (لقد عم عموم التبعة العثمانية ، بل والاجانب حال العراق وما كان يشن تحته من ثقل الاستبداد الذى كان مخيما عليه ضاغطا اياه ، وعلى الخصوص ما كان تجرى فيه من المصائب الناتجة عن استبداد الولاة وكنهم اغلب الامور عن الاستانة * * *) وهذه جرأة وصراحة لم يكن يعهدها اهل العراق فهو تعريض واضح باستبداد الولاة وتزويرهم للاخبار التى ترسل الى الاستانة العاصمة ولم تكتف الجريدة بهذا انما ذكرت بصورة جلية لاتدعو للشك طريقة تزوير هذه الحقائق والاسلوب الذى تكتب فيه هذه التقارير التى تصدر عن الولاية الى مركز الحكم في الاستانة فقالت (ان القتل والنهب والسلب ، واصل الى العيوق ، ولكن الافادات اليومية لايجرر فيها الا ان الامن والراحة العمومية على غاية المرام * * *) (٣٠)

ولابد لنا من ان نذكر هنا بعض المحاولات المشكورة في سبيل الاصلاح ، فناظم باشا كانت له مشاريع كبيرة فقد اتوى شق ثلاثة شوارع في بغداد وحاول تسيير الترام بالكهرباء وبناء جسر حديد وجسرين من خشب وامر بعمل خرائط لشكنات ومستشفيات ثم بدا فعلا ببعض الاصلاحات ، كاصلاح الاسواق وتعديل ونسوية الطرق المؤدية الى ايران تسهيلا لمرور عربات النقل ووضع مخافس للمحافظة وتعيين بعض الموظفين الامناء في الكمرك وتعجيل اعمال التجار وتعيين مأمورين للمبرق والبريد ليلا ونهارا غير ان هذه الاصلاحات لم يكتب لها الاستمرار لانها كانت دائما تصطدم برغبات الحكومة المركزية التى كثيرا ما يضطر لاجلها

الوالى الى ترك العمل او الاستقالة^(٣١) ولم تكن غالبية الموظفين تهمها حركات الإصلاح لان ذلك سيقطع عنها طريق الاثراء غير المشروع ويسد عن جيوبها موارد سهلة مستديمة من اموال الشعب بل لايهمها مطلقا الا خراب البلاد وفساد النظام لضمان عمران بيوتهم^(٣٢) فقد كانت الوظيفة غاية يتوسل بها الموظف الى جمع اكبر قدر من الاموال ومن كان همه الاثراء على حساب الشعب الذى لانربطه به رابطة قوية لن يحاول مطلقا معالجة الامور بصورة جدية ، او ان يبطل اية اهمية لشكوى تأتية من فلاح بائس او عامل محروم اضافة الى ان البحث في الإصلاح والعمل الجدى المثمر المنتج يكلف الموظف الوقت الطويل والتفكير العميق وجهدا ومشقة لا طاقة له بها وكل ما يريده الذهاب الى الديوان او العودة الى البيت او للنزهة^(٣٣)

هذا الانحطاط وهذا التأخر هو الذى دفع الشعراء في اوائل القرن العشرين^(٣٤) الى المطالبة بالتححر والإصلاح متأثرين بالحركات التحررية التى عمت العالم ولم يكونوا في دعواتهم هذه خلال القرن التاسع عشر واوائل العشرين راغبين بالانفصال عن الجامعة العثمانية وانما كانوا يريدون اصلاح الامور العامة تحت ظل الخليفة العثماني لانه الرمز الاسلامي العثماني للوحدة الاسلامية .. ومن ثم اخذت هذه الدعوة طريقا آخر هو الدعوة الى الانفصال وتأسيس دول مستقلة منفصلة عن هذه الرابطة اما الاسلوب الذى سار عليه الادب فهو نهج القرن التاسع عشر العناية بالغة عناية تخرجه الى حد التزويق المجوج الذى تملئه النفس ، اضافة الى ان المواضيع التى قد طرقها الشعراء كانت مواضيع تافهة .. مبالغ فيها مبالغيات تخرج الى الاسفاف ولا سيما المديح والرثاء •

(٣١) صدى بابل الاعداد ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٨ من السنة الاولى ١٣٢٨

١٩٧٠-٢-١٩١١ و ٣٠/١٩١٠

(٢٢) الرقيب العدد ١١٤/١/١٣٢٨ ولونكريك ص ٢٨٢ و ٣١٩

(٢٣) تنوير الافكار ١-١-١٣٢٨

(٢٤) في كتابنا الشعر العراقي في القرن التاسع عشر المطبوع في بغداد ١٩٥٨
تفصيل لحالة الشعر والحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية

الاتجاه الاسلامي

- ٢ -

بقيت الدولة العثمانية - حتى الحرب العظمى الاولى - تحكم البلاد العربية وقد كان السلطان العثماني ممثلاً للشرق والمسلمين ، يقود هذه الشعوب أنى أراد وابن اراد ، ومتى اراد • لسيطرة النزعة الاسلامية على غيرها من النزعات الاخرى بين الشعوب المسلمة والعربية اذ لم تكن الفكرة القومية قد ظهرت بعد ظهوراً شعبياً ولم تكن الفكرة العربية قد تغلغت في النفوس بعد • اذ كان اكثر العرب ينظرون الى الخليفة العثماني على انه ممثل لآمالهم الاسلامية ولم يكن العربي المسلم يأنف من الاعتراف بسيطرة السلطان ولعل الخوف من سيطرة الاوربي الكافر هو الذى جعل هذه الشعوب قوية الالتفاف حول السلطان العثماني فهي ترى الحاكم المسلم خيراً من حاكم لايربطها به أية رابطة وقد اتخذت الدول الاوربية نفس السلاح ودعت الشعوب غير المسلمة الى الثورة والتخلص من حكم المسلمين^(١)

١ (في (الاتجاهات الوطنية) بحث نفيس عن مطامع الدول الاوربية واعمالها ويراجع عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٦٣ - ٧٢

فالفكرة الاسلامية كانت نزعة هذا العصر ومن اراد الخروج عليها والدعوة لغيرها فهو خارج على الدين الاسلامي .. مع ان اكثرية المنادين بالجامعة الاسلامية ليسوا من مؤيدي النفوذ العثماني ، وانما كانوا يفضلونه على سواء من النفوذ الاجنبي مسوقين بالعاطفة الدينية التي تقول انما المؤمنون اخوة .. لذلك فهم يرون الخليفة العثماني الركن القويم الذي تعتمد عليه الوحدة الاسلامية والشعراء جزء من الشعب يعكسون رغباته ويمثلون آمانيه فتراهم في شعرهم قد اتخذوا الخليفة العثماني رمزا للوحدة الاسلامية ، فهم امتدحوا سجاياء وأشادوا بأخلاقه وفضائله ورفعوا ذكره ومجدوا سياسته فجعلوه في مصاف الآلهة لانه يحمي بيضة الاسلام وهو ظل الله في أرضه وهو الذي يدافع عن المسلمين ويقاوم المشركين والكافرين^(٢) وقد بقيت هذه الفكرة مهيمنة سيطرة تكاد تكون تامة على الشعر حتى اعلن الدستور العثماني وبدأت الاحزاب تتشكل وتنتشر الجرائد وابتعد السلطان عبد الحميد عن الحكم .. فهوت قداسة السلطان على الارض فلم يعد الرمز المقدس الذي لاتصل الايدي اليه ولا تنوشه اللسان وبدأ مثل البشر في سيئاته ومزاياء لا يفرق عنهم شيئا .. لذلك فعندما كان هذا السلطان في قوته ونفوذه وسطوته كان الادباء يحاربون كل من سولت له نفسه الخروج على طاعته سواء كان العاصي من العرب او من المسلمين .. فقد كان معنى ذلك انشقاق على الاجماع الاسلامي الذي حاولوا جاهدين الاحتفاظ به وصيانتة .. فهم يريدون في حماية السلطان أن يحموا الوحدة الاسلامية من التبدد والتفريق .

فلا عجب ان نرى بعض الشعراء يتخذون السلطان عبد الحميد رمزا مقدسا يسرون في ركابه فقد أشادوا بالحروب التي أعلنها وطربوا للغزوات التي شنّها وتغنى الشعراء بالانتصارات التي حازها على أعدائه فكان محور الشعر ومداره وحوله يحرق بخور الادب .. وينشر عبير الشعر ، ثم جاء من بعده محمد رشاد فأصابته بقايا هذا البخور الادبي والعبير الشعري !!

(٢) يراجع الشعر العراقي في القرن التاسع عشر فصل مدح السلطان

وقد اشتهر في هذا القرن شعراء كان منهم الذى شب وترعرع ومات في العصر العثماني وهم الذين بحثت شعرهم في كتابي : (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وقسم شب في هذا القرن ولكنه تأثر بالتيارات الفكرية الجديدة وحركات الاصلاح التي انتشرت في ربوع الدولة العثمانية • ومع ذلك فقد بقي ولاؤهم للدولة حيا ونافحوا عن عقيدتهم الاسلامية والتمسك بها ومن هؤلاء الشعراء معروف الرصافي • فانه بالرغم مما كان يراه من انحطاط في أرجاء الدولة وتفشى التأخر بين أبناء الشعب لم يرض للعرب أن يخرجوا على هذه الدولة ، وأن ينظموا المؤتمرات في سبيل هذه الغاية ، فقد أيد حركات الاصلاح التي نادوا بها وطالب بها دون أن تخطر في ذهنه فكرة الانفصال عنها ، كان يريد الاصلاح في اطار الدولة العثمانية لانه يرى الانفصال جريمة كبيرة تقترب ضد الاسلام ويؤدي الى أن يتدخل الاوربي في شؤون المسلمين • لذلك نراه يبارك دعوة الاصلاح التي دعا اليها جماعة من العرب ••• بل انه دعا العرب للانضمام الى هذه الدعوة في قصيدة طويلة منها :

ابلع بني وطني عني مغلفة في طيها كلم في طيها ضرم
ما بالهم لم يفيقوا عن عمايتهم وقد تبلج اصباح المنى لهم^(٣)

ولكنه لما رآهم يطالبون باللامركزية والانفصال عن الدولة وانهم عقدوا مؤتمرهم في فرنسا^(٤) نار عليهم وزادت ثورته عندما ارسل حقي العظم برقية الى جريدة الطمان Le Temps طالبا من الحكومة الفرنسية التدخل في أمر سوريا •• ان هذا الطلب كان دعوة صريحة من العرب المسلمين الى دولة أجنبية استعمارية أن تتدخل في امور دولة مسلمة •• لذلك كانت مهاجمة الرصافي عنيفة دون هوادة •• فقد رآهم في قصيدته انهم أثاروا في البلاد الاسلامية شرا وما قصدوا الاصلاح في دعوتهم هذه وانما أرادوا تهديم الكيان الاسلامي

٣ (ديوان الرصافي الطبعة الثالثة ص ٣٩٣ مصر

٤ (في غمرة النضال - تفصيل عن أهدافهم وأعمالهم ص ١٢٧ - ١٣٠

الشامخ وقد كان شاعرنا حريصا على ابقائه حرصا شديدا لذلك قال لعبد الغني العريسي^(٥) الذي عقد مؤتمر باريس •

قل للعريسي والانباء شائعة والصحف تروي لنا عنه الاعاجيبا
علام تعقد في باريس مؤتمرا ما كنت فيه برأي القوم مندوبا
ويخاطب حقي العظم ويصف عمله كعمل الحمل الذي يطلب المعونة
من الذئب :

وهل تعمد حقي العظم فعلته لما نمي خبرا للطان مكدوبا
اذ راح يستجد الافرنج منتصفا كأنه حمل يستجد الذيبا
ولم يكن يؤلم الشاعر الا عمل حقي العظم الذي يريد أن يفر من سيطرة
اسلامية الى استعمار أجنبي لا تربطه به رابطة ولن يكتفي الفرنسيون بالمساعدة
فقط كما يظن حقي العظم وانما يريدون استعمار الشام بأجمعها وقد تحقق ظن
الرصافي بعد ذلك وصدقت نبوءته فيما بعد لانه ثار عندما عقدوا مؤتمرهم في
باريس وتمنى أن يكون مؤتمرهم في بلد ليست له مطامع استعمارية فهو متفق
معهم في الحاجة الى الاصلاح لكنه يجب ألا يكون في ظل حكومة فرنسا فقال :

لو كان في غير باريس تألبهم ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكن باريس مازالت سياستها ترنو الى الشام تصعيدا وتصوبيا
ولم تزل كل يوم من سياستها تلقى العراقيل فيها والعراقيا
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتها جيش يدك من الشام الاهاضيا^(٦)
وكان الرصافي يدود عن حياض الاسلام والمسلمين لانه ربي تربية دينية ،
وكان من أشد ما يؤلمه اولئك الذين يتخذون من تأخر المسلمين وتخاذلهم سببا
المطعن في الدين الاسلامي ، لذلك يسرد البراهين ويأتي بالادلة ، ويسوق الحجج
ليبعد تهمة التأخر والانحطاط عن الدين الاسلامي نفسه •• فالدين الاسلامي لم يكن
السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية •• وانما كان عاملا قويا في تقدم
المسلمين الاوائل وازدهار المدنية •• وسعادة الانسانية قرونا •• ثم ان واقع

٥ (شنع جمال باشا السفاح عبد الغني العريسي خلال الحرب العظمى الاولى

٦ (ديوان الرصافي ص ٣٩٦

الدين الاسلامي بنصوصه وتعاليمه تثبت ما له من فضائل ومميزات فهو الدين الذى يدعو الى المساواة بين البشر فلا فرق بين غني وفقير أو صعلوك وملك فهم كلهم اخوان متساوون في الحقوق والواجبات ولا فضل لاحدهم على الآخر الا بالاعمال الصالحة وتقوى الله لان الدين الاسلامي في طبيعته لم يخلق طبقات من أبناء البشر ولم يفاضل بين ذوي المجد وبين مقطوعي النسب فقال الرصافي يؤيد رأيه :

وما ترك الاسلام للمرء ميزة على مثله ممن لأدم ينتمي
فليس لشر نقصه حق معدم ولا عربي بخسه فضل أعجم
ولا فخر للانسان الا بسعيه ولا فضل الا بالتقى والتكرم^(٧)

وفي ديوان الرصافي الشيء الكثير من شعر ينافح فيه عن عقيدته * وهناك شاعران آخران ألف كل واحد منهما كتابا في الذب عن الدين الاسلامي هما محمد حبيب العبيدى الموصلى وجميل صدقي الزهاوي *

فالزهاوي آله أن تظهر الدعوة الوهابية لانها دعوة تنادي بشيء جديد يختلف عما ألفه العثمانيون ، انها دعوة تدعو الى قومية عربية وهذا تهديد لكيان الدولة العثمانية فيؤلف (الفجر الصادق) ليهاجم فيه الوهابيين ويقول : الوهابية دعوة رفعت راية العصيان وتجاهرت بوخيم عدوانها وسمى الوهابيين بالجماعة الباغية^(٨) وحفظا للجماعة الاسلامية رأى ان الخلافة لا يشترط فيها أي شرط فلا يجب أن يكون الخليفة اماما ولا معصوما ولا أن يكون علويا أو قرشيا^(٩) كل هذا ليمهد الى القول بأن حكم آل عثمان حكم شرعي ولم يكتف بهذه الشرعية بل يوجب على المسلمين طاعة السلطان العثماني ويعتبر العاصي كافرا لا يؤمن بالنبي ولا بالقرآن حيث يقول :

من كان يؤمن بالنبي محمد وبما أتى من منزل القرآن

٧ (ديوان الرصافي ص ١٣٠)

٨ (الفجر الصادق طبع مصر سنة ١٣٢٣ ١٩٠٥) المقدمة

٩ (الفجر الصادق ص ٧)

علم اليقين بأنه في دينه وجبت عليه طاعة السلطان (١٠) ولسنا بصدد صدق عقيدة الزهاوى أو كذبها بعد أن نتصل من هذا الكتاب وادعى انه اضطر الى تأليفه خوفا من السلطان ولكن يهمنى الكتاب نفسه لانه عكس روح العصر التي كانت تسيطر يومذاك على الكتاب وقد مثل الزهاوى هذا الدور أصدق تمثيل ♦

(×) أما العبيدي فقد كان السبب الذى دعاه الى تأليف كتابه « جبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام » أقوى وأعمق من السبب الذى دعا الزهاوى ♦ لانه رأى أن الوهابيين أرادوا أن ينقوا الدين من شوائبه وانهم دعوا الى الاصلاح العام الشامل ♦ ولكن الخطر كل الخطر في المستعمر الذى يريد أن يقضى على الدين ويهدم الخلافة ♦ لهذا فقد دافع عن الدولة العثمانية التي تمثل عقيدته ودينه ضد مستعمر بعيد عنه في كل شيء ضد بريطانيا التي تريد أن تقضى على الخلافة الاسلامية ♦♦ وقد صرح برأيه هذا قائلا : ان الغرض من تأليف هذا الكتاب الدعوة الى اتحاد المسلمين وتحت رسالة الهلال وقد برهن في الفصلين الثاني والثالث على أن الخلافة الاسلامية قائمة بالدولة العثمانية (١١) وتزول الخلافة بزوال الدولة العثمانية ويرى استحالة قيام خلافة جديدة مكانها ثم يسبغ على الخلافة قدسية في الفصل الاول اذ قال أن الخلافة الاسلامية خلف النبوة بل النبوات وانها واجبة قبل كل واجب ديني ♦♦♦ وعندما يهاجم بريطانيا فهو يهاجمها لانها تريد أن تزيل الدولة الاسلامية من وجه البسيطة والقضاء على الخلافة التي هي كعبة السياسة للمسلمين والرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية (١٢) وفي ظل

(١٠) وقد كان رجال الدين يتقربون الى السلطان بوسائل شتى منها البحث عن الاحاديث المنسوخة وغير الصحيح منها فلا يرون للملوك الا ما كان حثا على طاعتهم مثل قولهم (قلب السلطان بين اصبعي الله يقلبه كيف شاء) وقولهم (الملوك ملهمون) وقولهم (اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة) كل ذلك يفسدون به أخلاق الملوك تقربا الى جفانهم ♦♦ لاحظ (المعلوم والمجهول) مصر سنة ١٩٠٩ ص ٤٣

(١١) × هناك كتاب آخر باسم (جنائيات الانكليز) طبع في بيروت سنة ١٩١٦

(١٢) جبل الاعتصام بيروت ١٩١٦ ص ١٢٠

الوحدة الاسلامية لن تجد فرقاً بين المسلمين فهي قوة واحدة تقف أمام كل اعتداء على المسلمين في أي قطر من الاقطار فاذا دخلت روسيا ايران أو دخلت إيطاليا طرابلس أو حاربت بريطانيا الدولة العثمانية ، نجد القتلى من علماء المسلمين تنشر لتحث المسلمين جميعاً الى محاربة الكفار في ديار الاسلام^(١٣) فالاعتماد على الرابطة الاسلامية معناه اعتماد على شعوب كبيرة لها سيطرتها وقوتها لذلك كان السلطان يحرص كل الحرص على هذه الرابطة لانها الوتر الحساس الذي يضر به العرب والمسلمون . فاذا أرادت الدولة أن تبني اسطولا فتكون الدعوة للمساهمة في هذا البناء باسم الدين وباسم المحافظة عليه فيجد المسلمون لزماً عليهم هذا التبرع وهل هناك من لا يريد أن يحافظ على الدين الاسلامي أو يريد معرضاً لخطر الكفار فلا عجب ان دعا محمد طاهر السماوي النجفي الناس الى التبرع والمؤازرة باسم الدين فقد تصور سير الاسطول في البحر وحده يكفي المسلمين فخراً وعزة ومنعة لذلك من المحتمل أن يتبرع في سبيل انشاءه الصغار والكبار لانه اسطول اسلامي حينما قال :

وبحق المجد قد ناشدكم يا حماة المجد شيخاً وغلاماً

أن تساعدوا في بناء هذا الاسطول لان فيه أبطال المسلمين وأحلافهم وهؤلاء هم الذين أبلوا بلاء حسناً في المعارك عندما فتحوا الاقطار لرفع راية الاسلام وحينما قال :

فيه أبناء الميامين الالى	دوخوا الاعداء حرباً واصطلاماً
من بنى الاسلام أو أحلافهم	كل مشتاق الى الحرب غراماً
فتحوا الامصار قدماً بالضبا	تنفذ الاكباد أو تنقف هاماً ^(١٤)

ولم تكن الروح الاسلامية مقصورة على ناحية من نواحي الشعر او على اتجاه معين وانما كانت مهيمنة على كثير من قصائد الشعر التي كان يمدح بها

١٣) مجلة لغة العرب ج ٧ كانون الثاني ١٩١١

١٤) جريدة الرقيب ١٠٤ السنة الاولى ١٣٢٨هـ

القواد والولاء • فعندما يمدح الشاعر واليا أو قائدا فهو يمدحه لانه يؤازر الخليفة الاسلامي ولانه يد قوة ترمى الاعداء الذين يريدون ان يعتقدوا على اندين الاسلامي • وان السلطان العثماني هو الخليفة وانه امير المؤمنين وهو انسان لايتخب الا من يجد فيه المقدرة والكفاية الحربية والادارية والفكرية • • ويهتز الشعراء طربا للانتصارات العثمانية ، والحروب التي يفوز بها الجيش العثماني • • لانها حروب في سبيل اعلاء راية الاسلام والمسلمين ومن امثلة ذلك عبدالرحمن البناء^(١٥) فهو يفرح بهذا الانتصار العثماني لان الانتصار فيه حفظ لمركز الخلافة فقال :

حافظوا مركز الخلافة حتى عاد ماحاول العدى مستحيلا^(١٦)

ومثله الشاعر علي البناء^(١٧) فقد مدح القائد خليل باشا في معركة الكوت^(١٨) لانه رأى الجيش الاسلامي العثماني الذي يقوده خليل باشا قد انتصر على جيش الكفار الذين يريدون كسر راية المسلمين وقد رجع هؤلاء الكافرون خاسئين ذاهلين فقال يخاطب القائد :

لقد خفقت رايات عزك بالنصر واطفأت في ماضي الشبا سورة الكفر
امدك رب العرش في الجند هبة ملأت قلوب الشرك فيهما من الذعر
ثم يهنئ الاسلام بالنصر الذي أحرزه القائد ويطرب للانتصار الذي ناله ثم يمدح السلطان رشاد فخر الاسلام بقوله :

لتهنى بهذا ملة الدين انه سرور بني الاسلام في كل ذى قطر
ونكسى فخارا آل عثمان سرمدا بما فيهم قد شد للدين من ازر
وسلطانها الغازي رشاد عمادها وفخر بني الاسلام بل مفخر الفخر^(١٩)

(١٥) لايعد عبدالرحمن البناء من شعراء الطبقة المحدودة فهو ذو قابلية شعرية فياضة ولكن لم تقدر له ظروف المعرفة العالية والدراسة المنظمة

(١٦) جريدة صدى الاسلام ٢١٥/١/٣٣٤هـ

(١٧) لم يكن من الشعراء المشهورين

(١٨) سنتحدث عن هذا مفصلا في فصل تال في حروب الدولة العثمانية

(١٩) صدى الاسلام ٢٦٦ في ٣ شعبان ١٣٣٤هـ

ولم تكن هذه الروح الاسلامية مقصورة على شعراء بغداد الذين لهم اتصال مباشر بمركز الحكومة وقد تكون لهم مصالح خاصة انما كان ذلك في جميع انحاء العراق دون فرق بين الطوائف والقوميات فقد تغلبت النزعة الاسلامية على كل نزعة ووقفت كل الطوائف الاسلامية بشهامة تناصر الدولة العثمانية في جميع حروبها • فعندما اعلن الجهاد في الحرب العظمى على خصوم الدولة العثمانية كان العلماء الاعلام يحضرون الشعب على الدفاع عن الدين الاسلامي فقد نظم كاظم آل نوح خطيب الكاظمية قصيدة تشيد بالانتصارات العثمانية لانها تمثل انتصارات المسلمين فيقول متسائلا :

احرز المسلمون في هذه الحر ب انتصارا لم ينس في كل جيل
أهيل الناقوس تغلب في الحر ب اهيل التكبير والتهليل

ثم ينظر بازدياء الى جيش الكفر الذي يحارب العثمانيين ويصفهم بأنهم كالسوام التي تريد ان تحارب الاسود ولكنها عادت فاشلة :

من هم الكفر انما هم سوام أفتخشى السوام اسد الغيل
قفل الكفر عن اسود الغيل خاسئا ذاهلا باثر قفول (٢٠)

ومن الشعراء المشهورين الذين ناصروا الجيش العثماني من النجف الاشرف محمد علي اليعقوبي حيث أسماه الجيش الاسلامي الذي يحرس الدين والوطن ويشيد ركن الايمان فترتفع ذرى الاسلام شامخة :

حييت في الحرب بنصر الرحمن يا كاليء الدين وحامي الاوطان
شيدت في بيشك ركن الايمان واصبح الاسلام عالى شان
ومجدنا عاد رفيع البيان (٢١)

ولم تكن هذه المناصرة مقصورة على شاعر او طبقة فقد نظم في هذا الباب محمد مهدي البصير ومحمد رضا الشيبلي وكاظم الدجيلي كما سنراه مفصلا • فقد قال البصير مخاطبا وزير الحربية العثمانية انور باشا عندما زار العراق

(٢٠) صدى الاسلام ١٣٣٤/١/١٥٨ هـ

(٢١) صدى الاسلام العدد ١٣٣٤/١/١٧٢ هـ

كم وقفة لك دون ملة احمد فيها برأيك بل بسيفك تنصر (٢٢)
وبقى الحنين طويلا نحو الدولة العثمانية لانها تمثل الاتجاه الاسلامي حتى
بعد افول نجم هذه الدولة واندحارها واحتلال الانكليز العراق ، فقد نظم كاظم
الدجيلي قصيدة يؤيد فيها الملك حسين لكنه عطف على الدولة العثمانية بقلب ملؤ ،
الاسى والاسف والحسرة لما حاق بها ولم يكثر بما سيلقاه من الدولة الانكليزية
مع ان القصيدة قد نشرت زمن الاحتلال البريطاني فقال :

سلام على ابناء عثمان وافـــــر فدولتهم اضحت بايدي مواليهـــــا
ثم يهيب باني الدولة العثمانية واشهر سلاطينها بان يقوموا من قبورهم
لان دولتهم اصبحت بيد الاعداء وان عاصمتهم غدت محتلة من قبل الاجانب :
اعثمان قم وانظر الى الملك مهملا فدولتك العليا قد انحطت عليها
أفأتح اسطنبول فانهض لحفظها فقد حكمت فيها عداك مواضيها
غزتها رجال كنت تغزو بلادها وتفتحها قهرا فسموك غازيها
سليمان فاجلس للغزاء فدولة تكفلتها قد مات بعدك حاميهـــــا
واصبح فيها ضاحك السن باكيا ومادحها بالامس ذا اليوم رائيها (٢٣)

وقد قال السيد عبدالمطلب ان العرب والترك اخوان يجمعهم الدين وللا تراك
فضل لانهم قد حموا الدين من الكافرين فخطب العرب بقوله :

اقول للعرب ان الترك اخوتكم والدين اما لكم اضحى معا وأبا
ماذا الذي قد نقمتم منهم وهمو في اول الدهر شادوا للهدى قيبا
هم الذين أقاموا الدين في قضب في حدها عاد جبل الكفر منقضا
وحطموا بالضبا الاوثان وانصلتوا الى الكنائس حتى حطموا الصلبا (٢٤)

وقد خاطب الشيبسي معاتبا الاتراك على ما قدموه من اساءات وكيف

(٢٢) صدى الاسلام العدد ١٨٣ من السنة نفسها

(٢٣) دار السلام العدد الاول السنة الاولى سنة ١٩١٨ ونشرت بتوقيع ك. د.

(٢٤) شعراء الحلقة ج ٣ ص ٢٠٩

ان العراقيين صفحوا عنهم وعن زلاتهم كل ذلك حتى لا تتفرق الوحدة
الاسلامية التي تربطهم بها مع ما قتلوا وشنقوا واسروا^(٢٥) وقد كان الرصافي صريحا
كل الصراحة في ندب ايام الدولة العثمانية وقد اظهر وفاء لايامهم مع انه يلومهم
لانهم فرطوا في حقوق العراق وتركوه نهبا بيد العدو اذ راح يملأ نفس الشعب
املا بعودة العثمانيين لانقاذهم من الاستعمار البريطاني ، فقد فضل ان يبقى العراق
عثمانيا على ان يكون مستعمرة بريطانية فقال يرد على سليمان نظيف الذي
يعاتب العراقيين على لسان دجلة :

انا باق على الوفاء وان كا نت بقلبي ممن احب جراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغيهم شكايتي يارياح^(٢٦)

ويتحسر الزهاوي على ايامه التي قضاها في زمن الدولة العثمانية فيقول :

اين عزري في دولة الانراك انا مما فقدته انا باكي
كنت بالامس راضيا عن حياتي وانا اليوم من حياتي شاكي^(٢٧)

ولم تخمد الروح الاسلامية وقد بقيت مهيمنة على نفوس العراقيين طويلا
حتى بعد ظهور الروح القومية وفشل الجامعة الاسلامية ويأس دعائها من تحقيقها
ومن الشعراء الذين لهم اثر كبير في تاريخ الادب في العراق الرصافي فهو من
الذين لم يتغير في رأيه وعقيدته فقد نظم قصيدة في الحرب العالمية الثانية يقول
فيها :

قل لمن رام صدعنا بشقاق انت كالوعل ناطح الصفوان
ويلك ان الاسلام اوجد فينا وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا منها بجبل وثيق هو جبل الاخاء والايمان
ليس معنى توحيدنا الله الا اتحدانا في الكيان^(٢٨)

(٢٥) ديوان الشيببي ص ٢٦ - ٢٩

(٢٦) ديوان الرصافي ص ٤١١

(٢٧) اللباب ص ٦٥ بغداد ١٩٢٨

(٢٨) ديوان الرصافي ص ٤٦٧ وقد أخبرني سيادة الاستاذ مصطفى علي انها
نظمت بعد الحرب العالمية الثانية

الدستور العثماني

- ٣ -

كان اعلان الدستور العثماني بداية عهد جديد في التفكير العربي عامة والعراقي خاصة فقد اثر كثيرا في تغيير الاتجاه العقلي وفتح الازهان على مثل جديدة والفاظ حديثة لم تكن مألوفة لاهل القرن التاسع عشر وما نشأوا عليه من استبداد مطلق وتحكم في رقاب الناس ، فقد تفاعل الشعب به كثيرا في ارجاء الامبراطورية العثمانية وظنه يخضب الارض ويشري الفقير ويكسى العريان ويشبع الجائع ويطلق للناس حرية كاملة في التعبير عن آرائهم بصورة مطلقة لاتحدوها قيود ولا تقف امامها حدود .

اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ فكان صدى اعلانه كبيرا على الشعب وخاصة الشعراء فقد فرحوا فرحا شديدا به وبدت علائم الفرحة تسري في شعرهم وقد انقسم هؤلاء الشعراء الى قسمين او اتجاهين :

الاتجاه الاول وقد ضم جماعة ممن عاشوا على التراث التقليدي وهوامتداد للقرن التاسع عشر في اسلوبه ومعالجته للموضوع فوجدنا في شعرهم المبالغة ورصف الالفاظ ، والاطالة التي تطفح بحشو يخرجهم عن الموضوع الذي نظموا فيه فقد يبدأون القصيدة بالغزل او بمدح انسان ويبعدون عن الموضوع كثيرا وعن اساسه ومن امثلة هذا الاتجاه حسن العذارى ، وصالح الحلي ويكاد ينضم تحت هذا اكثر شعراء النجف .

والاتجاه الثانى انبثقت تياراته من شعراء ابتعدوا عن اجواء المساجد والبيئات الدينية الصرفة وانضموا الى ركب الحياة الواقعية وفي هذا الاتجاه وجدنا بذور التطور الحديث تنمو في اسلوب الشعر ومعانيه واغراضه واهدافه • وقد كان هؤلاء من الشباب المندفع الذي اوتي حرارة الشباب وحماسة العمر فأيدوا الدستور باندفاع ، فقد أخذ الزهاوي والرصافي يخطبان في الناس ويشرحان لهم فوائد الدستور^(١) وقد كان محمد رضا الشيبسي عضوا من أعضاء حزب الاتحاد والترقي العاملين^(٢) كما انضم الازري الى حزب الائتلاف^(٣) والواقع ان الشعراء آزرُوا الدستور العثماني آملين فيه المساواة مع الامم الاخرى ، والحرية للتعبير عن آرائهم ، والعدالة التي يجب أن تشمل بلادهم^(٤) فجاء شعرهم أناشيد تطفح بالحرية والتغني بمحاسنها ومزاياها وما ستدره على الناس من خير ، ثم تطرقوا في شعرهم الى مساوئ الاستبداد والظغيان والحكم المطلق ، الحكم الدكتاتوري الفردي ، الذى يؤدي دائما الى الانحلال والتقهقر ونشر الفساد وهدر قيمة الشعب في جميع الامور والاعتداد بشخصية الحاكم مهما كانت تافهة جاهلة •

ومن أمثلة شعراء الاتجاه التقليدي السيد عبدالمطلب الحلبي فقد وجدت له قصيدة يندد فيها بالعهد الاستبدادي الذى كان مخيما على الشعب وما جره هذا العهد على البلد من فساد وفوضى ثم يشيد بالعهد الدستوري الجديد • والقصيدة تطفح بالمبالغة ويكثر فيها الحشو وتعتمد على المحسنات اللفظية ففي الابيات الثلاثة التالية يقول :

- (١) سحر الشعر ص ٥٢ مصر ١٩٢٢
- (٢) معروف الرصافي - طباعة - ص ٧ مصر ١٩٤٧
- (٣) الادب المصري ج ٢ ص ٥١
- (٤) ومن هؤلاء خيرى الهنداوي فقد وقف قلمه على نظم القصائد وكتابة الفصول في تحبيد الحرية والدعوة لها - الادب المصري ج ٢ ص ١٦٢

لك الامر فاحكم بالذى أنت عالم
عن القائم المهدي قمت بأمره
فمن ذا يرد الحكم والله حاكم
أيا قائما أنهى له الامر قائم
عزمت فأغرمت المليك وقد نجا
بحق الهدى والمتلف الشيء غارم

في الايات جناس اشتقاق بين حكم وحاكم ... و جناس تام بين القائم
المهدي الامام الثاني عشر والقائم الممدوح ... وفي الفعلين عزم واغرم جناس
تصحيف في حرفين .. ثم نجد الطباق والمقابلة في المتلف والغارم ... الخ ذلك
ويستمر في القصيدة على هذا النسق الى أن يصل الى القصد فيهاجم الجور،
الظلم ، والاستبداد ، الذي يحطم المستبد كما حطم عبد الحميد الذي لو
عدل بين الرعية وسواى بينهم ونشر لواء الحرية والمساواة لما أصبح رهين القيد
كسيرا ذليلا وبعد ذلك يتطرق الى مدح اولئك الذين أفاءوا على الشعب بالحرية
والعزة وهم اعضاء جمعية الاتحاد والترقي^(٥) الذين زحفوا من سلانيك بعزم وقوة
وايمان لارغام الجبار على التسليم بحقوق الامة فيقول :

فهب رجال من (سلانيك) أيقظت
رجال هم الاسد الضراغم صولة
الى العدل عين الحزم والحزم نائم
لدى الروح لا اسد العرين الضراغم
دعو للتساوي دعوة وطنية
أجاب لها منهم جهول وعالم^(٦)

ويمتدح بعد ذلك الخليفة الجديد محمد رشاد آملا في عصره الخير والرفاه
والسعادة ولا يخرج عن اسلوب القرن التاسع عشر من حيث العناية بالالفاظ فيقول
انه بيض وجه الملك الذى سودته المظالم وأصبح نغر الليالى مبتسما ...

٥ (بشأن حركة الاتحاد والترقي يراجع المقال
The Young Turk Movement

في كتاب صدر في نيويورك عام ١٩٢٤ اسمه : Modern Turkey
وقد ألف من قبل Eliot G. Mears الصفحات ما بين ٤٧٦ - ٤٩٠
٦ (شعراء الحلة للخاقاني - ٢٢٣ - ٢٢٦ ج ٣ نجف ١٩٥٢ وله قصيدة اخرى
يمدح فيها الاتحاد والترقي ص ٢٠٩ ويراجع تفصيل طريف في الفصل
الثاني عشر من كتاب (عبد الحميد ظل الله على الارض)

أما الشاعر الآخر الذي نأخذه مثلاً لهذه الطبقة فهو الشيخ حسن العذارى فقد بدأ قصيدته بغزل متكلف ليس فيه روح وتأبى الروح أن تسري في أوصاله ثم يتخلص منه الى مدح السلطان محمد رشاد ويراه بدر الخلافة ينير الدولة العثمانية ويشير الامة بأن عهده عهد العدالة ومحق الظلم وقد تساوى في زمنه الشعب أو الرعية ثم يطيل في قصيدته ويخلص الى مدح حزب الاتحاد والترقي الحزب القوي الامين الوطني المخلص الذي قضى على استبداد عبدالحميد وعلى أيامه فيقول :

ما الانتظار وما القعود ذوي النهى شرف (الترقى) بابه لا توقب
لا تقعدوا متكاسلين عن العـلا من شاء أن يصل الغزاة يتعب^(٧)

أما الاتجاه الشعري الثاني الذي ناصر الدستور فهو اتجاه العصر السندي كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء ومن هؤلاء معروف الرصافي الذي نظم كثيراً^(٨) في الدستور وناصره مناصرة المؤمن به الحريص عليه فوصف يوم اعلانه وكيف استقبل الناس هذا الاعلان ووصف مشاعره وتطرق في شعره الى مجلس المبعوثان وما يأمل على يد هذا المجلس من الخير للشعب ثم هاجم السلطان عبدالحميد ممثلاً للاستبداد والحكم المطلق والجور والطغيان ثم ناصر الجيش الذي عزل هذا السلطان وقضى على حركة الرجعية التي أرادت بالبلاد الشر والفساد وأرادت القضاء على الدستور • وعندما لم يطبق الاتحاديون نصوص الدستور ولم يرفعوا حقوقه شكا اليه بحرقة وألم مما حاق به وبالبلاد من عدم تطبيق أحكامه ، ولما سقطت وزارة الاتحاديين سجل هذا بقصيدة • ويكاد الرصافي ان يكون المؤرخ العراقي لهذه الفترة من حياة الامة • هذه الفترة الحافلة ، فترة نضال بين شعب يريد ان يسترد حريته وبين رجعية تريد أن تنقض عليه وتستعبده خادماً مطيعاً ذليلاً • • لذلك كانت أفراح الرصافي أفراح شعب أو أفراح شعوب في الشرق أو في الغرب عندما فرح بالدستور • • وغنت الدنيا طرباً به • • عندما زف رجال الجيش هذا

(٧) شعراء الحلقة ٦١ - ٦٥

(٨) لاحظ ديوان الرصافي الصفحات ١١٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٣

الدستور للشعب •• فأقبل الشعب شاكرا راضيا فقال :

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلا بما زفت وشكرا لمن زفا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرا وقد كان قبل اليوم لايشكر السيفا
ورحنا نشاوى العز يهتف بعضنا ببعض هتافا يصعق الظلم والحيفا
ولاحت لنا حرية العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفا^(٩)

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي في مهجره بالاشادة بالدستور بقصيدة طويلة
جاوزت المئة بيت فقد رأى الدستور خفاق اللواء وان ذكره العاطر قد انتشر بين
المحافل ، وتبرز لنا اشواق الكاظمي للدستور شعور الناس وما انتابهم من غبطة
وسرور بهذا الاعلان وبذلك قد ثبت ان جميع أبناء الدولة العثمانية أو رعاياها
قد فرحوا بهذا الاعلان آمليين خيرهم وسعادتهم •• وقد رسم الكاظمي صورة
طريفة وصف فيها مشاعر الناس وحالهم بعد ما تخلصوا من العبودية •• وغدوا
جميعا اخوانا وصفهم وهم يتعانقون ويصافح بعضهم البعض •• شأن كل عمل
خير يعود على الامة فيوحد بينها •• وتطغى على الشاعر الفرحه وموجة التفاؤل ••
فيوجب احياء الليل والنهار في هذا العيد الذي لا يدانيه عيد انه عيد الانسانية جمعاء
عيد الحرية وما أجمله من عيد فيقول :

هو العيد أحيوا ليله ونهاره وحيوه بالبشر الذي هو لائق
وما مثل هذا العيد عيد تجلج جميع الورى أعداؤه والاصادق^(١٠)

فرح الكاظمي وهو في مصر وكانت مصر منقطعة الصلة السياسية بالعاصمة
الا بالاسم فراح يهتف باسم الشعب ويهتف للحرية التي ستعم العثمانيين وغير
العثمانيين لان الاقلام ستكون طليقة حرة تكتب ما تريد وتعبر عن الرغبات

٩ (ديوان الرصافي ص ١١٣)

١٠ (مجموعة شعر الكاظمي ج ٢ ص ١٢٦ - مصر ١٩٤٨)

بصراحة وبأمانة لا تخاف من السلطان ولا من أعوانه وبذلك فقد دالت دولة
الظلم بعد أن قاسى الشعب من ارهاقها ما قاساه من الآلام وعانى ما عاناه من تحمل
الذل والهوان ثم يصف الثقة بالمصلحين وبما يحققه الدستور للشعب بقوله :

ولما تبدى للعيان تيقنوا بأن بروق المصلحين صوادق
إذا ما دعوا للحق صمت وجلجلت مسامع أخزاها الهوى ومناطق
أجابوا نداء الشعب رغم انوفهم وقالوا سلاما والصدور حوانق^(١١)

وقد سرّت ثورة حزب الاتحاد والترقي على السلطان محمد رضا الشيبى
لأنه يرى ان الثورة تحقق مطالب الشعب باعلان الدستور ، لان الدستور كالنور
الذى ينبعث في الظلمة الحالكة فيحيلها علما واضحا مشرقا جميلا بعيدا عن الاشباح
والمخاوف • فتعم الفرحة الشعب بهذه الاشراق الحية وتخطر النجوم فرحا
وابتهاجا بالدستور •• وكيف لا تضحك البحار وتبتسم النجوم وتشرق الدنيا
وقد تحرر العبد وانتشرت الحرية بين الشعب

طرقت وضاحية النهار دجنة والحر عبء ، والدنى أملاك
فاضاء عنها البرق ينبض عرقه سلكا عليه حلى السنا أسلاك
ضحك المحيط لوقعها وتبسمت عن ثغر أنجمها لها الافلاك^(١٢)

أما الزهاوي فيلقي خطبة طويلة بعد اعلان الدستور عندما تعقد جمعية
الاتحاد والترقي في بغداد اجتماعا ويرى ان الدستور العثماني قد حقق العدالة
ثم يصف هذه العدالة بالفتاة الجميلة وقد تجمع حولها الاحرار يحمونها من
المعتدين والمستبدين ثم يتطرق الى فضل الحرية على الامة التي تطلق الشعب من
أساره فلا يعرف الذل الدائم عندما تنشر ألويتها ويعرج على الظلم يندد به ويهاجم
الظالمين الذين يسوقون الشعب بالسوط ويحكمونه بقوة الحديد ويسخرونه دون
أن يراعوا له عاطفة او احساسا فيقول :

(١١) المصدر السابق ص ١٢٩

(١٢) ديوان الشيبى ص ٥٢ طبع مصر سنة ١٩٤٠

والظلم مفسدة ما حل في بلد
قد أعلنت للورى حرية فمضى
وأطلقت كل نفس من أسسارتها
الا وأزعج فيه أي ازعاج
زمان سخرة ذي أمر وقرباج (١٣)
هذا الذى كان يرجو نيله الراجي (١٤)

وللزهاوي قصيدة اخرى بلغت خمسين بيتا نظمها بعد اعلان الدستور
وموت صديقه وزير الحرية رجب باشا وفيها تطرق الى شعار الاتحاديين (الحرية
والعدالة والمساواة) وأثر هذا الشعار في حالة الشعب ويقف عند العدل ويشبهه
بالغاية الجميلة التي تحلت بالاحجار الكريمة فبدت زاهية حالية (١٥)

ومن الذين عقدوا الآمال الجسام وطربوا طربا شديدا عبدالرحمن البناء
فقد رأى الحرية فتاة حلوة الشمائل رقيقة السجيا لطيفة المزايا وانها ستعمر
الشعب بهذه المحاسن وضمن شعره بكلمة مشروطة التي اخذها من المشروطة (١٦)
التي يرى العدل بها منتشرا والجور موليا الادبار ناجيا هاربا من العدل الساطع
الانوار *

أما ابراهيم منيب الباجهجي فقد نظر من زاوية اخرى زاوية الاحزاب فقد
رأى الدستور يهدم بناء المفسدين بعد أن شاد الاحرار مجدهم شامخ السدى
سامقا بين الشعوب وان دولة الاسلام ارتفع نجمها بين الامم لان يوم الدستور هو
عيد الشعب ، وهل غير الحرية والدستور من أمانى هذا الشعب حين قال :

يوم تهدم ركن المفسدين به
وقد تشيد للاحرار صرح علا
يوم به خاب حزب المستبد وقد
ولى ونال بنو الشورى به الاملا (١٧)

هكذا كان حال الشعراء الذين عكسوا أفراح الشعب وأمانيه وأحلامه في
الدستور وفرحوا بالانقلاب الجديد واصفين بشعرهم ما كان للدستور من أثر في

(١٢) القرباج - السوط - تركية -

(١٤) الكلم المنظوم بيروت ١٣٢٨ ص ١٨٣

(١٥) الكلم المنظوم ص ١٨٥ وديوان الزهاوى ٢٧٤ و ٢٧٥

(١٦) صدى بابل العدد ١/٥٥ شعبان ١٣٢٨ هـ

(١٧) زنايق الحقل طبع بغداد ١٩٣٩ ص ١٢٠

جميع الشعوب من مختلف الاجناس ومتنوع الاديان والقوميات •• لان الدستور معناه المساواة بين الناس دون النظر الى أي اعتبار الا كونهم مواطنين ، بيد أن عبد الحميد نكث بعهدده الذي قطعه في المحافظة على الدستور وأغرى الصحف بمهاجمته وتلمس الاسباب المفتعلة للقضاء عليه معتمدا على بعض رجال الدين للقيام بحركة رجعية • مما دفع بالجيش الى أن يستعمل القوة ويدخل الاستانة ويحاصر قصر عبد الحميد (يلدز) ويشتبك مع رجال عبد الحميد ويحمل السلطان على التسليم ويقبض على أنصاره ويعدم عددا منهم ••• وتجتمع الجمعية العمومية فتعزل عبد الحميد وتولى السلطة السلطان محمد رشاد في ٢٧ من نيسان ١٩٠٩ (١٩) •

هذه السياسة الرجعية للقضاء على حقوق الشعب التي حصل عليها تبدو واضحة في شعر هذه الفترة ويبرز اسم الجيش واضحا وينظم الشعراء في تمجيده وتخليده ، ويهاجم الشعراء سياسة عبد الحميد التي انتهجها تلك السياسة الظالمة سياسة التفرد بالحكم وجر البلاد الى الانحطاط والتدهور والتأخر وكبت حريات الشعب ، والتعنم بملذات الحياة ويقف الرصافي على رأس هؤلاء الشعراء العرب فيصف زحف الجيش الذي قدم من سلايك الى الاستانة لقمع الحركة الرجعية التي تناصر حكم السلطان عبد الحميد وتؤيد سياسته (٢٠) • ويصف جنود هذا الجيش الذي وحد الهدف السامي بينهم رغم اختلاف اديانهم وقومياتهم وهل هناك هدف أسمى من الحرية والمساواة والعزة والكرامة ، يوحد الشعوب فتسير من اجله نحو المنية ؟ فيقول :

فكانوا الجيش ألف من جنود مجنودة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزما وما هم فيه متحدين ديننا

- (١٩) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين ، مصر ١٩٥٤ ص ٣٠
(٢٠) في ديوان الرصافي وصف لاحد المشنوقين الرجعيين ص ٢١ ويلاحظ جريدة الرقيب العددين ١٥ و ١٧ من السنة الاولى سنة ١٣٢٧ هـ بصدد حركة بعض القبائل المناصرة السلطان عبد الحميد وقمعها من قبل يوسف باشا • وفيها شعر لمحمد طاهر السماوي •

هي الاوطان تجعل من بينها اخاء في محبتها رصينا
وتتركهم اولى أنف كبارا يرون حياة ذي ذل جنونا
وان الموت خير من حياة يظل المرء فيها مستكينا

لقد رأى الرصافي ان ضياع الدستور وكبت الحريات ونجاح الحركة
الرجعية التي يقوم بها السلطان عبدالحميد ما هي الا العودة بالشعب الى عهد
الاستبداد وتحكم الفرد بالجماعة ايثارا للذته وشهواته ورغبة في اعادة الظلم
والجور والطغيان الى سابق عزه وضراوته على ابناء الشعب فقال :

فقد هاجوا على الدستور شرا بدار الملك كي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مفسدنا

ولكى يضرب مثلا حيا للطفاة ودرسا خالدا للظالمين استمر في وصفه
دخول الجيش الى قصر يلدز والقبض على السلطان عبدالحميد وارساله سجيناً
الى سلاطيك لانه لم يرع حرمة الدستور واليمين التي حلفها من اجل صيانتها فقال:

لقد نقض اليمين وخان فيها فذاق جزاء من نقض اليمين
وقد كانت به البلدان تشقى شقاء من تجبره مهينا
فكم اذكى بها نيران ظلم وكم من اهلها قتل المينا^(٢١)

والرصافي شاعر الحرية لم يكتف بقصيدة واحدة للدفاع عن الشعب وعن
حقوقه انما كان مثلاً حياً ولساناً ناطقاً معبراً خير تعبير عن امانى الشعوب فقد
وقف نفسه في سبيل الذود عن الشعب وعن حريته ومجاربة الجور والحكم
الفردى وفي ديوانه الشعر الغزير ، نظم في مناسبات كثيرة ومن هذه القصائد ما كان
منها قبل اعلان الدستور وبعده^(٢٢) وبذلك الدليل الواضح على ان الشعب كان له

(٢١) ديوان الرصافي القصيدة ص ٣٧٤ - ٣٧٧

(٢٢) لاحظ في ديوان الرصافي الصفحات ٤٥ و ٦٣ و ١١٦-١٢٢ و ١٦٢-١٦٤
و ٣٧٧-٣٨٠

من شعور واحساس بمرارة الظلم والاستبداد قبل ان يوقظ الدستور حماسة بعض الشعراء فيدفعها الى النظم ومن هذه القصائد تلك التي نظمها بعد سقوط عبدالحميد خاطب فيها القصر (يلدز) الذي كان يطفح بالغبطة والسرور والصفاء والى جانبه شعب يفيض بؤسا وشقاء وآلاما * فيخاطب ملوك العالم وطغاته جميعا ويجعل من عبدالحميد مثلا ودرسا يجب على الملوك اتخاذه عبرة حتى لاتسول لهم نفوسهم يوما بالاعتداء على حقوق الشعوب بخنق حرياتهما واهمال مصالحهما لان عاقبة الظلم والطغيان وخيمة تجر على صاحبها الويل ، وما تقييد الملوك لحريات الشعب الا لخوفهم من ثورته التي تركتهم يعيشون في رعب وجزع من هذه الحرية * التي تجرهم الى مصيرهم المحتوم

يا ملوك الانام هلا اعتبرتم	بملوك تجسور في الافعال
ليس عبدالحميد فردا ولكن	كم لعبدالحميد من امثال
فاتركوا الناس مطلقيين والا	عشتم موثقين بالالواح
هل جئتم من التجبر الا	كل اثم عليكم ووبال (٢٣)

وقد كان لاعمال عبدالحميد اثر كبير في نفوس بعض الشعراء فقد لاحقوه حتى في سجنه وتصوره يلوم نفسه حسرة والمأ على ما قدمت يداه ، وما فرط في حقوق الشعوب التي كان يحكمها * ذاكرا تلك الايام العذاب لائما الدهر الذي انزله من عرشه بينما اصبح الذين كانوا رعايا اسياده وحكامه والمتصرفين في امره فيقول ابراهيم منيب الباجه جي

ارقت ومالي مؤنس غير وحشتي	وتسكاب دمع صاعد من حشاشتي
افكر في ماض سعيد قضيتيه	فاعقبه دهري الخؤون بشقوتي (٢٤)
سقاك الحيا يامعهد الانس والمنى	فبعدك شابت بالفراق شبيتي

ويخاطبه عبدالعزيز الجواهرى بقوله :

(٢٣) ديوان الرصافي ٣٧٧-٣٨٠

(٢٤) زنا بق الحقل ص ١٢٧

اراك اسير احزان وقيد
وقد كنت الامير على السرايا
وكنت اراك ترسف في السرور
فكيف رسفت في قيد الاسير
جريت الشر يا شر الدهور
لقد اوغرت صدر الجند حتى
اراك الله عاقبة الغرور^(٢٥)

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي اخوانه في العراق في لوم الاستبداد واعتبر عبدالحميد ممثلا له وان عهده عهد المآسى والاحزان التي انصبت على كل الشعوب التي كان يحكمها .. وبعد ذلك يعرج في القصيدة الى نكت عبدالحميد للعهد الذي اقسمه في حماية الدستور والمحافظة عليه ولا يكتفى بذلك انما يندد بعبدالحميد ويهجو هو واصحابه الذين شنتهم الجيش ويقول لهم ان المطامع الشخصية هي التي سافت هؤلاء الى حتوفهم وكم سقطت من اجل تلك المطامع رؤوس :

حسبت زمان سوء يخلد عمره
وفانك ان الدهر يعطى وينشي
فيمرح عات او يتيه منافق
فيسلب والمغرور بالدهر واثق
بها من عل شيخ وضل مراهق^(٢٦)
الا قاتل الله المطامع كم هوى

ليست العبرة بوضع الانظمة والخطط والدساتير انما العبرة في التطبيق وفي مدى استجابة الشعوب للنظم الجديدة .. ولكن المحتاج تطريه رؤية المال ، ويزيد من طريه ان يقال له ان هذا المال معد لك .. فيبنى الآمال العراض حتى يعتقد ان الامر اصبح حقيقة .. وهذا ماحدث في الدستور العثماني فقد كان الناس بحاجة الى الحرية والمساواة والعدالة وبحاجة الى مايشبع نفوسهم واجسامهم فعندما اعلن الدستور انبثت هذه العواطف تهتف من اعماقها .. تحيي هذا المولود الحبيب الذي سيحقق لها ماتريده .. وقد شملت الفرحة كل فرد في اجزاء الامبراطورية العثمانية .. فكيف لايشمل النواب الذين سيكونون حراسا لهذا الدستور .. ان

(٢٥) الادب العصري ج٢ ص ١٦٦

(٢٦) ديوان الكاظمي ص ١٢٨ - ١٢٩ ج٢

الفرح الواسع والأمل العريض المجنح رسم للناس صوراً خيالية اعتقدوا بانها هي الواقعية • لان ايام الطغيان والاستبداد والسخرة وطولها افقد الناس التمييز الذهني او التوازن العقلي وكانت نقلة الدستور وما اثير حوله من دعاية كافية لترسم للشعوب الخيال واقعا ذهبيا عذبا يفيض بالسعادة ويرفل بالهناء وكأنهم يعيشون في جنات عدن التي وعد بها المتقون •

وهاهم نواب العراق يرون الاصلاح وشيكا وهاهم يتصورون العراق قطرا مزدهرا بالخصب والرخاء والزراعة في ظل العهد الجديد عهد الحرية والمساواة والعدالة ••

يخطب علي علاء الدين في حفل تكريمي لتوديعه قبل سفره الى الاستانة فيقول : « •• اننا والثقة بعونه تعالى وتوفيقه في عزم اكيد على محافظة حقوق القطر العراقي خاصة •• والممالك العثمانية عامة وبذل الجهد فيما يعود على صلاح هذا الوطن العزيز الذي استحكمت فيه الرابطة بين اصناف جميع الرعية كائنا من كان ، فانهم على اختلاف مذاهبهم ، واديانهم ، وتشعب فرقهم ، وآرائهم يرمون الى غاية واحدة ، هي سلامة الوطن باستخلاصه من حضيض التلف الى اوج السعادة والشرف » ولا يكتفى النائب بما ذهب اليه من تفائل يرفع به العراق من الحضيض الى الاوج واسما يشرح الاعمال التي يقوم بها فيقول (علينا التوصل بكل وسيلة الى ما يعود اسعاده الخطة العراقية التي لها من عظيم الاهمية فوق ما يعلمه اهلها • ونجهد كل الجهد في حصول الاسباب الكاملة بترقي زراعتها وتجارتها وامنتها وانتظام ادارتها من اعمارها وتسهيل طرقها والوسائط النقلية في انهارها وادخلها وخارجها) (٢٧) والرجل مخلص كل الاخلاص في قوله وصادق النية وهذا دليل واضح على مدى تفاؤل الناس بالعهد الدستوري الجديد ولكن هل فكر بكل شيء قاله هذا النائب وهل له علم بمقدار الاصلاحات التي يجب ان تقوم بها الدولة والمبالغ التي يجب ان تتوفر لانجازها ، والامبراطورية تركة من فساد وانحطاط واهمال في جميع المرافق •• ان ساعات الخيال حلوة ولا تريد ان تهبط الى الواقع •• ومتى

اصطدمت به ردت قوية مثل اصطدامها .. ولم يكن علي علاء الدين وحده فهذا معروف الرصافي تذهله الفرصة .. فيرى في المجلس النيابي الشمس التي تشرق لتبدد دياجير الظلمات الحالكة ويظن في اعلان الدستور ايذانا بزوال الظلم وسريان الحق في مجراه الطبيعي لان المجلس كالسما التي تظلل الشعوب العثمانية كلها .. ولانه نادى الحق والشورى والعدل .. ويظن ظهور الدستور في الدولة العثمانية بادرة خير سوف تعم الشرق كله فقال :

يا شرق بشراك ابدى شمسك الفلك وزال عنك وعن آفاقك الحلك
اضحى به القوم احرارا قد اعتصموا من النجاة بجبل ليس يتنبك
ناد به القول عن اهليه مستمع والحق متبع والامر مشترك (٢٨)

هذه الفرحة ، وتلك السعادة ، والامال العراض العذبة الجميلة التي عمت النفوس كان من الصعب ان تترك بسهولة . ان الخيال المجنح والامال الواسعة التي رسمتها الاخيلة الجائعة صدمتها الحقيقة وكانت الصدمة قوية لذلك استحال الفرحة الى ألم دفين ومرارة لا تطاق . لان الشعوب ارادت المستحيل من الدستور الجديد فتصوروا ان اعلان الدستور وحده سوف يحيل الافكار الى عسل ولبن فتغدو البلاد مزدهرة والنفوس متمدنة متعلمة وسوف تنتشر المصانع والمعامل في طول البلاد وعرضها وان جميع الاوضاع الفاسدة ستصلح ، وفاتهم اهم مقوم واساس كل اصلاح فاتهم ماتحتاجه هذه الاصلاحات من اموال ومن ايد فنية وخبرة طويلة .. بل فاتهم ما كان عليه القائسون على الانقلاب من اخلاق .. وانهم لن ينقلبوا ملائكة في ساعات معينة وانهم بشر لهم مطاعمهم الخاصة ورغباتهم الفردية وقد عاشوا في عهد كله فساد وانحطاط ولا بد من ان يؤثر الفساد في نفوسهم وعقولهم وتصرفاتهم - الا من عصم ربي - وهذا ماحدث في الدولة العثمانية عندما قامت جمعية الاتحاد والترقي بعملها وعزلت عبد الحميد .. فوجدت الخزينة قد انشرفت على الافلاس .. واجدبت الاراضي نتيجة لاهمال الرى المتوالى . وانتشرت الامراض لعدم وجود اطباء وعشعش الجهل لعدم الالتفات الى العلم واختل النظام

لحرمان الدولة من ايد حازمة نظيفة امينة وتفشت الفوضى .. (٢٩) كل هذا مم
عوامل كثيرة سيطرت على الدولة العثمانية والشعوب العثمانية جعل من المستحيل ان
تم الاصلاحات في فترة قصيرة والدستور وحده لافائدة منه اذا لم تعد له
اسباب التقدم وما لم يكن الشعب نفسه مستعدا للسير في الحياة الدستورية
وممارستها ، ولقد كان الصدى عميقا في نفس الرصافي الشاعر النائب الذي ردد
أناشيد الغبطة والسرور بالامس فقال اليوم :

شكاية قلب بالاسى نابض العرق الى قائم الدستور والعدل والحق
اي شكاية اشد ايلاما من قلب ينبض بالاسى والاحزان وما اشد وقع الالم
على غير استعداد له وما اصعب الانتقال من السرور الى الحزن لذلك فهو لا يرى
لغير الدستور والعدل والحق اي سلطان وبذلك يطلب المستحيل في هذا العصر
الذي ضاع فيه الدستور واهين العدل وهدرت كرامة الحق فيجأ شاكيا من كبد
محترق قائلا في تعجب غير مصدق بما يراه :

فهل ايها الدستور تسمع شاكيا	بك اليوم يرجو ان يرى نهضة الشرق
لقد جئت من افق الصوارم طالعا	علينا طلوع الشمس من منتهى الافق
فصادفت منامة قد تعشقت	لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وانما	هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا	ولكن تراخي الامر متسع الخرق
بك اليوم اشقانا الالى انت مسعد	لديهم فيا لله للمسعد المشقي

(٢٩) هناك كثير من الكتب التي تبحث في العصر العثماني التركي منها —
the camps, last heritage — ١

وقد ألفه سر مارك سايكس النائب في مجلس النواب البريطاني صاحب
المعاهدة المشهورة عن سياحة قام بها باحثا فيه حياة الاسلام منذ تكوينه
حتى العهد الذي ساح فيه . ومركز الخلافة العثمانية . طبع في لندن
سنة ١٩١٥ .

٢ — تركيا وقد ألفه Kirk Wood, Toynbee

طبع في لندن سنة ١٩٢٦

وبعد هذه الاستغاثة الواضحة بما حصل له في قوله (يا لله للمسعد) يظهر
 ما حاق بالشعب من جراء تحكم الاتحاديين في تأليف الوزارات حسب ما تشتهى
 مطامعهم واغراضهم فيقول : هم الذين استأثروا بالخيرات ولم يتركوا للامة
 شيئاً عندما جعلوا الدستور الذي ارادته الامة بكل قواها اداة للرزق والاثراء
 وغدا آلة لمصالحهم على حساب الشعب :

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدوا على من حولهم طرق الرزق
 كأننا لهم شاء فهم يحلبوننا وكم مخضوا اوطاننا مخضه الزق
 وهم يأخذون الزبد من بعدمخضها ولم يتركوا للساكنين سوق المذق^(٣٠)

ويقف « علي الشرقي » وقفة الحائر في امر العراق • اذ انه رأى اعلان
 الدستور لم يغير شيئاً من حالة العراق العامة وكأن هذا الحدث الذي كان مقدرا له
 ان يدر على العراق الخير الوفير لم ينله بشيء والعراق متأخر وقد عبر عن حيرته
 بشعر غير واضح الهدف ولجأ الى اللف والدوران ولم يقدر الا ان يقول :

نطقت بحاجتها الشعوب وافصحت وارى عراقى واجماً لا ينطق
 وكأن هذا الشرق سفر غرائب اضفى عليه الدارجون وعلقوا
 ختمت صحائفه وجئنا بعدها حتى كأننا فيه فصل ملحق
 ماذا تغير والبلاد بأهلها بغداد بغداد وجلق جلق^(٣١)

اما « البناء » فقد كان اوضح قصدا وافصح مرادا من علي الشرقي فقد

(٣٠) ديوان الرصافي ص ٣٨٩ و ٣٩٠ وله قصيدة لم تنشر في الديوان وقد
 نشرت في جريدة الرقيب العدد ١٥٦-١ سنة ١٣٢٧ مطلعها :
 « ارى بغداد تسبح بالملاهى » وقد اخبرني سيادة الاستاذ مصطفى
 علي ان الرصافي لم يلحقها في ديوانه عندما كان حياً • وللزهاوي
 قصيدة مطلعها

لا تنتظر لعصابة رشدا فيها تساوى الرأس والذنب
 هاجم فيها جمعية الاتحاد والترقي مهاجمة عنيفة ويبدو لي انها نظمت بعد
 الحرب العالمية الاولى : راجع الباب ص ٥٩ طبع بغداد ١٩٢٨

(٣١) عواطف وعواصف ص ١٩٨ بغداد ١٩٥٣

طالب بالاصلاح ولام نواب العراق الذين ذهبوا ليمثلوه في مجلس الامة دون
هوادة فقال مغنا :

فقولوا لنواب العراق أما لكم تفاغلتوا عنا باعلى المراتب
يشق علينا جنبكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطايب
ويحث النواب على الدفاع عن حقوق الشعب والمطالبة بالاصلاح فيقول:

فليس انتخابكم لاصلاح حالكم فنحن انتخابكم لدفع النوايب
فلا تجعلوا للصمت فيكم سجية قرب كلام فاق سيف المحارب
ويضع حالة الامة المتأخرة بين ايديهم وما حاق بها من انحطاط حتى
لا يبقى لهم عذرا بقوله :

فما عذرکم في امة قد تقهقرت ولم يبق فيها غير حسرة خائب (٣٢)

ومما زاد في هذا التشاؤم العنصرية التي انتهجها رجال الاتحاد والترقي
وكان الالم ممضا اذ وجدت الشعوب فراغا في حياتها وكان هذا الفراغ واضحا
فقد كان يربطهم بالدولة الدافع الاسلامي ولم يكن هناك ما يركون اليه بعد
دهاب هذا الرابط وفقدان شيء تعود عليه المرء يضاعف في نفسه الالم والحزن... اذ
اضمحلت الروح العثمانية التي كانت تميز بالاسلامية ورعايتها للاسلام واخذ
يهدد العرب تيار التريك الجديد الذي اخذ يهدد العرب في لغتهم وقوميتهم وحياتهم
لذلك اندفع العرب نحو جهة جديدة ليسدوا هذا الفراغ • وليحافظوا
على كياناتهم العربي ولغتهم • فظهرت بوادر القومية ونمت واخذ العرب ينظرون
الى انفسهم عنصرا واحدا له ماللاتراك من حق في الحياة وله قوميته كما ان للاتراك
قوميتهم، بل ان للعرب تاريخا مجيدا حافلا بالفخر لا يدانيه تاريخ الاتراك ولهذا طالبوا
بالانفصال عن الاتراك وتأسيس دولة توحدهم وتجمع شتاتهم وتدافع عن
مصالحهم المشتركة •

٣١ ديوان الشرقي ص ١٩٩

٣٢ صدى بابل ٢/٧٥ سنة ١٩١١ • ويراجع ديوان الزهاوي ص ٨٠ وله
قصيدة في الاتجاهات الادبية) يهاجم فيها قادة الاتحاد والترقي ص ٦٦

حروب الدولة واثرها في الشعر

- ٤ -

كان لحروب الدولة العثمانية اثر كبير في اثارة حماسة الشعراء فقد ايدها الشعراء تأييدا مطلقا يدفعهم الشعور الدينى لانهم كانوا يرون في حروب الدولة العثمانية دفاعا عن الكيان العثماني الذي هم جزء منه ، ضد اطماع اوربا (الكافرة) التي تريد القضاء على الدولة (المسلمة) وبذلك قضاء على العرب والشرق^(١) فلا تعجب ان نرى اجماع الشعراء على الذود عن الدولة العثمانية ضد اى عدوان عليها وقد كان من جراء هذا الشعور ان تطورت اساليب الشعر وتقدمت عما كانت عليه في اوائل القرن التاسع عشر والثامن عشر فقد احس الشاعر انه جزء من هذا الكيان العام وان مصالحه الفردية غدت مهددة ورأى انه مسؤول عن كل شئ في هذه الدولة • فقد هزته الحروب العامة كما هزته من قبل الحياة الدستورية ورأى شيئا جديدا يسمى المساواة مع الامم الاخرى • فلم يعد يتمنى ان يقبل اذيال الوالى ويتوسل ان يقبل يديه^(٢) كما تمنى التيمى ، كما انه لم يسف في شعره

(١) بلغ من تعصب احد كتاب فرنسا ان اقترح حلا للمسألة الاسلامية التى دوختهم القضاء على المسلمين ونش قبر الرسول الكريم ونقل عظامه الى متحف اللوفر بباريس (الاتجاهات الوطنية ص ٢ من تاريخ الاستاذالامام ص ٨٠١ لمحمد رشيد رضا القاهرة ١٩٣١)

(٢) ديوان التيمى ص ١٠٢ و ٤٠

ويهدر كرامته ليكون اداة تسلية واضحاك للوالى^(٣) فقد ظهرت على شعره سمة من الاعتزاز بالنفس وبالكرامة الانسانية ورأينا الشعر يرتفع في موضوعه واهدافه عن اهداف من سبقه يتعد رويدا رويدا عن المبالغات وانسابات في الشعر روح في طياتها عاطفة الشعر واحساس الشاعر ولم يكثر كثيرا برصف الالفاظ ، وانتقاء العبارات وبذل جهد كبير في المحسنات اللفظية • وأخذ الشاعر ينافح صادقا عن امته ووطنه •

وقد نسي الشعراء جميع مساوىء الدولة العثمانية وتناسوا آلام الماضى الذى هيمن على العراق حتى يؤازروا الدولة صفا واحدا ملتفين حول راية واحدة هي راية المسلمين خوفا من تفريق الشمل وبشرة القوى يدفعهم الدافع الديني العميق والدافع الذاتي الحساس وقد كانت كل الحروب التي يشنها الغرب ذات أثر واضح في عواطف المسلمين والعرب ومن هذه الحروب التي ظهر أثرها في الشعر العراقي في هذه الفترة ، حرب اليونان ، سنة ١٨٩٧ وحرب طرابلس سنة ١٩١١ وحرب البلقان سنة ١٩١٢ والحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤^(٤) •

حرب طرابلس

وهي أول حرب تصادفنا في القرن العشرين^(٥) أثرت في اتجاهات الشعر

(٣) الترياق الفاروقى في ص ٢٨٣

(٤) يراجع بشأن هذه الفترة Turkey مؤلفه Toynbee

ص ٥٤ و ٥٨ و ٩٢ - ١٠٠ • طبع لندن ١٩٢٦ والاتجاهات الوطنية ص ٣٩ عن مذكراتي في نصف قرن ٢ : ب ٢٨٨ وما بعدها ومذكرات العسكري عن الثورة العربية ١٨ - ٢٦

(٥) هاجمت ايطاليا طرابلس عندما سحبت الدولة العثمانية جل قواتها لمحاربة امام اليمن والادريسي في عسير فدخلت ايطاليا طرابلس وقد حاولت الدولة العثمانية اعادة ما استولى عليه الطليان لذلك اعدت حملة اشترك فيها عزيز المصرى القائد المعروف ومصطفى كمال باشا الذى أصبح زعيم تركيا الجديدة ولكن لعدم وجود وسائل نقل ولعدم تنظيم مسيرة هذه الحملة طال أمد الحرب وعند اعلان دول البلقان ، مثل الصرب وبلغاريا والجبل الاسود ، الحرب على الدولة العثمانية في تشرين الاول ١٩١٢

العربي عامة وفي العراق بصورة خاصة فقد شنت إيطاليا الحرب على طرابلس العرب تريد امتلاكها واستعمارها ومتى كانت الشعوب ترضى بالاستعمار بدلا عن الحرية ، والذل بدلا عن الاستقلال لذلك أخذ أبناء البلاد بقيادة السنوسيين يدافعون عن أوطانهم بكل ما يملكون من قوة مضحين بالغالي والرخيص للمحافظة على الاستقلال بعد أن باءت الدولة بالفشل في المحافظة على بلدهم وقد كان يدفع الشاعر العراقي دوافع كثيرة لمؤازرة طرابلس منها حق الحياة والحرية وما له من صلات وثقى بينه وبين أبناء طرابلس من دين وعروبة وبغض الاستعمار فتارت كل هذه العوامل في نفوس الشعراء ودفعتهم نحو الانتصار لهذا القطر العربي المناضل في سبيل حريته وكرامته وحياته فنار على أوروبا المستعمرة وتطوع الكثيرون من جميع الاقطار وخاصة أبناء مصر^(٦) لكي يدافعوا عن طرابلس الغرب ولكي يقفوا أمام المحتلين المعتدين وللدفاع عن الدين الاسلامي وقد الفت كثير من اللجان لجمع التبرعات^(٧) واثارة الناس باقامة الحفلات ومن تلك الحفلات حفلة النادي العربي في الاستانة^(٨) التي ألقى فيها محمد حبيب العبيدي خطبة حث الناس فيها على مساعدة الاسلام في طرابلس ، ثم أعقبها بقصيدة تطفح

اضطرت الاخيرة الى طلب الهدنة من إيطاليا اذ أن الخطر غدا يهددها في عقردارها وقد تم بعد الهدنة التنازل عن طرابلس لكن العرب لم يرضوا بالاستسلام فقد قاومت القوات الوطنية ثمانية عشر عاما حتى نفذت جميع الذخائر والعتاد ولعل من الطريف ان نذكر ان من المتطوعين كان ضابط نمساوي وآخر بريطاني .

(٦) قال تحسين العسكري وقد كان من ضباط الجيش العثماني الذين ارسلتهم الدولة لمحاربة الطليان : ان جمعية الهلال الاحمر ارشدتهم على الطريق المؤدي الى طرابلس ثم زود بأربعة آلاف ليرة انكليزية ذهبية اعانة من الشعب المصري لمجاهدي طرابلس الغرب ٠٠ وقال ان الحرب ضمت كثيرا من أبناء الاقطار العربية من سوريين وعراقيين ٠٠ (مذكراتي عن الثورة العربية ص ١٦ ، ١٤)

(٧) الاتجاهات الوطنية ص ٣٥ لاحظ مصدره

(٨) الادب العصري ص ١٤٨ (مصر ٩٢٣) وقد جاوزت القصيدة ال ٥٠٠ بيت

بالحماسة الدينية والوطنية ورأى ان الشرق مسؤول كله عن الذود عن حياض
طرابلس لان الغرب هو الذى يهاجم الشرق في مهاجمته لطرابلس ولا يقل
الشرق قدرة وكفاية عن الغرب غير ان أبناء الشرق كسالى خاملون ركنوا الى
الدعة والهدوء فلذلك اتخذ طريق شحذ هذه الهمم الخاملة والنفوس النائمة
سبيلا له فقال :

كيف ترضى يا شرق ان يكسب الغر ب فخارا من دونك العلياء
كيف ترضى يا شرق ان يمشى الغر ب أماما وانت تمشى وراء

ويبرهن على ما للشرق من مكانة وقدرة بضرب الامثلة من التاريخ القديم
الذى نشر النور فيه الشرق وكان مهذا للمدنية والعلم وان ربوعه كانت منبع
العرفان والرقى والمفاخر فيقول :

من حمانا نور العلوم بدا فيها وعمت اقطارها الاضواء
نحن أحيينا ما أمات زمان الجهل مما قد أسس القدماء

ثم يجول الشاعر جولة طويلة في التاريخ الاسلامي والعربي مذكرا
الشعوب الاسلامية والعربية بما كانت عليه من عزة وكرامة وسؤدد ويخرج
بعدها من تلك الجولة الى حرب الطليان واستعمارهم لقطر عربي مسلم ويقف
متسائلا كيف يرضى هؤلاء الاحرار أن يكون أذلة وكيف يرضون للاستعمار
الحكم والسيطرة وهم الذين ما عرفوا الاستعمار الذى هو مرادف للموت فيقول :

أنسام الهوان دون المنايا انما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر دارا انما الحر داره الجوزاء
يا بنى الضاد ان للمضاد حقا ناطحت دون هضمه الآباء
ليت شعرى ما ينقم القوم منا ام على ابصارهم هناك غشاء
ليت شعرى ما ينقم العمى منا رب قوم ارض ونحن سماء^(٩)

ولم يتخلف الكاظمى عن المشاركة في تأييد احرار طرابلس - في وطنه

الثاني مصر - فقد هزه الاعتداء على طرابلس فنشر قصيدة في جريدة المؤيد
يحث فيها الشعب على انجاد طرابلس بالاموال والارواح والمسارة في هذه النجدة
اذ لم يعد الوقت كافيا للتأخير والتأجيل • وقد صور الكاظمي حال اخوانه العرب
وهم صرعى على الثرى يتخبطون في دمائهم وقد وقفت النسوة خائفات في العراء
وليس لهن من معين على هذه البلوى غير الدموع الغزيرة والزفرات الحرار
والوحدة والحزن والهموم •• وقصيدة الكاظمي من روائع الادب العربي ففيها
طفحت العاطفة الكريمة المبدعة •• وحدث من الشعور الانساني النبيل ، يرفعها
الى مصاف الادب العالمي •••

وفي القصيدة وصف لطيف لجبن الطليان الذين اعتدوا على الآمين والغزل
فانهم حين خافوا أن يحاربوا في حومة الوغى رجال الحرب هاجموا هؤلاء الغزل
للاتقام من الاقوياء الذين دحروهم وأردوهم الى درك الهوان ••

وفي هذه القصيدة يدافع الكاظمي عن الدين الاسلامي الذين يصفه الغربيون
بأنه دين متأخر دين الوحشية والعبودية •• ويضرب لهم مثلا ويتساءل فيقول :
أبعد هذا التناهي في تعصبهم يعزى التعصب للاسلام والتهم ؟

ويرد عليهم ردا مقنعا بأنهم دعاة حرب لا دعاة سلام والا لما هاجموا قطرا
أما واحتلوا أراضيهم بالحديد والنار والدماء فيقول :

ابن السلام الذي شادوا جوانبه زعما خلوبا فلا شادوا ولا زعموا
قالوا « السلام » فمنا واثقين به ابن السلام واركان السلام دم
أبعد ما شنت الطليان غارتها وقام (مخدوعنا) بالسلم يعقضم
قالوا الحياذ فقلنا ليس ذا عجبا عن نصرة الحق كم حادوا وكم وجموا
ويصف لنا أخلاق الاوربيين من نكت العهود ، وحنث اليمين والوعود ،
واهتضام حقوق الشعوب الضعيفة فيقول :

ان عاهدوا نكثوا أو أقسموا حثوا أو عاملوا عبثوا بالحق واهتضموا

ولم يهاجم « المحسن » الدين المسيحي كما هاجم الغربيون الاسلام ولم
يعتد على قدسيته كما اعتدى الاوربيون على الاسلام انما قال ان الدين المسيحي

هو دين الحق الذى يدعو الى السلام والمحبة وانه يضم بين جوانحه الفضيلة والمعروف والبر والرحم وانما الطليان المستعمرون هم الذين ضربوا بتعاليم الدين المسيحي جانبا ولم يمثلوا تعاليمه السمحة فاعتدوا على الشعوب الضعيفة الآمنة واقترفوا الآثام باسمه وهو برىء مما يدعون *

وتبدو انسانية الشاعر العربي بالدعاء لهم أن يأخذ الله بيدهم نحو الخير والسداد لانهم قوم جاهلون يفعلون ذلك جهلا وحمقا فقال :

رحمك يادين عيسى لا تؤاخذهم	اذا جنوا باسمك الفياح او ظلموا
اهلوك قد جهلوا الدين الذى اتبعوا	فحملوك خطاياهم وما علموا
حاشاك انت برىء من خلائقهم	ورب ذى كرم اتباعه لؤموا
وانت يا اكمل الاديان معذرة	مما عزاه لك الباغون واتهموا
انت الفضيلة والمعروف اجمعه	انت التقى والهدى والبر والرحم ^(١٠)

والقصيدة جاوزت المئة بيت كلها على هذا النسق * ولم يكتب الكاظمي بهذه القصيدة انما عرج على ذكر طرابلس عندما نظم قصيدة اخرى في حروب البلقان *

واذا تصفحنا ديوان الرصافي نجده قد نظم ثلاث^(١١) قصائد حث فيها المسلمين على الحرب والدفاع عن طرابلس وقد نظر الرصافي الى هذه الحرب نظرة اخرى لم يرها حربا بين ايطاليا والدولة العثمانية للاستيلاء على طرابلس انما هي حرب الاستعمار الغربي الذى يريد أن يسيطر على الشرق لكي يستغله ويعبث بمقدراته والاستعمار ضارى ويبيد كل ما يقف أمام مصالحه فيجب أن يحارب الاستعمار نفسه الممثل في ايطاليا الطامعة لذلك كان اندفاع الرصافي رائعا في الذود عن طرابلس ومثالا حيا للحماس الديني * ومع هذه الروح فقد ابتعد عن مدح رجال الدولة العثمانية في شعره وكأني به يلقي التبعة على هؤلاء الرجال

١٠ ديوان الكاظمي ج ١ دمشق ٩٩-١٠٩ ويلاحظ ص ١١٠ بصدد قصيدة البلقان

١١ ديوان الرصافي ص ٤٧٠ و ٤٧٤ و ٤٨٤

الذين تخاذلوا عن نصره طرابلس وتركوها ضحية الاستعمار لذلك فقد صب كل شعره على الاشادة بالسنوسى وشجعه بكل قواه لانه كان وحده المصطفى بغير ان الحرب وبلاياها • ويؤيد رأي الرصافي في الاستعمار وضراوته ورغبته في السيطرة على الشرق ما حل في مصر وتونس وكيف استباح الغربيون حمى هذه الاقطار المسلمة • • • لذلك فهو يخاطب أهل بنغازي والسنوسى مشيدا بشجاعتهم آملا أن يسير المسلمون جميعا الى نصره طرابلس • • ولكنه يعرف سلفا ان آماله بعيدة عن أن يحققها مسلمون ضعفاء متناحرون متأخرون • • فيشكو الى الله ويقول مخاطبا السنوسى :

ومن مبلغ عنا السنوسى انه	يمد لهذا الصدد منه يد الرأب
فانا لندرجو ان يقود الى الوغى	طلائع من خيل ومن ابل نجيب
فيحمي بلاد المسلمين من العدا	وينهض كشافا لهم غمة الخطب
فان حشا الاسلام اصبح داميا	الى الله يشكو قلبه شدة الكرب
فقم ايها الشيخ السنوسى مدركا	جنود بنى عثمان في الجبل الغربى

ومع ذلك فان قلب الرصافي مملوء بالامل والفوز وانه يأمل أن يؤازر المسلمون طرابلس في حربها وأن يفتكوا بالجموع المعتدية ويبسوا جيوش الاستعمار وليس من السهل على الغرب استعمار المسلمين وسوف يرد الاستعمار خاسرا حسيرا لان المستعمر كاذب خداع يقتصب دون حق ويسيطر بالباطل على أرض المسلمين • • فيلنت الرصافي ساخرا الى هؤلاء فيقول لهم :

أيا زعماء الغرب هل من دلالة	لديكم على غير الخديعة والكذب
تقولون ان العصر عصر تمدن	امن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب ؟
ألم تبصروا القتل تمج دماءها	على الارض والجرحى يثون في الحرب
أفي الحق ام في العلم الا يسوءكم	ويخجلكم شن الاغارة للغصب (١٢)

ويؤكد سخريته في قصيدة اخرى من التمدن الذى يدعيه الغرب وتكذبه

وقائعهم وأعمالهم العدوانية وما ينشرونه على الشعوب الآمنة من الويلات والمصائب
معددا مصائب الشرق التي جاءت من الفرنسيين في تونس ومراكش وما جتته يد
الطليان في طرابلس وعبث الانكليز بحقوق مصر واحتلالها فيقول :

يقولون ان العصر عصر تمدن فما باله امسى عن الحق مزورا
الى الله اشكو في الورى جاهلية يعدون فيها من تمدنهم عصرا
اتتنا بثوب العلم تمشى تبخترا الى الخير ، لكن قد تأبطت الشرا

ودليل الرصافي واضح في قوله :

لقد ملك الافرنج ارض مراكش وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا
ففاجأنا الطليان من بعد ملكهم لكى يسلبونا من طرابلس الامرا
وقالوا ألم تأت الفرنجة تونسنا وهذى جيوش الانكليز اتت مصرنا (١٣)

وقد كانت حرب طرابلس - شأن كل الحروب في هذا العصر - سببا
عاطفيا هز المسلمين جميعا ولم يتخلف عن مساعدتها شاعر فقد اشترك الجميع
مخلصين في الدفاع عن حقوق طرابلس الغرب العربية المسلمة ، وكانت هذه
القصائد صدى عميق الاثر عكس وعي الرأي العام في الشرق العربي المسلم *
اذ كانت هذه العواطف صادقة بعيدة عن التزلف والمدحاة والنفاق فهم زادوا
بشعرهم عن طرابلس وسواها آملين بالشواب الآجل لا راغبين في الاجر العاجل
من أمير او سلطان فهم زاهدون في عطف الوالى ورضاء الحاكم ، ويسمو الشعاع
بعواطفه الكريمة يدفعه دافعان : الدافع الديني العميق الذي يربطه بهؤلاء
العرب الذين تطحنهم رحي الاستعمار بدون رحمة ، والدافع الانساني الذي
يرى أخاه الانسان يفقد حريته واستقلاله غير ان الدافع الديني كان أمتن وأقوى
من غيره من روابط الشعر بطرابلس * لذلك فقد أكثر الشعراء من النظم في هذا
المضمار * غير ان بعض الشعراء لم يكونوا واضحي القصد صريحين صراحة
الرصافي * فلم يكونوا بيني القصد والغاية في شعرهم كالشبيبي (محمد رضا)

فقد تحدث بصورة عامة عن الحروب وعن الغربيين دون أن يتطرق الى الحادث نفسه فالقصيدة بحد ذاتها لا تنطبق على حادثة طرابلس انما هي تنطبق على كل الحروب التي يشنها الغربيون ولولا ذكر (برقة) ووجود المقدمة الايضاحية للقصيدة لما عرفنا انها نظمت في حرب طرابلس •• فهي قصيدة شاعر عربي أثارت حروب الاجنبي على بلده فسقط منهم صرعى في سبيل الوطن فثار عندما رأى اخوانه العرب صرعى •• وهزته الروح العربية والنخوة القومية لتأييدهم •• والفخر بجهادهم وحروبهم فقال :

عرب على قسما ت وجه وليدهم	متين عنوان طيب المولى
لا يطر قون الماء شيب نميره	وغدا مخاضة رائح او مغتدى
واذا الذئاب وردن ماء حرمت	اسد الثرى غشيان ذاك المورد
واذا اعتدى الباغى على اوطانهم	بطشوا به واروه عقبى المعتدى
اوما اناك ببرقة نبا التسي	رمت البلاد بمبرق وبمرعد ^(١٤)

وتطفتح القصيدة بالتهديد والوعيد وتفيض بالالم • أما أسلوبه الجزل فانه يعيدك الى العصور العربية ، عصور العناية بالسبك الجيد الرصين وبالرغم من أن اسلوب القصيدة جزل قوي فقد بدأت صرخات الالم تن في أبياته • وقد تطرق الشيبى الى الموضوع الذى يتمشيق به الغربيون بأنهم أصحاب حضارة ومدنية وانهم أصحاب التجديد والابداع فيرد عليهم متهمكما بقوله :

انا دعونا العصر عصر تفهق	فليدع عصر تقدم وتجدد
فماذا يرجى من وراء حضارة	عمى البصير بها وضل المهتدى
وجدت فاعدمت النفوس فضائلا	خلقت لها فكأنها لم توجد ^(١٥)

وهذه الروح العربية أثارت شاعرا آخر هو علي الشرقي وقصيدته تصلح أن تكون لاي موضوع عام في الحرب التي تثار بين العرب وبين أي فريق آخر

(١٤) الديوان ص ١٩

(١٥) الديوان ص ٢٠

من أعدائهم ، فلو حذفنا بيتين اثنين منها ضاع علينا المطلوب من القصيدة هذا الى انه ليس في القصيدة دعوة صريحة للقتال لمساعدة أهل طرابلس ولم يخص الشاعر الحادث الذي حاق بطرابلس الا بخمسة آيات ختم بها قصيدته ، شبه فيها روما بالكلبة ثم جعل الكلبة حيوانا ناطحا له قرون فقال :

ما لروما فلا استوى عرش روما	فتلت ذيلها وعجت نباحا
جنبت عن نضال كل قسوي	فاغارت على الزوايا اكتساحا
نطحت برقة وبرقة واحيات	من النخل ما عرفن النطاحا
ابني العرب لابراح عن الحرب	والا عن الفخار براحا (١٦)

(١٥) وكان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أوضح أسلوبا واسطع قصدا من الشيبسي والشرقي فقد تجلت في قصيدته روح العالم القائد الذي يشعـر بالمسؤولية الملقاة على كاهله وتجلت روح اسلامية اصيلة عميقة تطالب بالكفاح والنضال والمساعدة السريعة للمسلمين ، وصور الحادث تصويرا يدفع كل مسلم الى المشاركة العاجلة لما فيها من تأنيب واستفزاز ونداء لاغاية الاسلام الذي صم المسلمون آذانهم عن سماعه فقال :

أيها المسلمون هبوا فليس ال	موت الى حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التماذي	واتاكم سيل فماذا التواني
جاءكم جارف من الغرب تيا	ريهد البنا واس البنياني
يستغيث الاسلام فيكم فيلقـى	عنه منكم تصامم الآذان
صارخا فيكم فهل من سميع	صرخات الاسلام والقرآن

ولا يكتفى كاشف الغطاء بهذا بل يخرج المسلمين احراجا ليتشبر همتهم وصمتهم ونخوتهم في سبيل مساعدة اخوانهم حينما يعن بقوله :

ان بيض الوجوه سود اذا لم تغدوا حمرا من النجيع القاي
ان لبس الثياب خزى اذا لم تجعلوها لكم من الاكفـان
انكم والنساء - ما لم تذودوا عن حماها عدوكم - سيان

ولا يختلف الشعراء في ان هذه الحرب الغربية انما هي تهديم الـدين
وابادة المسلمين في الشرق وتقويض دعائمه في كل مكان • لانهم يرون الجامعة
الاسلامية صخرة قوية تقف امام مطاعمهم وغاياتهم فما على الغرب الا ان يحطم
هذه العقبة ليتمكن من استعمار الشرق •• وقد بدا في حرب طرابلس والحروب
الاخري التي شنها هذا المطمع الاستعماري واضحا •

اظهر الغرب ما أجن من الغد ر وأبدى كوامن الاضـفان
واحاطت بالمسلمين عـلـوج ال بغى من كل جانب ومكان
يشكى (المراكشى) اعتصابا وكشكواه يشكى (العثماني)
واذا ولولت (طرابلس) في الغر ب اتاها العويل من (ايران)

وقد بذل قصارى الجهد في التأثير في نفوس المسلمين واراد ان يحفزهم
للقـتال فتفنن في صوره ثم التجأ الى الصور الانسانية النبيلة ليهز هذه المشاعر صور
الايامى المشرذات والاطفال اليتامى الباكين حسرة على ابائهم فقال :

كم نساء أضحت أيامى تعاني من يتامى فقيدها ما تعاني
تعقد الراحين بالقلب مهمـا نثرت بالدموع عقد جمان
كم فكول تشجى الحمام بالنو ح فتبدى غرائب الالـحـان
ولكم ام واحد ذات رزء ما لها عن عويلها من ثـاني

ويسخر سخرية لازعة من مدعي السلام الذين يسلبون دماء الضعاف
على الارض باسم المحافظة على السلام وباسم المدينة والحضارة فيقول :

أفهدا وضع السلام على الار ض وهذا تمدن الانسان

ولا بد من الاشارة هنا الى ما حوت عليه القصيدة من سخط واضح المعالم على
السلطان وعلى حاشية السلطان فقد قال صراحة ان الملوك يجب أن يحمو البلاد

لا أن يحموا عروشهم وتيجانهم بقوله :

ان عز الملوك في حفظها الاملاك لا في العروش والتيجان

وصور هؤلاء الحاشية الذين غرتهم نعومة العيش وركنوا الى الدعة ناسين الشعب الذى يعيش في الفقر والفاقة ، لانهم غلف القلوب الا عن ترفعهم وملذاتهم عمي العيون الا عن مصالحهم الشخصية والا فأين الضمير الحي الذي يدفعهم الى أن يدرؤوا الضيم عن أوطانهم :

يصرع البغى اهله مستشيرا	وعلى نفسه سيجنى الجاني
غير ان « الاسلام » ضلوا عن الحز	م وناموا على غرور الاماني
انذرتهم وقائع الدهر فيهم	ناطقات لهم بكل لسان
فتعاموا عن العظاات وهاموا	بزخايف نعمة وليان
استلنوا نعومة الغرب حتى	راعهم منه نهشة الافعوان
تركوا دينهم لـدنيا سواهم	رب ربح يكون من خسران
واذا القلب كان أعمى عن الر	شد فماذا تفيده العينان
واذا ما اليدان لاتدفع الضيم	فاولى بالقطع تلك الـيدان
ليت من لا يكون ذا حر دين	في البرايا يكون ذا وجدان ^(١٧)

ولم تكن هذه الروح الدينية مختصة ببلدة عراقية دون بلدة ، ففي بغداد وجدنا الرصافي والزهاوي ومن النجف كاشف الغطاء وها هوذا شاعر آخر من الحلقة هو السيد عبدالمطلب الحلبي وقد كان الحلبي من الداعين الى العروبة والقومية العربية والداعين الى الانفصال عن الدولة^(١٨) ولكن الروح الاسلامية العربية استأثرت بجانب كبير من قصيدة له نظمها في مناسبة الاعتداء على طرابلس واحتلالها والقصيدة سفر من التاريخ مما لم نجده في شعر غيره من الشعراء المعاصرين فقد تتبع نزول قوات ايطاليا في الساحل وذكر بعض وقائع هذه القوات مع السكان

(١٧) الادب العصري ج٢ ص ٨٨

(١٨) شعراء الحلقة ج٣ ص ١٩٦ والقصيدة ص ٢٣٠ ولم يتخلف البناء عن هذا المضمار فنظم في (ديوان البناء بغداد ١٣٣١هـ) في أثر الحروب لاحظ الصفحات ٩٨ - ١١٥ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٤١

المناضلين ووقف موقفا نبيلاً إذ رأى الصلح ذلة واستكانة وامتهانا لكرامة الدولة العثمانية أولاً وللشعب العربي لذلك خاطب فكتور عمانوئيل مباشرة وأخبره ان الشعب لن يرضى بهذا الصلح ولن يكون صلحاً ما دامت أقدامه تطأ الديار العربية . وقال صراحة بان الصلح عار لحق بالاسلام والمسلمين ويجب ان يمحي ورجا السلطان العثماني الذي عقد الصلح برفض هذا الصلح الذي جلب العار على الاوطان واستثاف القتال لتطهير أرض العرب من الاستعمار ، والقصيدة طويلة حوت ضروباً متفرعة من الاغراض العامة لكنها امتازت بشيء بارز سيطر عليها هو الروح العربية والافتخار بالعرب وبالقومية العربية فقال :

أجهلتم بأننا - مذ خلقنا -	عرب ليس ينزل الضيم فينا
ولنا نبعة من العز يا بـي	عودها ان يلين للغامزيننا
قد قفونا آباءنا بالمعالي	واليها أبنائها تقتفينا
نحن قوم اذا الوغى خرسنا	لم نبدل بشدة البأس ليننا

ويزهو والفخر يملأ أعطافه بقوميته وعروبه فيمدح العرب ويعدد شمائلهم الكريمة وفضائلهم السامية وأخلاقهم النبيلة ومحاربتهم للاعداء الذين يريدون أن يذلوه ويستعبدوهم والعرب لا يرضون الذل وهم أبطال كرماء مغاوير فيهم من الصفات الانسانية الكريمة ما تجعل العربي يفخر بها وبهم . وبعد ذلك يؤلمه ما أنزل الطليان بهم فقد قتلوا الاطفال وذبحوا النسوة دون رحمة أو ان تردهم الانسانية عندما أبادوا حتى الجنين في بطن امه . . . ويعدهم باليوم الذي سيأخذون حقهم كاملاً من هؤلاء المستعمرين بقوله :

كم لنا بالواحات عندهم نار	عليها الضبا دما قد بكينا
تركوها مجازرا قد بكتها	اعين الكائنات دمعاً هتونا
كم نساء صبرا بها قتلوهـا	وأبادوا طفلاً لها وجنينا

ويتهدد الملك فكتور عمانوئيل على ما اقترفت يدها وجنت جنوده في الارض العربية بأن هذا الدين يجب أن يؤخذ بالجلاء عن أرض افريقيا لان افريقيا لاهلها وليست للمستعمر فقال :

قل لعمانوئيل لاصلح حتى
 قل لعمانوئيل لاصلح حتى
 قل لعمانوئيل لاصلح حتى
 قل لعمانوئيل لاصلح حتى
 قل لعمانوئيل لاصلح حتى

ترجعوا عن بلادنا خاسثينا
 تدعنوا تحت أمرنا طائعيننا
 تقتضيك بالمرهفات الديونا
 من دماكم ظما القنا يرتويننا
 تصبحوا عن افريقيا مختليننا

هذا التأكيد الخطابي في الشطر الاول يدل دلالة واضحة على عزم الشاعر
 عن رغبة صادقة على القتال لغسل العار الذي لحق بالمسلمين ولم يملك نفسه حتى
 يبادي بأعلى صوته :

يارسولى للمسلمين تحمل
 وتعمد بطحاء مكة واهتف
 صرخة تملأ الوجود رنيننا
 بني فاطم ركننا ركنينا

ويجز في قلبه الرقيق ذي المشاعر المرهفة هجود العرب والمسلمين فيصرخ
 بهم :

فالحراك الحراك يا فئة الله الى الحرب لا السكون السكونا
 ولما كان الصلح عارا وان السلطان العثماني قد قبله مضطرا مكرها فجاء وفي
 اثره الهوان لم يصدق هذا القول فأخذ يتساءل عن حقيقة هذا الامر :

ابلغا عنى الخليفة قولا
 أبجد بالصلح ترضى اقتسارا
 غنه في المقال كان سميننا
 هل كذا شأن امرة المسلمينا
 كيف ترضى بالصلح والصلح عار
 ذاك يأباه سيد المرسلينا

وكانت للشاعر جرأة لم نجدها الا لدى قليل من شعراء هذا العصر ، ودافع
 هذه الجرأة الاخلاص والحب والتفانى في سبيل الامة والشعب ، والا لما كان
 الشاعر بقادر ان يقول (هل كذا شأن امرة المسلمينا) ، والشاعر موزع العاطفة
 الصادقة تارة بين العرب وطورا بين المسلمين فقد رأى الذين تربطهم روابط الدين
 والقربى يستعمرون • ولا بد من الاشارة هنا بان « الحلى » من الشعراء الذين

جددوا كثيرا في اسلوب الشعر واخرجه من قيود القرن التاسع عشر متخلصا من جميع الاستعارات الجامدة والصيغ المتكلسة التي كان يستعملها شعراء القرن التاسع عشر فقد اعتنى بالمعاني اكثر من عنايته بالالفاظ في قصيدته هذه (١٩)

حرب البلقان

والحرب الثانية التي هزت مشاعر الشعراء الاسلامية كانت حرب البلقان ففي عام ١٩١٢ عم الاضطراب البلقان وطالبت بلغاريا والصرب والجبل الاسود بالاستقلال الادارى عن الدولة العثمانية وكان عزيزا على الدولة وعلى ابناء الامبراطورية ان تسليخ منها بعض اجزائها ومعنى هذا ضعف في كيان الامبراطورية الاسلامية • وزاد الطين بلة ان تقف اليونان مطالبة بجزر الارخبيل ورغم التسويات السلمية التي ارادتها الدولة العثمانية فقد باءت بالفشل والشعوب بدأت تحس بان حريتها واستقلالها اثن من اية تسوية فاعلنت الحرب وعقد مؤتمر لندن لتسوية هذه المشكلة خوفا من جر البلاد الى حرب عالمية فيضطر المؤتمر العثمانيين على التخلي عن ادرنة والارخبيل وجزره لكن ما كادت الوزارة توافق على هذا القرار حتى ثار حزب الاتحاد والترقي عليها واسقط الوزارة واستأنف القتال (٢٠) وقد كسبت الحكومة العثمانية بادية الامر نصرا على هذه الدول ، فعمت الفرح والسرور جميع سكان البلاد الاسلامية لانهم شاعروا بان دول الغرب وراء هذه المطالب تريد ان يوهن من قوى دولتهم بيد ان هذا النصر بدا يتحول الى خسارة فتتهجر الجيوش العثمانية وتسقط ادرنة ثم اخذت جيوش البلقان تتقدم نحو الاستانة عاصمة الدولة العثمانية وفي الطريق ترتكب جرائم انتقامية من المسلمين مما يزيد في الاسى والحسرة عليهم (٢١)

وقد واكب الرصافي هذا الحادث منذ بدايته عندما اراد السلطان رشاد ان يهدأ الخواطر بزيارته الى مقدونيا وبلاد الالبان راجيا ان تستقر الامور العامة ،

١٩) يمكن ملاحظة قصيدة باقر الشيبيني في شعراء الغري ج ١ ص ٤٣٠

وقصيدة عبدالعزيز الجواهري في الادب العصري ج ٢ ص ١٧١ و ١٧٢

٢٠) مذكراتي في نصف قرن ٢-ب ٢٨٨ ومابعدها

٢١) الاتجاهات الوطنية ص ٣٩ و ٤٠ . يلاحظ المصادر

وحسب الرصافي ان زيارة السلطان رشاد تكفى لكى ينسى الشعب مطالبه لذلك
خاطب حكومات البلقان قائلا :

قل للحكومات في البلقان هل علقت	آمالكم من مواعيد بانجاز
ان الذى تضمرون اليوم من طمع	أمسى لاشعب يعزرو مثله العازي
لم تعرفوا مذ لستم عرق نخوتنا	اذ قد لستم بكف ذات قفاز
انا لنعرف لغزا في سياستكم	وما السياسة الا بيت الغاز

ووصف زيارة السلطان بانها زيارة عفو واحسان لان العفو اقرب للتقوى
والى جلب القلوب المتنافرة • وقد كان الرصافي حريصا كل الحرص على الوحدة
العثمانية وقوتها مهما تباينت هذه الاقوام والامم التى يحكمها ، فقال :

يا أيها الملك السامي بحكمته	والمبدل الناس من ذل باعزاز
قد عي في وصف ماوتيت من حكم	كلا كلامي اطناب وايجاز
غزوت غزو سلام دون غايتيه	غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
ملكك بالعفو والاحسان أفئدة	كانت الى السيف فيها بعض اعواز
وأنت لو شئت ارهابا لجئتهم	بصارم لنواصي القوم جزاز
لكنما جئتهم بالعفو تأخذهم	والعفو أفضل مايجزى به الجازي
فاغمد سيوفك ان العفو منصلت	واهنا بشعب محب غير منحاز
بالترك بالروم بالالبان قاطبة	بالارمنيين بالبلغار بالالاز
أما بنو العرب فالاخلاص يرفعهم	الى مقام على الاقوام ممتاز (٢٢)

وعندما يستعد الجانبان للحرب ينظم الرصافي قصيدة يهدد فيها الصرب
والبلغار ويهجوهم هجاء مرا لانه لايراهم اهلا للقتال وان جيش المسلمين سوف
يبدد شملهم ويغثر قواهم • وبعد ذلك يمدح الجيش العثماني وانه جيش خلق
للقاتل والنضال وجبل على البطولة والفداء ويهجو الصرب والبلغار فيقول :

ياعلوج الصرب والبلد	غفار أولاد الزواني
لم يكن ايعادكم بال	حرب غير الهذيان

انما الحرب لدينا من تمام الحيوان
فاتركوا الاعداد يا ابناء حرب من شأن الجبان
ودعوا الحرب فليس ال حرب من شأن الجبان
وتزيوا يا مخانيب ث بأزياء الغواني (٢٣)

ثم يتوعددهم بالذلة والانكسار والخسران في الحرب • وليست هذه القصيدة من عيون الشعر العربى فلم يأت الرصافي بشيء جديد في هجائه يخلد هذا الهجاء سوى الكلمات القاسية اللاذعة التى لاتليق به •• ولكن الرصافي يسف دائما في هجائه وينزل الى مستوى لايتناسب وما عرف عن شعره من رصانة وقوة سبك واسلوب ضخم •• ويبدو هذا واضحا عندما تترد انكسارات الجيش التركى ويصاب الرصافي بهزة عنيفة من خيبة الامل فينظم قصيدتين يندب فيهما ماضع من الدولة العثمانية من اجزاء فيعود الى اسلوبه المحكم الرصين ويجمع شتات ذهنه وكانى بالحزن يسبغ عليه وقارا وهيبه ففى القصيدة التى نظمها بعد هزيمة (لولابوغاز) وقد كان القائد ناظم باشا (٢٤) يصرف امور الجيش اثر الهم العميق والحزن الدفين فقد خسر الجيش وخسارة الجيش كانت من خيانة القائد نفسه لذلك كان الالم يصرخ في نفسه عندما أقسم :

تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا من أجل قتله أو من جباتته
وكيف وهو تفوق الطيس كثرته وتستعير الرواسى من رزانتة (٢٥)
لكن قائده ما كان يمانه ولا يبالى بأمر من معانتة (٢٦)
حتى لقد نفدت في الحرب عيته بحيث لم يبق سـهم من كنانتة

كان الرصافي شديد التفاؤل والامل في انتصار الجيش ورد الاعداء الى دورهم وانه سوف يكسب فخرا ونصرا وطنيا ولكنه انكسر فجاءنا بتعليل جميل

(٢٣) الديوان ٤٨٧

(٢٤) قتله الاتحاديون في الاستانة

(٢٥) الطيس الشيء الكثير من رمل وتراب وأراد الشاعر التكثير

(٢٦) يمان مان اذا تحمل مؤنتهم وقوتهم ، والمعانة - المعونة المساعدة

فقال :

فظل يرسف في النيران مرتبكا
حتى غدا جلّه للنار مأكلة
ولا استكان لهول الحرب من فرق
فخاض غمر المنايا صابرا وأبى
ليس الفرار لجند المسلمين ألا
وكيف يغلب جيش كان قائده
فالجيش تلتهم النيران أنفسه
أقام في القصف والاجناد طاوية

مستفرغا كل جهد من مئاته
وما ترحح شبرا عن مكائته
بل كان يفرق من هول استكانته
على الفرار انغمارا في مهاتته
ان الفرار لكفر في ديانته
يحفه بجيوش من خيائته
وقائد الجيش لاه في مجائته
معاقرا بهناء بنت حائته (٢٧)

وتبدو آثار اليأس والالم الجريح في القصيدة الثانية فقد استولى البلغار على
ادرنة فابدى التوجع والاستغاثة اذ لم يجد غير السلوى والعزاء في بعث الامل في
نفسه ولكن هذا الامل كان مظهرها لحسرة تفيض بالموعة والا لما ودعها وداعا
يائسا وودع الجامع الذي لن يرتفع لصوت المؤذن فيه نداء .. ولو كان له
بعض الامل في عودة ادرنة لما رثاها للنبي واصحاب النبي فقال :

أدرنة مهـلا فان الظبي
وداعا لمغناك زاهي الربا

سترعى لك العهد والموثقا
وداعا ولكن الى الملتقى



عزاء لمسجدك الجامع
وهل في مصلاه من راكم
فيالسقوطك من فاجع
وقبر النبوة في يثربا
ومن في البقيع ومن في قبا

أفارق محرابه المنبرا
يجيب المؤذن ان كبرا
به فجع الدهر ام القرى
ومشوى ضجيعه مشوى التقى
ومن شهدوا الفتح والخندقا

ويحيل الالم الشاعر الى حكيم يردد الحكمة فيبصر حال المسلمين المتأخر
عن ركب الحضارة والعدو يوالى الضربات وهم لا يحركون ساكناء انه شاعر يريد

لقومه ويريد لابناء دينه ويريد للمشرق كله ان يثور على الاستعباد وعلى الهوان ولكنه لا يجد من يلبي هذا النداء ومن يبلغه الامانى فالقوم متخاذلون يفعل الغرب بهم ما يريد فهو يصب عليهم الكروب ويجر عليهم الالام والحسرات كل ذلك لانهم متفرقون يعث بهم الجهل فيهب بهم قاتلا :

لقد آن يا قوم ترك الونى	وترك الشقاق وترك الدد ^(٢٨)
الى كم نكابد هذا العنا	ونخط في جهلنا الاسود
وبالعلم من قبل لنا انى	وفزنا من العيش بالارغد
ولكنما العلم قد غربا	فلا عيش الا اذا شرقا
فهبوا اليه هبوب الصبا	عسى أن يسح ويغدودقا ^(٢٩)

ومع ماحق بالدولة من تأخر واضمحلال فان الشعراء كانوا يأملون ان ترفع الدولة العثمانية من مستوى الشعب وتنظر اليه بما يستحق من عناية ورعاية خاصة والاوربيون يهددونهم في املاكهم بل يهددونهم في العاصمة نفسها وكانوا يرون ما يصيب الدولة جزءا مما يصيب الشرق اجمعه ولذلك كان الشعراء يشيرون النخوة الاسلامية والشرقية ويحاولون استنهاض الهمم الراكدة في نفوس الضعاف لذلك وجدنا الروح الشرقية تسير مع الروح الاسلامية او الروح القومية العربية في كثير من قريض شعراء هذه الفترة .

وقد كانت الحروب المتتالية التى تشن على الدولة سببا قويا وباعثا من بواعث استفزازهم الى طلب النجدة لانقاذ الدولة من التأخر والانحطاط الذى يهدد كيانها فقال الكاظمى معاتباً اولي الامر في الدولة العثمانية خلال حروب البلقان :

حماة العلى ! ضاق الزمان بحلمكم	الا غضبة تأتني بعذر الحوالم ؟
سكتم فغر الطامعين سكوتكم	الا كلمة من ذي هزاهز كالم
وداويتم بالحلم داء غرورهم	ورب جروح افسدت بالمراهم

(٢٨) الدد - اللعب العبث

(٢٩) الديوان ص ٤٧٩

تجوم على طيب الورود قلوبكم وعند الظبي رى القلوب الحوائم (٣٠)
اراد الشاعر ان يثير الحمية في نفوس العرب والنخوة الاسلامية في قلوب
المسلمين بذكر ماحاق بالنساء من انتهاك لحرماتهن ، ووصفهن يستصرخن ولامن
مغيث لهن من سطو المعتدين على حرماتهن فيقول :

ومستصرحات بالحمى تستفزكم لصون الحمى من عاديات المظالم
مخافة أن يسطى على حرمتها وهتك الهوادي دون هتك المحارم
اذا ما تشكت قلت في الخدر نائح يشاركه في الدوح نوح الحمام

اراد الكاظمي ان يثير النخوة الاسلامية في هذه النفوس النائمة نفوس
ابناء دينه وقومه وهددهم بما سوف يكون مصيرهم من استعباد وما سيكون عليه
مصير النسوة وهن بناتهم وزوجاتهم واخواتهم * والكاظمي طويل النفس جال
جولة تناسب وما عرف عنه من الاكثار ذهب فيه الى حال العالم العربي كله ..
وقد كان الشاعر مخلصا كل الاخلاص في روحه الاسلامية والخوف الشديد
من الفريقين وما يحملون معهم .. وقد كان شديد الرغبة في ان يرى الشرق
كله زاهرا زاهي المعالم لاسيما وقد رأى الحكومات التي انفصلت عن جسم الدولة
العثمانية قد ازدهرت وكونت حكومات لاتقل عمرا ونهضة وتقدما عن الامم
الاوربية التي تقدمتها في الاستقلال .. فكيف لاتتقدم الدولة التي انفصلت عنها
هذه الدول .. وصور لنا شعر الكاظمي الرائع في اسلوبه المخلص في النداء هذا
التأخر الذي هيمن على الشرق فما على الشرق الا ان يهب من هذا الرقاد والسكون

حماة العلى ! طال السكوت فعاذر اذا انطلقت أسيافكم في الجماجم
خصومكم ضلوا وطاشت سهامهم وما وسموا الا بشر الميــــــــاسم

الى ان يقول :

أرى دول البلقان طالت انوفها على دولة اثارها في المخاطم
بايمانها جاءت لثل عروشها ودك مبــــــــاني عزها والمعالم

وكل قصيدة من قصائد الكاظمي تصلح لان تكون سجلا حافلا بالقديم والحديث من مصر فهو يخاطب آل عثمان وكيف اصبحت رعاياهم ملوك بغى قلبوا لهم ظهر المجن ويمتدح اعمال آل عثمان وكيف شادوا المجد بالقتال وهدموا تيجان المتجبرين الغاشمين ، كل ذلك لان اعمالهم كانت جهادا في سبيل الله والحق والمكارم ويخلص من ذلك الى نداء عثمان الذي اصبحت ملكه بيد المغيرين ويريده ان يتفقط من رقاذه ليرد الباغين والظالمين من دول البلقان • والكاظمي يعكس لنا ما كان عصره يفكر فيه فيجب الاتهام الكاظمي بانه كان لا يريد الحرية والاستقلال وانما كان يحشى على قومه وعلى امته من ان تستولى عليها جموع الكـافـريـن

ويعتبر خصوم الدولة العثمانية خصوم المسلمين جميعا بقوله :

حماة حمى الاسلام ان خصومكم خصوم جميع المسلمين الاكارم
فلم يعدمهم صدق الاحاديث عنكم بافك وشايات العدى والنمائ

ويخاطب دول البلقان ان ترعوي عن غيها وغدرها من ان تشنها حربا صليبية ضد المسلمين فقال :

أفي أي حق غدركم بجواركم وفي أي دين حربكم للمسلم ؟
جنايته احسانه لجواره وآثامه رعى البغاة الاوائم
فما أنتم الا جناة تعودوا ركوب الدنيا وارتكاب الجرائم
تخيفوننا بالحرب ، والحرب عندنا لمن ألف العدوان أشهى المطاعم

ويتهددهم قائلا :

صليبية تدعونها ، ونعدها هلالية والسيف أعدل حاكم
وسوف ترى سوى القلائس ما الذى ستلقاه من كرات بيض العمائم

ويخاطب ابناء الشرق الذين عليهم المعول في الحروب ويحذرهم بقوله :

بنى الشرق هبوا ان في الغرب هبة تعد عليكم كل بار وحاطم
تسير الى ايمانكم بغلائل وتمشى الى أفواهكم بكمائم
اعدت عليكم منكم كل غافل وعدت لها أوطانكم غنم غانم
فهل وثبة ضارية بعد وثبة تقاوم دون المجد كل مقاوم !

أيا امم البلقان فيؤثوا لرشدكم ولا تتراموا في حضون الجواحم (٣١)

وقد اتخذ خيرى الهنداوي صورة جديدة في تأنيب العثمانيين فقد تصور
حادثة محيين كانا يعيشان في سعادة وهناءة وقد خيم الحب عليهما وسقامهما من
كوؤوس اللقاء مترعة في نشوة وجدل اذ هاجمت قوات البلغار المعتدية الدولة
التركية فما كان من الشاب (نجيب) الا ان يلبي داعي الجهاد للذود عن حمى
دولته والدفاع عنها وفي سلايك يلاقى مصيره المحتوم •• فتكب عليه حبيته
(اسماء) هلعنة جزعة فقد اختطف العدو حبيها الغالى واحاطوا بها من كل جانب
وليس لها من معين غير حشرات حرار ودموع غزار والاسر الذى يوصلها ذليلة
حسرى الى امير جيش الاعداء فتصرخ الفتاة مستغيثة تطلب النجدة والعون ••
فيجيب الهنداوى الحسناء بقوله :

يا هذه كفي الدعاء فقومنا	او تعلمين عن الدعاء نيام
ما القوم الا سحب صيف أردت	ثم انجلت بالريح وهي جهام
لا تستغيثي ليس معتصم بنا	كلا ولا فينا يعد همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا	فجميعنا بمماتها أيتام (٣٢)

هذ هو العهد العثماني واثره في الشعر العراقي حتى نشوب الحرب العظمى
الاولى وقد رأينا ما كان عليه العراق من تأخر شامل لجميع نواحي حياته الاقتصادية
والسياسة • ورغم ان الدستور أحيى موات الامل في نفوس العراقيين الا انهم لم
يروا ظلا للاصلاح الذى انتظروه طويلا ، فقد تعذر الاصلاح وبقي الدستور حبرا
على ورق وما فائدة الدستور وان ضم خير المواد التى تعود على ابناء الشعب
بالسعادة ، اذ لم تخرج هذه المواد الى حيز العمل •

لم يكن في طاقة الدولة القيام بالاصلاحات المنشودة لظروف أحاطت
بالاتحاديين انفسهم ولم تكن هناك أسس يتفق عليها الحكام لذلك ضاعت الدولة
باجمعها •

(٣١) الديوان ج ٢ ص ١١٠ - ١٢١

(٣٢) الادب العصرى ج ١ ص ١٧١-١٧٣

وقد كان الشعراء يؤازرون الدولة ويسيطرون في رجاها عندما كان الشعور الاسلامي هو المسيطر والخوف من الاستعمار الاجنبي يرعب المسلمين • ولكن هذا الشعور ضعف عندما نادى الاتحاديون بالطورانية •

وقد ارجأت البحث في الحرب العالمية الى فصل قائم بذاته لانها اشتملت على معارك واحداث متنوعة وقد كان لاثـر الحرب العظمى نصيب كبير في حياة العراق السياسية والاجتماعية واقتصادية •

ولابد من الاشارة هنا بان العثـور على شعر هذه الفترة كان صعبا ولم يتسن لى العثـور على اكثر ما قيل فيه لاسباب منها :

١ - زوال العهد الذى نظم فيه هذا الشعر ، وحلول عهد آخر مناقض له هو العهد الذى حكم فيه الانكليز وكانوا اعداء للاتراك •

٢ - ان النظم في بعض المناسبات او في بعض فترات من العمر تغير رأى الشاعر في المناسبة وفي شعر الشباب لذلك اتلف عدد من الشعراء هذا الشعر لتقدمهم في معارج الحياة الاجتماعية والفوز بالمكانة السياسية التى لا تتلائم مع ما نظموه •

٣ - اهمل بعض الشعراء تدوين الشعر والاهمال طبيعة في كثير من الشعراء • فضاع نتيجة الاهمال الشئ الكثير • ومع كل ذلك فالشئىء الباقي يعد قليلا وما نشر في الجرائد يعطى فكرة واضحة عن هذا العصر وان لم يعط فكرة عن اجواء بعض الشعراء انفسهم • ونحن نؤرخ العصر ونعنى به اكثر من عنايتنا بالافراد •

الفصل الثاني

أثر الحرب العظمى الاولى

١ - أهم معارك الحرب العظمى

٢ - معارك العراق

٣ - الاحتلال البريطاني

٤ - الحرب والسلام

اهم معارك الحرب العظمى

- ١ -

كان للحرب العظمى اثر ظاهر في حياة العراق ، فقد غيرت مجرى حياته السياسية والاجتماعية ، فقد دبت فيه حياة جديدة ايقظته من سباته العميق الذي كان يعيش فيه في عهد الدولة العثمانية ، اذ هزت الحرب بحوادثها وأجوائها العراقيين هزا عنيفا ، واستيقظت الازهار على صيحات القومية ، وشعارات الوطنية ، ورغبات الشعب في الحرية ، والاستقلال ، فأخذ بعض الشعراء يفكرون تفكيرا جديدا يخالف التفكير الاسلامي الذي ساد العراق طويلا والذي كانت اهم اسسه الجامعة الاسلامية ، فقد بدأت المطالبة بالكيان الذاتى ، والحكم المنفصل عن الدولة الحاكمة ، واهم حافز دعاهم الى ذلك ، هو الاحتلال البريطاني المباشر ، وتقسيم البلاد العربية الى اجزاء متباعدة •• وشدد هذه الرغبة في النفوس رؤية الجنود البريطانيين والهنود يحكمون بلادهم حكما مباشرا ، وغدت قضاياهم تدار من المندوب السامي والحكام السياسيين الذين لا تربطهم صلة بالعراقيين غير صلة القوة والاستعمار •• والقوانين التى فرضتها قوات الاحتلال^(١) والتشدد في تطبيق نصوصها بواسطة قوات الشرطة المحلية التى اطلقت عليها لفظ (الشبانة)^(٢)

(١) لاحظ بشأن عناية القوات المحتلة الاولى بالجيش والشرطة

Loyalties Mesopotania by A. T. Wilson, P. 66 London, 1936.

بقيت الادارة حتى تشرين الثانى سنة ١٩٢٠ عسكرية بالرغم من تسميتها
الادارة المدنية فقد فرضت من قبل السلطات العسكرية لظروف الحرب •

(٢) الشبانة : كلمة فارسية معناها حراس الليل

ولو قورن هذا العهد مع العهد العثماني فلن يجد العراقي مظاهر الاحتلال المادية التي يراها اليوم ، فقد كانت قوات الدرك محلية وكان بعض ضباط الجيش من ابناء العراق ولم تكن لمظاهر الحكم العثماني غير وجود حفنة من الموظفين الذين يوفدون من الستانة ، تربطهم مع الشعب رابطة الدين ، والجوار والتاريخ . . مع ان الوالى والقائد وبقية الموظفين كانوا يعينون من الستانة ، الا انهم لم يكونوا دائما من دم تركي ، وقد شارك بعض اعراب من السوريين وبعض الاكراد في مسؤولية الحكم في ادارة اقليم العراق ، يضاف الى ذلك ان هناك طبقة من الموظفين العرب ، كانوا قد تلقوا دروسهم في المدارس التركية جنبا الى جنب مع الاتراك ، وكانوا يرسلون معا الى المانيا لدراسة الاركان فلم يكن التمييز واضحا ، وغالبا ماحدث التزاوج بينهم . وعندما اندلعت الحرب كان العراقيون يحاربون في صفوف الاتراك في كثير من ساحات المعارك بينما كان الانكليز يختلفون اختلافا ظاهرا ويتعدون عن العراقيين في كثير من هذه الصلات^(٣) وشعر هذه الفترة السياسي كان متأثرا بعاملين مهمين :

الاول : العامل الديني : وهو الشعور الذي كان قد تربى عليه الشعراء فقد كان يهز مشاعرهم ويربطهم بالدولة العثمانية ، كما تجلى ذلك في الفصل الماضي وهذا الشعور دفعهم الى مساعدة الدولة والمبادرة الى انجازها متى ألم بها خطب ، او اعتراها امر ، وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص العميق الاخلاص في اعتقاده ، وكان شعره يصدر بدافع ذاتي محض ، ومنهم الشاعر المجلد الذي لاقدرة له على الوقوف امام الوازع الديني الذي كان يسيطر على الشعر آنذاك ، فيضطر لظروف متنوعة للنظم ، مجازاة او حب المشاركة والظهور .

(٣) النظام السياسي في العراق : محمد عزيز ص ٥١ قال جمال السفاح الذي شنى احرار العرب « اما العرب الذين تألفت منهم الفرقة الخامسة والعشرون فقد ادوا واجبه - فرقة دمشق - بمنتهى الشجاعة والاخلاص » لاحظ الثورة العربية الكبرى لامين سعيد ج ١ ص ٩٧ مصر ١٩٣٤ بصدد اخلاص العرب .

الثاني : العامل الخارجي ، وهو الرغبة في المنفعة الذاتية ، بغية التقرب من الحكومة ، وطمعا بما لها من قوة ، ودافعه الخوف من السيطرة والحكم . فقد كانت تركيا تحارب الحلفاء مع الالمان ، اى انها متفقة مع جماعة غير مسلمة ، بل انها أسلمت لها القيادة في العراق ، فقد كان قائد الجيش التركي السادس المانيا^(٤) وقف بجيشه للدفاع عن العراق ضد الانكليز فكيف يلائم الشاعر المسلم بين شعوره مسلما وبين شعوره مواليا لدولة يعدها كافرة ، ان المصلحة هي العامل الخارجي الجديد الذي ألجأ الشاعر لمسيرة ركب الدولة العثمانية المسلمة .

وعندما أعلنت الحرب العظمى ، بعد مقتل ولي عهد النمسا من قبل الصرب كانت هذه الطلقة عود الكبريت الذي اشعل البارود في العالم ، والطريف ان يتنازع شاعران عراقيان في صدى هذه الطلقة فقد رآها احدهما^(٥) قد اثار الفوضى والاضطراب ، في انحاء العالم ، وقلبت السلام رأسا على عقب ، والصربي رجل فوضى يستحق كل عقاب ولعنة ، بآثاره الحرب حتى فسد النظام فقال :

وما هي لو امعنت الا رصاصة	فكم خربت ملكا وكم اهلكت رهطا
اشاط بها الرامي ولو خال انها	ستحترق الارض العريضة ما اشتطا
رمي الطلقة الاولى فكان مجربا	وعاد الى الاخرى فا حكمها ضبطا
رماها وما ادراك اي رماية	اصاب بها قلب النظام وما أخطا
فوسطها قلباً ، شظاياها ، لو درى	من الدول الكبرى-هي الدول الوسطى
رصاصه ذاك الفوضوي هي التي	أرتك النظام الاجتماعي منحطاً ^(٦)

(٤) كان القائد الالمانى الفلد مارشال فون دركولتز

Feild Marschall Von der Goltz: My Compaiyn In Mesopotamia: Sir Ch. O. F. Townshend P. 11, London 1920.

(٥) لم يذكر الشاعر اسمه وانما وقع (شاعر)

(٦) دار السلام ١٥-١-١٩١٨

واما عبدالرحمن البناء ، فقد انبرى له قائلا : ان هذه الرصاصة ستكون
السبب في استتباب الامن والنظام وعودة الامور الى مجاريها .. هذه الظاهرة تدل
دلالة واضحة على ان الموضوعات العامة لم تكن تعالج معالجة جدية منبعثة من نفس
الشاعر ومشكلات المجتمع ، وكان الشعر وسيلة من وسائل ازجاء الوقت كما كان
في القرن التاسع عشر .. والا فهذا موضوع جديد طريف اتيح للشعراء ولم
يستفيدوا منه في بحث مشكلات الحرب وما تجره الحرب على الناس من
ويلات فلم يتناول هذان الشعراءان المصائب الانسانية التي تجرهما الحرب وكل ما
كان من أمرهما أن يتنازعا في الصربي الذي قتل ولي عهد النمسا أهو فوضوي
ام انه اراد الخير ! وهذا ما يقوله الشاعر عبدالرحمن البناء :

لقد اكبرت نفس الابي رصاصة	قد استعرت ملكا وقد حررت حرا
رمي كبد الفوضى بها واصابها	فأصمت وفي حسن النظام لها مجرى
والهمها روح العلاء - وقد درى -	من الدول الوسطى ستنتقم الكبرى
رصاصة ذاك الاجتماعي منذ دوت	أرتك انحطاط الفوضوي سما قدرا
درى ان في قتل الخصيم حياته	فاقصد منه قبل اطلاقها الصدرا ^(٧)

والحقيقة التي لامناص منها ان الدول ، كانت تبحث عن سبب لاشعال الحرب
لأنها كانت على اهبة القتال ، ولم يكن مقتل ولي العهد الاسيا تافها ، اتخذه هؤلاء
لايقادها وقد عالج هذا الامر محمد رضا الشيباني بقصيدة قال فيها :

وما حربنا المشبوبة ابنة آنها	ولا نشأت عن قتل من ولي العهدا
وما حمل الدولات ان تلج الوغى	تعاهدها بل انها اختلفت قصدا
فناشدة ثأرا لتدرك ثارها	وطالبة فتحا وحارسة مجدا ^(٨)

(٧) نشرت في دار السلام العدد ١٧ السنة الاولى ١٩١٨ بتوقيع « شاعر »
وقد نشرت في النور العدد ١٢٧ سنة ١٩٢٩ بتوقيع البناء الصريح وهي
كاغلب شعر البناء ضعيفة البناء والتركيب .

(٨) الديوان ص ١٧

واقعة الدردنيل :

لعل اول معركة حربية ، اثرت في الشعر العراقي خلال الحرب العالمية الاولى كانت معركة الدردنيل ، فلما اعلنت تركيا الحرب في الخامس من تشرين سنة ١٩١٤ ، ضد الحلفاء ، تلك الحرب التي لم تكن تريدها ، لما اصاب جميع مرافقها العامة ، من وهن ، سواء العسكرية منها او الاقتصادية . ارادت من اعلانها ان تتعلق بسبيل لخلاصها ، فقد رأى القادة ، انور ، وطلعت ، وجمال ، ان انتصار الحلفاء معناه استيلاء روسيا على الاستانة والمضائق ، فيجب مساعدة المانيا للمحافظة على تركيا نفسها ، وابعاد فرنسا عن سوريا وانكلترا عن العراق^(٩) فارادوا محاربة الحلفاء بغلق المضائق بوجه سفنهم الحربية لمؤازرة المانيا التي خسرت احدى المواقع الحربية^(١٠) خاصة ان جرجل اراد ان يهاجم المضائق ومخالفة اليونان ، ويوضح قصده ، الاستعدادات التي أقامها في مصر وقبرص ثم الانزال الذي أنزله الحلفاء لفتح طريق المواصلات بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود ، لمساعدة روسيا وقد بدأ الانزال في شباط ١٩١٥ كتدبير حربي ، ولكن القائد هاملتون ، لم يقدر على اتمام عملياته الحربية ، فقد حصن الاتراك المواقع الحربية في المضائق^(١١) وفشل الانزال وكان لفشل الانزال اثر كبير ، ورنه فرح ، في نفوس الشعراء ، فقد نشرت مجلة العالم الاسلامي ، التي تصدر في الاستانة قصيدة باللغة التركية ترجمها معروف الرصافي شعرا سجل فيها انتصار الاتراك وردهم المعتدين على اعقابهم منها :

(٩) على طريق الهند بغداد ١٩٣٥ ص ٢٢٢

(١٠)

W. Churchill, The World Cirisis (1910 - 1915) P. 229 - 235.

وعلى طريق الهند ص ٢٢٣

(١١) للتفصيل عن واقعة الدردنيل يقرأ المقال المنشور في ص ٥٢ وما بعدها في Incyclopeadia Britanica Vol. 7. London.

وقد كتب العسكري شيئا عن هذه المعركة في مذكراته ص ٤٦ ، ٤٧ .

تقحم ثغر الدردنيل مهاجما عدوان للاسلام ، في البر والبحر (١٢)
ولكن امد الله - بالنصر - جيشنا فكان - من الفولاذ - حصنا على الثغر (١٣)

وقد هاجم كاظم آل نوح هاتين الدولتين ، وقال : ان حصن الدردنيل حصن
مكن قوي تحرسه الاسود ، وعندما انزل العدو جيوشه ، كانت قوى الجيش
تقف لهم بالمرصاد فاذهلتهم وادهشتهم بعدها وعديدها :

حصن الله حوزة الدردنيل	بكماة غلب ، وآساد غيل
طهر الله ، ان تنجس منها	- باحتلال الاعداء - بعض الطلول
يوم سالت - انكلترا وفرنسا	بالاساطيل - مثل جرى السيول
وجموع ضاقت رحاب الفيافي	فيهمو ، والرغيل اثر الرغيل
جهلت للاسلام ، حصنا منيعا	عنه عادت ، بدهشة المذهول (١٤)

وقد بلغ من اعجاب البناء بالمحاربين ، ان تمنى ان يفديهم بنفسه لانهم حافظوا
الاستانة نفسها ، من عدوان الحلفاء وكبدوا الحلفاء الكثير فقال :

يا بنفسي من حافظوا الدردنيل	وعلى الائتلاف ، سدوا السيل
حافظوا مركز الخلافة ، حتى	عاد ما حاول العدى المستحيل
حصنوا ثغر بحرهم بدفاع	كم وكم أغرقوا به اسطولا (١٥)

اما موقف محمد علي يعقوبي فكان موقف المتهم ، على هذه القوات
التي هاجمت البسفور ، ولكنها لم تنل منه شيئا ، انما اكسبت الجيش العثماني
فخرا جديدا ، وعزا مجيدا . ولم ينس يعقوبي ما للامان من يد ، في مساعدة
الجيش التركي ، في طرد المهاجمين ، الذين ارادوا احتلال الدردنيل عنوة فقال :

(١٢) العدوان : فرنسا وانكلترا

(١٣) مجلة العالم الاسلامي ، الاستانة ، ٩ نوفمبر ١٩١٦

(١٤) صدى الاسلام العدد ١٥٨ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ

(١٥) صدى الاسلام العدد ٢١٥ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ

سلبها غداة ازدلفت للبوغـاز اذ خاب من خاب ، وفاز من فاز
لننا بها مكرمة واعـزاز والفوز أحرزناه ، أي احراز
وانكفأت اعداؤنا بالجرمان
قد أقبلت تطفو بها الاساطيل فنازلتها سيدنا البهاليل
نحسبها - يوم سطت - أبابيل ترمي العدى حجارة من سجيل
حتى انجلى النصر لآل عثمان (١٦)

وقد نشرت جل القصائد في جريدة صدى الاسلام ، في بغداد ومن هذه.
القصائد قصيدة لمحمد مهدي البصير ، عنوانها الى بطل العثمانيين أنور باشا ، يحيي.
فيها الوزير العثماني ، ثم يصف مشهد الحرب ، فيقول :

ولئن أتت للدردنيل فحاولت امرا ، به عنه ثقل وتصفـر
فلقد درى الاسطول كيف تذوده عنه ، المدافع بالصواعق تمطر
فكأنها كانت بأعلى جـوها سحبا ، عليه بالعذاب تسخر
ما ان تقابله برمي شواظها الا ورد مخافة يتقهقر
ومنها :

فعلى ضفاف البحر تلك تذوده ووراء لجته الفناء المضمـر
خبأت له الامواج نار وغى سوى ما فيه افواه المدافع تفتـر
فهناك قر الى قرارة لجـة والنار في حافته تسعر (١٧)

وأطرف قصيدة نشرت في هذا الحادث ، قصيدة محمد حسن أبي المحاسن ،
الذى اصبح فيما بعد وزيرا للمعارف . . فقد جمع فيها بين الغزل ، والتهكم ، على
قوات الحلفاء التي هاجمت المضائق فقد قال :

(١٦) صدى الاسلام ١٧٢ السنة الاولى ١٣٣٤هـ وقد نشرت القصيدة باسم محمد
علي يعقوب التبريزي .
(١٧) صدى الاسلام العدد ١٨٣ السنة الاولى ١٩٢٥ وقد تطرق الزهاوى الى
حرب الدردنيل في قصيدة له في صدى الاسلام العدد ٢٦٤ .

يوشادن اورثني جبه
عز علي الوصل ، منه كما
والكل منا لم ينل قصده
قد همت بالتغر وهاموا به
وفتحه كان لهم منية
أشكو ويشكوني الهدى ، والوغى
يا دولا فرّت أساطيلها
كانت غاليولى لهم مصرعا
دماؤهم مثل دموع النوى
قد صادني الغبي ولكنما
أودت بهم بيض حداد ، كما
ضيّعت قلبي يوم ترحاله
ولست مسؤولا بشرع الهوى
قد رجعوا بالعار ، لكنني
وجدت للحب بنفسى ، وهم
ان ندموا اليوم على ما مضى
قد نزلوا بالحرب أوطاننا

كالأتلافيين ، حزنا طويل
عز عليهم موقف الدردنيل
وهكذا من طلب المستحيل
والثغراء ما اليه سبيل
ومنتني أن أرد السلسيل
فكلنا يصلى بنار العليل
فرار سلواني وصبري الجميل
ومصرعي خد المليح الاسيل
على الظبا والخذ سالت مسيل
صادتهمو من تركيا اسد غيل
بالصب أودى سيف لحظ كليل
وضيعوا الشوكة يوم الرجيل
ان سألوا (كجنر) أو (جورجيل)
رجعت في العشق بمجد اثيل
قد آثروا جينا حياة الذليل
فلا اقبلت عشرة المستقيل
ونحن عجلنا القرى للنزيل^(١٨)

مجموعه القصائد

(١٨) صدى الاسلام العدد ٢١١ السنة الثانية ١٣٣٤ هـ وقد اثبت القصيدة كلها لطرافتها .

معارك العراق

- ٢ -

كان دخول العراق ، احدى الخطط التي أعدها الحلفاء للقضاء على تركيا ومبادرة العمل فيه . فقد علم الانكليز بعزم تركيا ، دخول الحرب ضدهم فبادروا الى انزال قواتهم في البصرة ، واحتلوها في ٢٣ من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥^(١) فهز انزال القوات الانكليزية مشاعر العراقيين اذ اخذ المستعمر يهددهم في ديارهم فقد وطىء أرض الوطن ، يريد أن يكتسح العراق ويحتلها ، فتنادى أبناء الشعب للجهاد ، وقتال المغير المعتدى . وقد ساهم رجال الدين مساهمة كبيرة ، فقد أصدروا فتاوى تحث الشعب على الجهاد والقتال في سبيل صيانة أرض الوطن . غير ان قوات المستعمر الحديثة ، واستعداده المتواصل ، اثر اثرا كبيرا في انتصاره وكان أثر اعلان الجهاد في الاقطار الاسلامية محدودا فلم يأت بالثمرة التي كان يرجوها الالمان - حلفاء تركيا - والذي اخاف الحلفاء طويلا^(٢) فبعد ان تسربت

(١) كانت انكلترة تعلم بعزم تركيا على دخول الحرب ضدها وقوى هذا الامر ان ابن السعود كان قد اخبرهم بذلك بعد ان انذره انور باشا بلزوم الاستعداد لمهاجمة الانكليز ، فقد سلم للمقيم السياسي نسخا من البرقيات المرسلة اليه ويضاف الى ذلك ما وصل اليهم من البصرة من ان الضباط الالمان في طريقهم الى البصرة . يمكن مراجعة ج ١ من كتاب
A. T. Wilson
بصد احتلال البصرة

(٢) R. Muir, Political Consequences of Great War, London, 1932.
P. 139.

الروح القومية بين أبناء الشرق^(٣) وأصبح الخوف من الاستعمار الغربي يروعهم ويدفعهم القتال أكثر من الفتاوى المحدودة الأثر ببناء القرى والعشائر ، فوعي ابن المدينة ، والرغبة في الحرية والاستقلال لم يتسرب بين العشائر فقد ظهر أثر هذا الوعي في الشعر بارزا واضحا . فقد نظم الزهاوى قصيدة طويلة هاجم فيها الانكليز المعتدين مهاجمة عنيفة نشرها في اعداد متسلسلة من جريدة (صدى الاسلام) خاطب فيها الجيش العثماني الذي ذهب لقتال الانكليز والقادم من قفقاسيا قائلا :

ألا أيها الجيش اللهم المعسكر تقدم ، فأت المستطيع المظفر
ويحيي فيها القائد أنور باشا ، ويذكر بلاءه في الحروب ثم يمتدح الجيش
الذي يفدي نفسه في سبيل الدين والوطن ، ثم يهاجم الانكليز فيقول :

وما هذه في السدر أول مرة رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بعوا مرة ، من بعد أخرى ، فأنكروا أذى البغي ، والتأريخ أمر مكرر

ويصف أعماله في جبهات مختلفة ويمتدح الألمان وأعمالهم وانتصاراتهم
بقوله :

بل الألمان اليوم من كل دولة أشد مراسا للحروب وأقدر
فكم غاص في أرض الفرنسيين جيشهم كما غاص في صدر طوى الحقد خنجر

وينظر الى الشرق وما حاق به من تهديد الاجنبى فيثير العزائم بذكر امجاد العرب ودفعهم عن ديارهم واطنانهم . وبعد ان يعدد اعمال الانكليز يعرج على

(٣) لما زحف الانكليز داخل العراق ، اخذ العلماء يستنهضون الناس للجهاد ومضى بعضهم مع العشائر الى القرنة فأرسل عبدالمطلب الحلي برقية فيها بيتان للشاعر باقر حيدر هما :

نحن بني العرب ليوث الوغى دين الهدى فينا قوي عزيز
لا بد ان نزحف في جحفل نترك نهبا - فيلق الانكليز
لاحظ (المهرجان الخالد لذكرى آل حيدر) قامت بنشره لجنة الاحتفال
طبع في النجف ١٩٥٣ ، المقدمة .

مهاجمتهم أرض العراق فيقول : ان مهاجمة العراق عار يصيب العرب أجمع ،
فيجب أن يقاتلوا حتى يخرجوهم من أرض الوطن ، والا فسوف يتواري قحطان
خجلا وما يذهب الخجل عنه الا القتال :

اذا داس رجل الانكليز ربوعها فلا (خندف) ترضى ولا (الوس) تعذر
ليخجل قحطانا - وينكس رأسه - قعود بنيه عن عدو يسيطر
اعيدوا - بنى عمى - الى العرب صيتهم ومجدا قديما ذكره يتكرر

وفي القصيدة تصميم على مهاجمة العدو والاستماتة في الذود عن الوطن
المستباح منها :

سأغسل عني العار بالسيف ، انه ليصدق عند الضرب ، أو يتكسر
فوالله لأأثني جوادى عن العدى غداة غد ، حتى يولوا ويدبروا

ويرى أن الحرب لن تضع أوزارها الا باعتراف الانكليز بأخطائهم ، وان
السلم لن يظهر ما داموا مصممين على الحرب :

نحارب حتى نأمن الغدر ، انهم متى يبصروا وهنا من الشعب يغدروا
الى ان يقول الانكليز بنفسهم نعم ، نحن اخطأنا السياسة ، فاعذروا
هناك فأمل أن يزول دجى الوغى وينشق فجر الصلح ، والسلم ينشر^(٤)

وللشبيبي قصيدة نظمها في واقعة سلمان باك بعد أن فقد المحاربون كثيرا من
القتلى ، قال فيها :

ايستبيح الحمى قوم أمامهم - ومن وراء الحمى غلب مساعير
يامن احبوا على الدنيا شهادتهم - تزينت لكم الولدان والخور^(٥)

وله قصيدة اخرى نظمها بعد واقعة (الشعيية) استنفر فيها العراقيين ،
والشعيية من المواقع المهمة الاولى في حياة الحرب فقد جاء القائد سليمان العسكرى

(٤) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، من سنة ١٣٣٢ وله

قصيدة اخرى في ديوانه المطبوع سنة ١٩٣٤ ص ١١٤

(٥) ديوان الشبيبي ص ٣٢

بك ، ومعه فريق من الجنود الأتراك ، متجهين نحو البصرة وهناك حدثت معركة كبيرة جرح فيها القائد التركي سليمان ، وبالرغم من انه اعيد الى بغداد وقضى شهرين في المستشفى الا انه ابى الا مواصلة القتال ، فقاد الجيش التركي نفسه ومازالت الجراح لم تندمل فاعدت له محفة تحمله وهاجم الانكليز هجوما عنيفا استمر يومين لم يصب فيه القائد اي نصر ، ثم انتصر الجيش الانكليزي في موقعة حاسمة واندحر الجيش التركي بين اسير وقتيل فما كان من القائد الا الانتحار ألما وحسرة بعد أن أبدى من الاخلاص والوفاء ، والاباء ما يستحق به أن يخلد مع الابطال ، وقد نظم محمد رضا الشبيبي في هذه الموقعة وأتى على كثير من تفاصيلها، ثم وصف القائد التركي بقوله :

وقائد حملوه في محفته	الى (الشعبية) من زوراء (بغداد)
أفانك بالعدى جيش مدبره	معطل الجسم ، ملقى فوق أعواد ؟
جری (سليمان) في استعجال مصرعه	مجرى كفاة بأمر الحرب قواد
قاد الالوف فأرداها وأتبعها	في الحال نفس أبي غير منقاد
مخاطرا عاش أعمارا لان له	في اثر كل نجاة يوم ميلاد ^(٦)

اما عبدالرحمن البناء ، فقد دعا الناس الى القتال وترك الكسل والتخاذل ، لان العدو ، قادم من مكان بعيد ، واي ذل اكبر من هذا الذل • واي جبن احط من هذا الجبن وهذه معاول الشرك الانكليزية تهدم صرح المجد الاسلامي في الشرق فقال :

بني العراقيين لا تنحط همتكم	فرب بارقة تجلى بها الظلم
بني العراقيين ! حلّ الخصم ساحتكم	وفي حماكم له مرعى ومغتتم
قد جاءكم من وراء البحر معتزما	وذاك عار عليكم ليس ينحسم
أجدادكم تحت طي الترب تندبكم	أين الجلالة أين البأس والهمم
فكيف يهنا لكم عيش بأرضكم	والانكليز بها يرسى لهم قدم

(٦) الديوان ص ٤٩ للشبيبي غير هذه القصيدة في الحرب العظمى قصائد في ديوانه لاحظ ص ١٢ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٤٧ .

لمن تشاد مبانيكم ومجدكم بمعول البغي والاشراك منهم
أنتم بنو الشرف الاعلى وعترته تمسكوا بعرى الايمان واعتصموا^(٧)

وقد تهكم البناء من ابناء العراق ، الذين يتركون العدو المغرور يحتل بلادهم ، ويتحكم في مصائرهم ، ومستقبلهم ، وحياتهم ، ولن يعيش الانسان الا مرة واحدة ، فيجب ان يعيش كريما عزيزا ، كما عاش اسلافه العرب ، سادة الدنيا والا فالموت خير من حياة الذل والهوان • وللبناء قصيدتان اخريان ، الاولى عنوانها (العيد والحرب) وفيها رسم صورة النسوة وقد ارتدين الحداد ، ولكن في اعيادهن السالفة يرفلن بملابس زاهية لطيفة •• رسم هذه الصورة ليثير نخوة المسلمين ، لمهاجمة الجيش الفاتح بلادهم ، ثم تصور فتاة حرة اية ، وقد غدت سبية بيد العدو ، وقد استاقها العليج أمامه ، وهي تصرخ وتولول نادبة أهلها وحمايتها وقد حملت ولدها الصغير •• رسم هذه الصورة الحزينة ليستنفر هذه الهمم الميته وليثير الشعب على المهاجمين ولترك القارىء يتبع هذه الصورة :

رب ، في الروع ، حرة قد سباه	علج كفر ، فلا يخاف الوعيدا
ساقها عنوة بسوط وجيع	غل منها سواعدا وزنودا
وهي تبكي أهلا ، وتندب بعلا	وتكنى آباءها والجودا
وعلى صدرها هنالك طفل	قلدته من الدموع عقودا
فاجأته رصاصة بحشاه	فهوى صارخا يكد الصعيدا

ولو عولجت هذه الصورة بشعر شاعر ذي اسلوب متين ، لخلد هذه الصورة ومع ذلك فقد كانت الفكرة بحد ذاتها فكرة رائعة ، ويستمر البناء في اتمام رسم هذه الصورة باضافة صورة الام التى قتل ولدها وهى تحمله والدماء تسيل على جسمها وقد ذهبت منه حرارة الحياة وبقيت برودة الموت ، وحيرة الام بين ترك ولدها الذى كان حيا يملأ قلبها املا وبين تركه على الارض بعد ان مات فيه رجاء الحياة ، وصف الام الولهى الحيرى المستاقفة عنوة بقوله :

(٧) صدى الاسلام ، العدد ١١ سنة ١٣٣٣

تركتـه رغما عليها وسقت وهي تلوي اليه عينا وجيدا
تتقي ستر وجهها ويداهـا في قيود ، من ذا يفك القيودا ؟!

وبعد ان اطمأن الى رسم هذه الصورة المثيرة المفزعة ، التي اثارت الغضب
والآلم ، والانتقام في النفوس ، دعا الى محاربة الاعداء واجلائهم عن الديار
والمواطن ليتم فخر المسلمين باخراج الكافرين .

أيها المسلمون ! لا فخر الا نجعل الخصم في القفار طريدا

ثم يصرح بوجه المسلمين داعيا الى الحرب مادام الموت نهاية كل انسان
فخير له ان يموت شهيدا :

فهلـموا الى النـفير سـراعا لا تهابوا مدافعا وجنودا
كل نفس مصيرها الموت ، لكن من يمت بالدفاع مات شهيدا^(٨)

وفي القصيدة الثانية ، ظهرت الروح الاسلامية جليلة ، فقد صور احتلال
الانكليز للعراق الذي سيحول الجوامع الى كنائس فيرسم الصليب على كل
محراب ، وقد عد المسيحيين من اهل الكفر ، الذين تجب محاربتهم ، وهذا
انعكاس لصدى افكار العصر البعيدة عن روح الاسلام ، فقد كانوا يعتبرون غير
المسلمين كفارا مع ان الاسلام صريح في عدهم من اهل الكتاب وانهم اقرب مودة
للمسلمين . غير ان الروح السياسية هي التي فرضت على الشاعر هذا الرأي ،
ولعل مرد هذا الحروب الصليبية ، لان العراقيين لا يسمون المسيحي بالكافر ، وان
العرب الاقدمين كانوا يسمونهم باهل الذمة او اهل الكتاب ، ولفضلة كافر كانت
تطلق على الاوربيين بصورة عامة وقد يكون للحروب التي كانت تشنها الدولة اثر
في اطلاق لفظة كافر على اعدائها فقد وجدت هذا النعت يطلق على الاوربيين فقال
البناء :

جوامعكم غدت بيعا ، وفيهـا سما فخرا ، على الحق الضلال
أيرسم فوق محراب صليب وفي افق الهدى يزهو الهلال

» (٨) صدى الاسلام ، العدد ٢٢ سنة ١٣٣٣

ويؤكد ذلك قوله :

كأني بالليوث الصيد صالت على الكفار فانخرج المجال^(٩)

وقد قيل الكثير عن الشعر في هذه الفترة ، ويمكن مراجعة دواوين بعض الشعراء الذين أثبتوا هذا الشعر في دواوينهم وفي جريدة (صدى الاسلام) كفاية للمباحثين فمن ذلك قول رشيد الهاشمي :

الى الوغى هبوا وحمل السلاح واسترجعوا ما فات قبل الصباح
من نام عن أوطانه غافلا يصبح في عرض ومال مباح^(١٠)

وقد كانت الحرب مستعرة الاتون لصالح الالمان اكثر من فائدتها للاتراك فقد اجبروا تركيا على خوضها^(١١) وقد ظهر ذلك في شعر بعض الشعراء ، واتجاهاتهم ولم تكن الفكرة صريحة فقد عرضت بتحفظ زائد فقد ابدى شكرى الفضلي رأيه فقال : اتنا في حربنا هذه ندافع عن الالمان ، وفاء منا للصدقة ، وحفظا للوداد ، مع ما في الحروب من احوال :

لندفع عن خلين من آل جرمن على حين قد خان الخليل خليل

وكان الرصافي وقت اعلان الحرب ودخول الانكليز العراق في الاستانة فدعا المسلمين الى الجهاد والدود عن الوطن الاسلامي ، في مختلف اقطاره ، وقد اعتمد في الدعوة الى الحرب على الناحية الدينية ، ولم يكن مندفعاً متهوراً يرسل القول على عواهنه ، انما نظم القصيدة بروح المتحمس العاقل الرزين فلم يقل ان الانكليز كفار ، يجب ان يحاربوا لكفرهم ، ولم يهاجم الصليب او يتطرق الى الهلال ومكانتهما ، فشأنه شأن المسلم المثقف ، الذي يعرف ما له وما عليه من امور الدين ، هاجم الانكليز لانهم شعب يريدون ان يستعمروا اوطانه ، ويهدموا الدولة العثمانية ، التي يدين لها بالولاء والابى الكريم لا يرضيه اذلال بلاده وامتهان

(٩) صدى الاسلام ، العدد ٤٨ سنة ١٣٣٣

(١٠) صدى الاسلام العدد ٤٧

(١١) على طريق الهند ص ٢٣٢

حرمتها فهو يحارب لان العدو قد دخل بلاده ، وعليه ان يحفظ بلاده ويحمي شعبه ، فهو يستنفر المسلمين قاطبة ويدعو كل قادر على حمل السلاح ان يذود عن هذا الوطن ، لان الواجب الوطني والديني يحتم عليه ذلك فقال :

يا قوم ان العدى قد هاجم الوطن	فانضوا الصواري واحموا اهل والسكن
واستنفروا لعدو الله كل فتى	ممن نأى في اقاصى ارضكم ودنا
واستهضوا من بني الاسلام قاطبة	من يسكن البدو والارياف والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن	به تقيمون دين الله والسنا

ولم يكتف الرصافي بمهاجمة الانكليز ، وحدهم انما تطرق الى موضوع آخر ، هو مهاجمة الذين ساعدوا الانكليز من العرب ، وشايعوهم في الصداقة فاصلاهم حربا شعواء من الهجاء ، لانه يرى مساعدة الانكليز الخيانة المتجسمة ♦♦ وسخر من الذين شايعوا الانكليز سخيرية لاذعة ، فهاجم حسين كامل خديوي مصر ووزيره حسين رشدي قائلا :

قل للحسينين في مصر رويدا كما	قد ختتما الله والاسلام والوطنا
شايعتما الانكليز اليوم عن سفه	تالله ما كان هذا منكما حسنا
قد بعتما الدين بالدنيا مجازفة	فكتتما في البرايا شر من غنا

ويتطرق الى مزايا الدين الاسلامي ويفخر بانه لا يد ان يسود وترتفع كلمة التوحيد ، ويخلق الرصافي في مدح الدين الاسلامي ، ويذكر ما فيه من شرف ومجد وان الرصافي يفديه بالارواح ، ومن ثم يتطرق الى ما حدث لوطنه العراق من احتلال فيقول :

ان العراق لعمر الله مسبعة	تواب الاسد فيه من هنا وهنا
دون الوصول اليه كل مشعلة	شعواء تترك وجه الشمس مكتما
فان فيه رجالا من بني مضر	اذا تحارب لا تستشفع الهدنا (١٢)

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٨١ ، المشعلة : غارة متفرقة تتأجج من كل جانب ، مكتمن : مختف .

وله قصيدة اخرى نظمها عندما دخلت ايطاليا الحرب ، وفيها فكرة خيالية
اذ رأى الطليان جماعة اقتربوا العار ، وزلوا زلة شعاء ، فهاجمهم هجوما اخرجهم
من طوره الهادى الوقور الرزين^(١٣) وقد اشترك بعض الشعراء في النضال
والحرب ، كالشبيبي ، ومحمد سعيد الحبوبي ، وعبدالمطلب الحلبي ، فقد استنهض
الحبوبي فيه القبائل للقتال والجهاد ، ويمتاز الحبوبي بالمكانة الدينية السامية
المرموقة ، ومن المؤسف اننى لم اعثر له على قصيدة في هذه المناسبة ولعله انشغل
بكل جوارحه وبكل مايملك من قوة في اتون المعركة الفعلية عن نظم الشعر
والجهاد بالنفس اُعلى وأثمن من الجهاد بالشعر^(١٤) .

وقد شارك علماء الدين بالفتاوى التي حثت المسلمين على الحرب^(١٥) ووزعت
بين القبائل لموازاة الدولة العثمانية التي تدافع عن الدين الاسلامى ، وقد لبى
الكثير نداء الفتاوى على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم مفضلين اهون العدوان
الذى تربطهم به الرابطة الاسلامية • ولم يكتف العلماء بالفتاوى وانما شاركوا
مشاركة فعالة في الحرب فقد حارب قسم منهم مع العشائر فقد ذهب صالح الحلبي
من النجف الى بغداد لكي يحرض الناس على الجهاد بخطبه وبيانه ، وقد بقي
الحلبي في بغداد حتى سقوطها بيد الانكليز ، لا يكل ولا يهدأ^(١٦) وقد كان
عبدالمطلب الحلبي يزور^(١٧) جهات القتال ، ويستنقز القبائل وزعماءها لمناصرة
الانراك ، يدفعه الشعور الديني المخلص^(١٨) ولم يكتف بالزيارة وتحريض
القبائل ، انما نظم قصيدة ، دعا فيها اخوانه العرب الى مشاركة الانراك في القتال ،

(١٣) الديوان ص ٤٨٩

(١٤) ترجمته في الحقائق الناصعة بغداد ١٩٥٣ لاحظ ١٥ ص ٣٦

(١٥) تراجع جريدة صدى بابل بصدد الفتاوى والتبرعات والاحتفالات بشأن
مشاركة رجال الدين في القتال .

(١٦) شعراء الحلة ج ٢ ص ١٦٣

(١٧) للسيد عبدالمطلب الحلبي دعوة للجهاد نشرت في العدد ١٣٦ ، ١٤٠ من

صدى الاسلام .

(١٨) شعراء الحلة ج ٣ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٤

لا لانهم يقاتلون عن بلادهم ، وانما لانهم اخوانهم ، ويجب حبيهم ومودتهم ،
واخذ يبرز الاعمال التي اقترفها الانراك في العراق من قبل بقوله :

رفقا باخوانكم يا عرب انهم لم ينصبوا قلبها حقاً لكم وجبا

ويؤنب العرب ، لانهم لم يسارعوا في ضرب الانكليز ، ويدافعوا عن العراق
عندما دخل الانكليز البصرة ، وقد سره أن يستمر خيون العبيد في حرب
الانكليز فقد اعطى مثلاً حياً للمواطنين ، ونموذجاً ناطقاً للبطلوة والكرامة ، فقال :

بنى العرب العرباء من نومكم هبوا نكستم وحرب الانكليز لحربكم وارسى على الثغر العراقي بغتة فما صمدت منكم لدى العز كربة فمن مبلغ العرب الكرام رسالة أبشهم من مؤلم العتب نفثة سأندبكم عرباً ، أقاموا بخطوة يسومهم الغدار خطوة نازل	ونهبوا الى الجلي ، فقد عظم الخطب تقدم لا يثنيه طعن ولا ضرب بعادية ، أضحى يضيق بها الرحب تعود لجيش الكفر وهو لكم نهب وان كان لاتجدي المراسيل والكتب بها ضاق رحب الصدور واعتلج الكرب من الضيم لا يرضى بها الرجل الندب على حكمه قسراً لها ذلت النجب
--	---

هذا عتاب مؤنب عميق اثره في نفس الشاعر ، سجل فيه الشاعر انهزام
القبائل ، وتفرق جموعهم بعد موقعة حربية ، غير ان خيون العبيد وقبائله ، ابدوا
من ضروب البسالة والاقدام ، ما اثار في قلب الشاعر المشاعر بالفخر والمباهاة
فقال :

ولولا رجال قد نماهم الى العلا فوارس من عليا ربيعة أحرزوا جزى الله (عبد القيس) أفضل ماجزى لقد فعلوا فعلاً حوى المجد كله	نزار ، لغنى في هجائكم الركب حديث علا ، في نشره ازدانت الكتب به عاملاً عن فعله رضى الرب وفازوا بأجر ليس يحبطه ذنب
---	---

وبعد ذلك يذكر المواقع الحربية التي انتصر فيها العرب على الجيش
البريطاني فيقول :

همو منعوا يوم (السويج) حريمهم بيض الظبا من أن يراع لهم سرب
وفي يوم (ام الملح) أبقوا مآثرا من المجد فيها لم تزل تفخر العرب
غداة البريطاني قد قاد جحفا لهاماً ، به نار المدافع لا تخبو
فردوه للاعقاب خزيان ناكصا فولى وفيه القتل والاسر والسلب

ويبدو اعجابه الشديد بالشيخ خيون العبيد ، الذي حمى الاسلام من
الاعداء واعاد للعرب كرامتهم ، وعزتهم ، ويصف هجماته ، على العدو الزاحف
دون أن تخيفه الاهوال ، أو ترعبه المعامع ، والمعارك ، لانه كالسيف عزيمة
ومضاء وقوة ويشير همته بما فكر فيه العرب من ترك دينهم والدفاع عن وطنهم
فقال :

أخيون ان العرب قد ألت العصا وبات على رأي هو السلم لا الحرب
وهان عليها دينها وديارها وليس فتى الاك تعلقو به العرب
فشمر الى الحرب العوان بهمة اذا صممت أمرا لها سهل الصعب^(١٩)

وقد سارع محمد جيب العبيدي ، فالف كتابين ، الاول اسماء (جبل
الاعتصام)^(٢٠) والثاني (جنایات الانكليز)^(٢١) وفي الكتابين يحرض الناس على
حرب بريطانيا فقد قال : ما كان عرش بريطانيا لتكلمه الحشمة وتظلمه العظمة
لولا أن دعائمه هم المسلمون فمن صالح بريطانيا أن لا يكون على وجه البسيطة دولة
اسلامية ، ذات حول وطول ، تستطيع ان تكون سنداً للذين يحملون عرشها
ويتخبطون في اغلال اسرها من اولئك البائسين . ولا ريب ان مناط تعزيز الدولة
وكونها قوية الشكيمة ، ذات حول وطول ، انما هو اتحاد الكلمة ، وجمع الشتات
والخلافة هي كعبة السياسة للمسلمين ، تتوجه شطرها وجوههم اينما كانوا ،
وتهوى اليها افئدتهم في كل مكان . وهي الرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية ،

(١٩) شعراء الحلقة حـ ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، راجع العدد ١٦٤ من جريدة صدى
الاسلام السنة الاولى ، لاحظ قصيدة اخرى له .

(٢٠) جبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام ، طبع في بيروت سنة ١٩١٦

(٢١) جنایات الانكليز على البشر وعلى المسلمين خاصة طبع في بيروت سنة ١٩١٦

والوسيلة العظمى للم شعث ، وجمع الشمل ، فهي اجدر من ان تكون تلك الدولة التي لا تستطيع ان تكون سنداً للبؤساء الذين يثنون تحت اثقال الحكم البريطاني من اخواننا مسلمين » .

ثم يصل الى قوله :

« من اجل ذلك كان الانكليز اكثر الامم ضرراً للمسلمين ، واشد الاقوام عداوة لهم واخلافتهم المقدسة • ولدينهم الميين ، ثم لهالهم المثل لعظمة هاتيك المقدسات^(٢٢) • فالعبيدى يرى الانكليز اشد الناس عداوة للاسلام واكثرهم ضرراً وبذلك يحذر المسلمين من الاستسلام لهم ، اما الكتاب الثانى ، فقد رأى ان جنایات الانكليز عمت البشر كلهم ، ثم يعدد مثالب الانكليز الذين يريدون ان يصيبوا كبد الهلال العثمانى والقرآن المجيد وان الانكليز ليسوا اعداء المسلمين فقط ، انما هم اعداء الشرقين عامة ، والانكليز يكرهون الدولة العثمانية ، لانها السبب في حياة المسلمين ، ومن القى نظرة على عناوين الكتاب يتضح له مقدار هذه الكراهية ، ومن هذه العناوين : عاصمة الانكليز وهيكل الظلم المشؤوم ص ١٢ ، كيف يسعد الانكليز بشقاء من تحت يدهم من الامم والشعوب ، ص ٣٤ ، ان الانكليز اكبر الجناة على المسلمين ص ٦٠ ، الجنایات المتسلسلة والجرائم المركبة من الانكليز ازاء المسلمين ص ١٠٨ ، ويضرب امثلة على جور الانكليز في اسيا وافريقيا ثم يلخص هدفه في بيتين كتبهما على غلاف كتابه هما :

يا اسارى الهوان قوما فقوما قد عرفتم جرائم الانكليز
فمتى تحطمون للذل قيـداً مستعينين بالقـوي العزيز ؟؟

(٢٢) حبل الاعتصام ص ١٢٠

معركة الكوت :

والحادثة الثانية التي اثرت في الشعر العراقي كانت معركة الكوت * وهي المعركة التي حصل فيها الانكسار على نصر ساحق * فبعد ان اخذ الجيش الانكليزي في احتلال أجزاء العراق الجنوبية سار بقيادة ناونزند لايقف أمامه شيء باتجاه بغداد * ولكن الجيش التركي صمد له قبل ان يصلها واضطره على الانسحاب * .
عقبه حتى وصل مدينة الكوت فتحصن فيها فأسرع الجيش التركي وحاصر المدينة * وقد طال امد الحصار الى خمسة اشهر حاول قائد الانكليز بكل ماله من قوة الخروج من هذا الحصار ولكنه لم يفلح * كما حاولت السلطات البريطانية امداد الجيش بالمؤن والذخائر لرفع معنوية هذا الجيش المحاصر * لكن المحاولات ذهبت ادراج الرياح * فقد نفدت الميرة التي بين ايديهم حتى اضطر المحاصرون على اكل لحوم البغال والحمير والخيول وبدأت معنويات المحاصرين تنحط يوما بعد يوم * حتى اضطر القائد الانكليزي على مفاوضة القائد التركي خليل باشا ، ولما لم يقدر على النجاة بشيء حطم معداته الحربية ومدافعه واستسلم للجيش التركي (٢٣)

كلف هذا الاستسلام الانكليز حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل ما بين ضابط وجندي (٢٤) وقد جاء هذا الاستسلام عقب انكسارات متوالية مني بها الانكسار وقوات العشائر التي ساندتهم وبعد ان هدد الانكليز بغداد نفسها * لذلك كان

(٢٣) للتفصيل يراجع الفصل السابع ص ٩١ - ١٠٠ من كتاب ولسن ومذكرات طاونزند

My Capaign in Mesopotania, by: Ch V. F. Townshend.

كما كتبت مجلة (العالم الاسلامي) التي تصدر في الاستانة مقالا عن تاريخ حملة العراق بعنوان (النصر المبين في العراق) في عدد مايو ١٩١٦ (٢٤) يذكر ولسن تفاصيل عن الجنود والضباط ص ٩٩ ويمكن ملاحظة الصفحات ١٥٧ - ١٨٣ ج ٢ من كتاب

The Compaign In Mesopotamia 1914 - 1918, by: F. T. Moberly, London 1930.

أثر هذا الانتصار عميقا أخرج النفوس من طورها أخرجها من الفخر والمباهاة بالنصر والتعنى بالموقعة الى الزهو والغرور • وزاد معنويات الشعب والدولة العثمانية فسرت موجة الغبطة والسرور في كل مكان

ان دوي المدافع الذي كان يفزعهم ابتعد عن اسماعهم فبعد معركة سلمان باك او المدائن^(٢٥) التي دامت اربعة ايام بلياليها واستعمل فيها السلاح الابيض تفهقر الانكليز أمام ضغط القوات التركية الجديدة بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك • وقد أجمع هذا النصر في قلوبهم الحماسة فسارعوا الى تخليد هذا النصر الذي حازه المسلمون على المستعمرين فقال ابو المحاسن :
سرت نفحة الظفر العاطرة بارحاء اوطاننا الزاهرة

ثم ذكر معركة سلمان باك التي أقرت عيون المسلمين ، الذين أخذوا حقهم من الاعداء وادركوا تأرهم منهم فقال :

فياوم سلمان انت الذي جعلت وجوه الهدى ناضرة
وقد ادركت ثارها المسلمون فيك من الفئة الدائرة

ويتحدث عن اعمال القائد التركي الذي نظم خطة الانسحاب من امام الجيش الانكليزي ليضربه ويفقده المبادأة التي اضطرتهم الى الالتجاء الى الكوت :
وخادعت انكلترا في القتال فاتخذت وهي الساحرة

ويسائل الانكليز علام جاؤا الى العراق ؟ الم يعرفوا المصير الذي ينتظرهم فيه ؟! وخاطب لندن قائلا :

اتيت العراق لنيل المنى وعدت على خيمة صاغرة^(٢٦)

وقد وصف محمد رضا الشيباني المعركة فقال :

(٢٥) كان قائد الجيش العثماني في واقعة سلمان باك « أو تل السور » نور الدين باشا ثم بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك •

(٢٦) صدى الاسلام ، ١٣١ - ١٣٥ ، وفي العدد ١٣٢ مقال نور الدين باشا وبسالته وما أحرزه من انتصار في واقعة سلمان باك •

تجاه ايوان كسرى مأزق ضنك
كادت تميز ذبا عن حقائقها
شاو تعاطت سباقا دون غايته
ان كان للخييل مضمار ومضطرب
قتلى « بدجلة » منها « دجلة » امتلأت
اودى الرجال به والخييل والعير
فيه النفوس وتستقرى التصاوير
جرد البصائر والجرد المحاضير
فكم خلت ثم للرأى المضامير
و «النهر واران» والانقاض والدور

ثم يصنف خاتمة هذا النصر الذي حققه الجيش بقوله :
يوم أعر من الايام منبليج وموقف في سبيل الحق مأثور (٢٧)

كان سيد الموقف في المعركة خليل باشا لذلك اتجه الشعراء اليه يزوجون
عبارات الحمد والثناء وكيف لا يكون سيد الموقف وها هو قد أسر جيشا
بكامله ورفع معنويات الحكومة التركية بأسرها ، ومن هؤلاء كاظم آل نوح :
فقد قال يحيى القائد خليل باشا الذي كان يحاصر الانكليز الذين يلاقون ما لا قوه
في حرب الدردنيل ويدعو الله أن يتم النصر للجيش المسلم على الجيش الكافر
المحاصر (٢٨) وفي قصيدة اخرى يحفز الجيش على الهجوم ويخوف الانكليز
من بلايا وقعاته ثم يخاطب القائد قائلا :

يا ايها القائد المحفوف في اسد تغدو لها الاسد اما تلقها بهما
لاتهدأ العين منا او نراك بـه قدرحت من جاحدى الاسلام منتقما
شدد عليهم ولا ترعى (٢٩) فهم لنا لم يراعوا في الوغى ذمما (٣٠)

ثم يدعو للمسلمين بالنصر ولخليل بالفوز وللخليفة بطول العمر . وفي

(٢٧) الديوان ص ٣٠ ويلاحظ قصيدة حسن النقي الدورى في جريدة صدى
الاسلام العدد ١٤٦ يحيى فيها انتصار الجيش ، وقصيدة لليعقوبى في
العدد ١٧١ يتطرق الى واقعة سلمان ، وقصيدة الزهاوى العدد ٢٦٢
صدى الاسلام والعدد ٢٦٣ يخاطب سلمان بك .

(٢٨) جريدة صدى الاسلام العدد ١٥٧

(٢٩) كذا ٠٠ بالاصل

(٣٠) صدى الاسلام ١٦٤ السنة الاولى

قصيدة اخرى يرى العدو قد دنس أرض العراق فيجب أن تطهر منه بالجلاد العاجل ولا تطهر الا بالدماء لان الجيش التركي لابد ان يفوز في الحرب وكيف لا ينصر وهذا قائده خليل باشا الذي يسيطر على جيش الانكليز وغدا تحت رحمته :

أسبيل الى الفرار لمن	أمسى محاطا بجحفل جرار
هو تحت الحصار مثل يفاث	ترمق الصقر وهي في الاوكار
افينجو من المية من قد	بات تحت الاهوال والاضطار
ان نجا من جيوشنا كيف ينجو	من شبا عزم فحلها الهدار
صاحب الحزم والثبات « خليل »	يوم حرب والفارس المغوار

ومادام الجيش الانكليزي في الحصار لا يقدر على ان يفك نفسه رغم قوته وعديده وقد اسلم نفسه للحصار ولم يقاتل في الصحراء فقد لطح نفسه بالذل والعار لان معارك الرجال تكون في خارج المدن لا داخلها فقال :

ما لجيش العدو في الكوت اضحى	فرقا جائسا خلال الديار
ان يكن مصحرا فما من عار	انما العار وهو تحت الحصار (٣١)

واخيرا استسلم الجيش الانكليزي بعد ان فقد امله وبعد ان انتظر طويلا مؤملا النجاة ، وبعد الاستسلام اخذ الاسرى سيرا على الاقدام الى الاناضول فمات في الطريق من مات مرضا او جوعا (٣٢)

وعندما استسلم الجيش الانكليزي بعد حصاره الطويل اقيمت الاحتفالات في كل مكان في المدارس والسرايات والشوارع وكانت مجالا لالقاء القصائد والمقالات والخطب وقد سجلت بعضها جريدة (صدى الاسلام) ومن هذه القصائد قصيدة لعبد الرحمن البناء يقول فيها : ان استسلام الانكليز هو غاية كل مسلم لان الملك لا يكون الا للمسلمين وللخليفة وقد رفع خليل باشا رأس أهل العراق بهذا النصر

(٣١) صدى الاسلام ١٧٣ السنة الاولى

(٣٢) ويلسن ص ١٠٠

وخطب القائد فقال عنه انه (مقدس القدر) له (رأس كالبدر لا يرقى اليه)
وان الانكليز جاءوا لاستعمار العراق ولكنهم باؤا بالخيبة والخذلان فهذا قائدهم
اصبح طائعا ذليلا صاغرا هصره الالم والهم وهاضت جناحه الذلة والمسكنة
اطاعك جيش الانكليز وهذه هي الغاية العظمى الى كل مسلم
أتى طائعا بعد الحصار مسلما اليك بوجه حالك اللون مظلم
يقاسى الاسى بل كاد يخنقه الاسى ويغضي على انف من الذل مرغم
لقد ظن ان الكوت يحمي جنوده وينجيه من باس الخميس العرمم (٣٣)

وظهرت في شعر عطاء الله الخطيب بادرة جديدة يجدر بنا التنويه بها هي
الاعتداد بالعرب وبالشعور القومي فرأى ان للعرب حقا في هذا النصر لانهم
شاركوا الاتراك في هذا الحصار وكان لهم دور فعال ، ولم يخص العرب بمثل هذه
الالتفاتة غيره فبعد ان افتخر بانتصار الهلال قال ان حزب محمد هو الذى انتصر
وان الهلال كالخنجر الذى طعن الخصم ، ثم غير الانكليز بخسران معركتهم في
الدرديل والكوت فقال :

اسود من الاتراك والعرب مالهم سوى السيف من خل وفي مواصل
فكم طوقوا جيد الزمان بعزمهم وكم اطلقوا كفا ببذل ونائل
كما اذا استافو الطلا فشرابهم عصير نفوس الشوس لاخمر بابل

ان قوله « اسود من الاتراك والعرب » شئ جديد بالنسبة للشعراء الذين
يذكرون أبناء عثمان ، وآل عثمان والدولة العثمانية والدين الاسلامي في شعرهم
وهذا دليل على تسرب بوادر الروح القومية في النفوس وان العرب بدأوا يفكرون
تفكيراً خاصاً بهم ، ويوضح ذلك قوله :

أتونا وقد ظنوا العراق واهله رقوقدا كما الاموات رقدة غافل (٣٤)

ولم يكتف الشعراء بمهاجمة الجيش الانكليزي الذى دخل العراق وانما

(٣٣) صدى الاسلام العدد ٢٤١ السنة الاولى

(٣٤) صدى الاسلام العدد ٢٤٥ السنة الاولى

نظروا شأن الشعر العربي عامة الى مواضيع مختلفة ، منها مدح القادة الذين تولوا هذه الحروب وقد مدحوا السلطان رشاد بهذه المناسبة لانه القائد الاعلى ولانه حامي المسلمين ، متخذين من الروح الاسلامية سبيلا لهذا المديح ، ولعل القائد خليل باشا الذي كان رجل الساعة قد ظفر اكثر من غيره بالثناء لانه كان قرب سمعهم وبصرهم فمن هؤلاء الشعراء كاظم آل نوح ، فبعد ان هاجم الانكليز الكافرين الذين جاءوا لمهاجمة المسلمين مدح السلطان الذي ارسل خليل الى العراق قال :

دام سلطاننا الذي فيه تحمى بيضة الدين صاحب الاكيل
دام للمسلمين حصنا منيعا اذ به اصبحوا بظل ظليل^(٣٥)

اما السيد عبدالمطلب الحلبي فقد كان في ساحة القتال ، فاخذ يستفز شعور المجاهدين ضد الانكليز الذين وطئوا ارض العراق وقد ظهرت اثار الفرحة واضحة على شعره فقد ارسل البشري الى جميع ابناء الشرق دون تفريق ، وثم هنا خليل باشا بفتح الكوت واخذ يذكر المجاهدين بالانتصارات التي حازها الجيش العثماني فقال :

بني الشرق طرا من سباتكمو هبوا هفت لكم البشري فقد فشل الغرب
بفتح به قرت من الدين عينه وسرت به الاتراك والعجم والعرب
وامتدح خليل باشا قائلا :

«خليل» العلي ترب الطبايل اخوا الحجي وحلف الوغي ان احجم البطل الندب
له راحة يوم الوغي تمطر الدما ويوم لقاء الركب نائلها سكب
هو الاسد العادي اذا صرت الوغي بانباها والضرب يتبعه الضرب

ثم تحدث عن القائد الانكليزي الذي اجبره القائد التركي على الاستسلام جوعا وان حرب الجوع اقوى من حرب السيوف ، وبالرغم من انني لا اتفق

(٣٥) صدى الاسلام ١٥٧ السنة الاولى .

معها على هذه الفكرة فانا لا تناقشها لانها فكرة آنية اضطر الى تبريرها الشاعر
يقوله :

فحاربهم بالجوع حتى تساقطوا الا ان حرب الجوع حقاهي الحرب (٣٦)

ومن رجال الدين الشعراء الذين هاجموا الجيش الانكليزي محمد علي
اليقوبي فقد كانت دولة انكلترا دولة عظمت كيرة العدد والعتاد والاستيلاء على
جيشها وحصاره كان شيئا كبيرا مهما لذلك كان الانتصار عليها انتصارا يتمشى مع
هذه العظمة ، فلا عجب ان يخلد حصار الكوت فقال من موشح له :

لله جيش المسلمين المنعموت كل حجي قد عاد منه مبهوت
صال على انكلترا وهي الحوت ولم يزل يطردها حتى الكوت
من بعد ما جاست خلال سلمان

ويسخر من بريطانيا التي رامت فتح العراق وكان الاولى بها حماية عاصمتها
لندن التي هاجمها الالمان بالمنطاد زبلن وقذفها بالقنابل واليران فاحرقها ! ولا اظن
ان لهذا الخبر من صحة لان المنطاد سريع العطب اذا ما اصاب بطلقة فكيف يقذف
اليران والقنابل ولكن الشاعر أراد أن يأتي بكلمة زبلن لضرورة القافية وأراد
الطيارة والمعنى يكاد يكون مبهما في البيت الاول :

قد عز يا انكلترا ما تبغين وراءك اليوم عن المعصومين
ليس العراق مثلما تظنين فلندن حام عليها زبلين
يقذفها قنابلا ونيران (٣٧)

وقد نظم علي البناء قصيدة يمتدح بها خليل باشا وفيها مدح السلطان

(٣٦) شعراء الحلقة ج ٣ ص ٢٠٦ ، وله قصيدة اخرى في العدد ١٨٠ وقصيدة

اخرى لكاظم آل نوح يمتدح خليل باشا ، صدى الاسلام العدد ١٦٤ ،

وله أيضا في العدد ١٧٥ مؤرخا ، وله قصيدة يخاطب الجيش العدد ١٩٠ .

(٣٧) صدى الاسلام ١٧١ السنة الاولى . لعله أراد من (وراءك) ارجعي عن

المعصومين بعناية الله ، وللبناء قصيدة يهنئه برتب اللواء العدد ٢١٥

وقصيدة لاسماعيل رئيس بلدية البغيلة العدد ٢٦٩

رشاد ذاكرا اعمال خليل باشا في سلمان باك وفي الكوت ومن ثم يقدم التهاني
للمسلمين جميعا منها :

لتهنأ بهذا ملة الدين الله	سرور بني الاسلام في كل ذي قطر
وتكسى فخارا آل عثمان سرمدًا	بما فيهم قد شد للدين من ازر
وسلطانها الغازي (رشاد) عمادها	وفخر بني الاسلام لابل مفخر الفخر (٣٨)

وقد امتدح محمد مهدي البصير وزير الدفاع انور باشا بقصيدة بعد معركة
الدرديل قال فيها انه صان تاج الخلافة وأمن الخائف من ابناء الامة وبذل جهده
في سبيل الاصلاح ورفع الظلم عن ابناء الشعب فقال :

عقد الاله لواءك فهو مظفر	بالنصر ما بين الممالك ينشر
واطال عنق الدين سيفك اذ غدا	في حده باع العدو يقصر
يا صائنا تاج الخلافة والذي	فيه اقيم سريرها والمنبر
مثل الخليفة من يكون محكما	بين العباد ومثلك المستور
مهت هذا الشعب ملتصا له	اصلاحه فيما تسر وتجهر
آمنت خائفة ورعت مخيفة	تنهى به عما تشاء وتأمّر
كم من يد اسديتها لك او جبت	شكر الانام ونعمة لا تكفر
كم ظلمة للظلم انت جلوتها	وبنور عدلك اشرفت يا (انور)
كم وقفة لك دون ملة احمد	فيها برأيك يل بسيفك تنصر

وتطرق الى سهره على راحة الشعب وامنه فقال :

كم ليلة ليلاء أنت سهرتها لتنام حولك اعين لاسهر (٣٩)
ولما وصل انور باشا بغداد وامتدحه ذاكرا نصر المسلمين ومعتبرا زيارته

(٣٨) صدى الاسلام العدد ٢٦٦ السنة الاولى

(٣٩) صدى الاسلام العدد ١٨٣ وذكرت صدى الاسلام في عددها ٢٢١ السنة
الاولى ان العرب في أمريكا اكتتبوا بمبلغ كبير لشراء سيف ثمين يقدم
هدية لانور باشا *

جهادا في سبيل الله والمسلمين ، واشرق بقدومه النصر الذي يرافقه اين ارتحل
فصاب الانكليز الخزي واضر بهم الحصار والاسر وغدت وجود المسلمين مشرقة
المحيا ناضرة غبطة وسرورا فقال :

انار حمى بغداد مذ جاء (انور) يواجهه عن الاقمار أبهى وانور
أتى وهلال النصر وسط لوائه يهلل بالبشرى له ويكبر

ووصف حال الانكليز وحال المسلمين بقوله :

أتيت وعيش الانكليز مكدرد وعيش بني الاسلام ريان أخضر

ثم قال له : انك جئت الى بغداد لكي تروع الانكليز والروس ولكن
الجيش الانكليزي جاءك اسيرا ذليلا طائعا :

أتيت لردع الانكليز وروسها فوافاك جند الانكليز يؤسر^(٤٠)

اما جميل صدقي الزهاوي فقد نظم قصيدة طويلة لم تتمكن الجريدة من
نشرها الا في اعداد متتالية^(٤١) خاطب بها الجيش العثماني ثم قال ان انور باشا ما
اختار خليل باشا الا بعد أن عجم عيدان قواده فوجده أشدهم قوة ومراسا ثم خاطب
انور باشا قائلا :

أنور أنت اليوم درع لامة يحاربها ثلثا الانام وأكثر
وانك سيف الله يمحو به العدى ويخذلهم حتى يموت التجبر
قدمت على رجب لبغداد انها لفضلك في هذي الزيارة تشكر
ليهنك ان الفوز في الكوت شامل وان فريق البغي أصبح يؤسر

ويقدم التهاني للجيش الذي فدى نفسه في سبيل الوطن ثم يهجو الانكليز

بقوله :

(٤٠) صدى الاسلام ، العدد ٢٥٥ ، السنة الاولى

(٤١) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وقد سبق

الاشارة الى هذه القصيدة في معركة الدردنيل .

وما هذه في السدھر أول مرة رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بغوا مرة من بعد أخرى فأنهزم أذى البغي والتاريخ أمر مكرر

ويعدد اعمال الانكليز في كل مكان ويمتدح الجيش الالماني ويحيى الموتى
من المسلمين ويتطرق الى واقعة سلمان باك وكيف تم النصر للمسلمين بعد معركة
حامية ، والطريف منها وصفه للطائرة في قوله :

وقالوا : بدت طيارة ستصيها قدائف من صهواتها تتفجر
أقلب طرفي في السماء فلا أرى سوى نقطة سوداء تخفى وتظهر
دنت فذاها كالعقاب تقلعها محرقة بالنار تغلى وتزفر
نصنا اليها مدفعا فأصابها وخرت على آلتها تتكسر (٤٢)

ومن الطريف ان نختم هذا الفصل بقصيدة نظمت على لسان انور باشا
بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب واحتل الانكليز العراق ، يتهمك الشاعر
ويسخر بها من انور باشا والقصيدة صورت نفس انور بأسلوب لطيف صورت
جشعه ورغبته في جمع المال على حساب الامة التركية ليرضى قيصر المانيا دون
الاهتمام بجوع الامة واوجاعها ويزيد الموضوع طرافة ان ناظمها هو محمد
مهدي البصير الذي مدح انور باشا ابان الحكم التركي قال فيها :

رجوت بموقفي فوزا مينا فسقت لك العذاب به مهينا
ربحت بك المواهب والعطايا فبت مع الشعوب الاخسرينا
اذا الدينار اسمعني رينا فديت لصوته منك الانينا
اصبت رضاء قيصري المفدى فأهون بالرجال الساخطينا (٤٣)

(٤٢) صدى الاسلام عدد ٢٦٢

(٤٣) دار السلام العدد (١٨) السنة الاولى ١٩٢٨ وقد قالت المجلة في عددها
العاشر المجلد الرابع سنة ١٩٢١ ان أنور باشا كان راكبا طيارة تشق به
عباب الفضاء في ديار رومية فسقطت به الطيارة فمات . ولاحظ العدد
الرابع من المجلد الثالث سنة ١٩٢٠ بأن طلعت وجمال ذهبا راكبين بطيارة
اثر انور فسقطت بهما الطيارة واسرا في بولونيا .

ويعصف ما اصاب غليوم من الرعب غداة الانكسار فقال ان تركيا قد بيعت
للالمان ولكن بارخص الاثمان • وان الخطة التي اتبعها كانت خطة خاسرة
كاسدة (٤٤)

والويل للمغلوب ، اذ تنقلب جميع اعماله الى سيئات ولا تظهر حسناته
التي ابرزها الشعراء انفسهم في حياته • وقد تكررت ظاهرة مدح البارزين وهجائهم
في الشعر العراقي الحديث • ولا لوم على الشعراء في ذلك فهذه طبيعة الشاعر
التي تهزه الاحداث فيندفع معها خاصة اذا كان الحديث يمس مصالحه الفردية •
كالخوف من اذى السلطان او الرغبة في الجاه والمال • ويظهر ابداع الشاعر متى
انصلت القضايا العامة بمصلحته الشخصية ، ويشجع الشعراء على التغلب التخلخل
العام في المثل الاخلاقية ، ومتى جاءت رغبة الشاعر متسقة مع رغبات الجمهور
معبرة عن اكثرية ساحقة اشتهر الشاعر وارتفع صيته •

فتح بغداد :

بعد ان حاصر الاتراك الانكليز في الكوت وبعد استسلام القوات الانكليزية
للجيش العثماني تبدلت معنويات الجيش العثماني ، وارتفعت ارتفاعا خرج عن
حدده ، وخاصة القائد التركي (خليل باشا) ، فبالرغم من وجوده في ساحة
القتال ، وكانت قوات العدو تحتل جزءا من العراق لم يتابع القتال لاجراجهم
نهائيا منه وانما ملأت القبطة اعطافه واخرجته الى الغرور فرفض كل المساعدات
التي كانت تريد ان تقدمها له الجهات العليا في الاستانة معتقدا انه سوف يدحر
كل القوات الانكليزية الجديدة التي تحاول التقدم الى داخل العراق ، ولم يكن
انور باشا (القائد الاعلى) يطمئن الى هذا القرار ، لذلك اكد له وجوب
المساعدة الا انه سخر من الانكليز واستخف بهم ، وترك الامور تجري دون
استعداد • اما الجيش الانكليزي فكان يعزز قواته خلال ثلاثة اشهر بالمدد والذخيرة

(٤٤) للبصير قصيدة عن حياة غليوم في العدد الخامس المجلد الثالث من دار
السلام سنة ١٩٢٠ تطرق فيها الى أعمال غليوم واحتلاله للدول المختلفة •

مستفيدا من الاغلاط التي ارتكبتها في حصار الكوت حاسبا حسابا دقيقا لكلل
 المفاجئات ، وعندما استكملت القوات الانكليزية عدتها بدأت بالزحف فاندحرت
 القوات التركية امامها متكبدة الخسائر الفادحة حتى اضطر خليل باشا الى ترك
 بغداد ، لانه لم يستطع الدفاع عنها فدخلها (مود) دون مقاومة في ١١ مارت
 سنة ١٩١١ . ثم اخذت القوات الانكليزية تتبع فلول الجيش التركي لاتمام
 احتلال العراق كله . ولم تجد المحاولات التي بذلها خليل باشا لاييقاف الجيش
 الانكليزي كما ان القوات التركية لم تتمكن من الوصول^(٤٥) الى العراق
 لاجاده^(٤٦) وبعد احتلال بغداد توفى الجنرال مود^(٤٧) فاخذ القيادة القائد
 مارشال واخذ يتقدم حتى اعلنت الهدنة ، وكانت الموصل تحت سيطرة الجيش
 التركي .

هذا موجز سريع لحركات الجيش الانكليزي في العراق وسنرى اثرها
 واصحا في الشعر العراقي الحديث ، فمن اهم آثارها بعد حصار الكوت ، كان
 فتح بغداد ، فقد وقف الشعراء من احتلال بغداد مواقف مختلفة ، فمنهم من
 ندب الاتراك ، وبكى امامهم ، وآلمه فراقهم ، مدفوعين بدافع الدين والوفاء العربي
 الاسلامي ، وقسم آخر من الشعراء أذهله هذا الفتح فجارى في امره ، فلم ينظم
 شيئا من الشعر ، اى انه وقف موقف المحايد ، ولعله خشي عودة الاتراك ، اوان

(٤٥) ألف الاتراك جيشا أسموه جيش الصاعقة لاسترجاع بغداد . وكان
 يؤمل أن يكون أحد قواده مصطفى كمال باشا وأن تكون القيادة لجنرال
 ألماني اعطيت له رتبة (مشير) مذكرات العسكرية ص ١٦٨ كما يلاحظ
 ١٥٤ - ١٥٧ ولاحظ بهذا الشأن الفصل ٣٧ مجلد ٤ ص ٩ من
 The Campaign In Mesopotamia 1914 - 1918.

(٤٦)

Loyalties Mesopotamia P. 228 Vol. 1

ويلاحظ الجزء ١٥ من المعلمة البريطانية ص (١٠١) ولعل خير مرجع
 للحرب في العراق

Mesopotamia Campaign 1914 - 1918 P. P. 212 - 250 Vol. 3

(٤٧) يلاحظ ويلسون ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ويلاحظ ٢٧٥ ما أشار اليه المؤلف .

الاحتلال الانكليزي ، لم يكن مرغوبا فيه لانه احتلال اجنبي ولانه مستعمر لا تربطه اية رابطة بالعراقيين ، دخل البلاد بالحديد والنار والدم وقلب الحياة العامة رأسا على عقب ، وقد وصف بعض هؤلاء الشعراء العراق وما حاق به ، وبغداد وسقوطها بصورة خاصة ، ومنهم من هاجم الاتراك مهاجمة عنيفة وسخر من قواتهم ومن هزيمتهم من بغداد وتبعثر جيوشهم •

ومما يؤسف له ان كثيرا من شعر هذه الفترة قد ضاع او اتلف عمدا ، ولكن الانثر الباقي يعطينا صورة واضحة عن حالة الاضطراب والحيرة والقلق النفسى لشعراء هذه الفترة كما عكست لنا النفسية البشرية ، في وفائها وتملقها ونفاقها وخضوعها للقوة ومداهنتها للمستعمر البغيض ، متناسبة كيف كانت بالامس تسبح بحمد الاتراك ، وتلعن الانكليز على محاولتهم احتلال العراق •

وقد مثل الرصافي الوفاء الاسلامي نحو اخوانه العثمانيين المسلمين ولم يتلف قصيدته او يحذفها من الديوان مع انه لم يسمح بنشر قصائد له في الديوان سبق ان نشرت او نظمت في مناسبات مختلفة ورجا الاستاذ مصطفى علي ان يدونها في الديوان الذي طبع في بيروت ، فاعطانا الرصافي مثالا في الوفاء والشجاعة ، فلم يجبن عن نشر قصيدته في ديوانه خشية ان يعاقب من الحاكمين او انه كان يطمع في عمل يتزلف به لهم •

وقصيدة الرصافي ، نظمها يرد بها على سليمان نظيف الذي كان واليا في العراق وقد احبه العراق لانه قضى جزءا من حياته فيه وقد لام العراقيين لانهم لم يساعدوا الجيش العثماني في الدفاع عن العراق ، فاجابه الرصافي على لسان دجلة قائلا :

هي عيني ودعها نضاح كل حزن لماثها يمتساح
كيف لا اذرف الدموع وعزي بيد الذل هالك متساح

وقد القى تبعة ترك بغداد على الاتراك الذين تركوها بيد العدو وخرجوا بسرعة ، وفي هذا اشارة لطيفة مؤدبة من الشاعر الرصافي ، على عدم استئصال الاتراك في الدفاع عن العراق فقال :

ابن اهل الحفاظ هل تركوني نهبة ، في يد العدو وراحوا
مرحوا وادى السلام عجباً لا افجد براحمهم او مزاح
مالهم يبعدون عني انتزاحاً وعزيز منهم على انتزاح

ثم يصور الرصافي ألم دجلة لفراق الدولة العثمانية وكيف يتنهّد هذا النهر
ألماً وحسرة لهذا الفراق ، وكيف تساب دموعه غزاراً فقال :

فمياهي هي انسكاب دموعي وخيري هو البكا والنواح
او ما تبصر اضطرابي اذا ما خفقت في جوانبي الارواح
ليس ذا الموج في موجا ولكن هو مني تنهد وصياح

ويختتم قصيدته بيتين جميلين فيهما النجوى والحنين الى الاثراك بقوله :

انا باق على الوفاء وان كا نت بقلبي ممن احب جراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغيهم شكايتي يا رياح^(٤٨)

اما الموالون للسلطات المحتلة ، فلم يكن ليحراً احدهم على نشر اسمه
الصريح في الجريدة التي انشئت في بغداد لنشر الدعوة لهم والتغني بامجادهم ، ففي
عددّها الاول زعمت ان انكلترا محررة العرب^(٤٩) بل كانوا ينشرون قصائدهم
بتواقيع مستعارة ليتستروا على السير في ركب الاستعمار الجديد خوفاً من القول
بانهم موالون للمستعمرين ، وانهم خونة يمجّدون الاستعمار ، والاحتلال الاجنبي
وقد تجرأ الزهاوي وحده على نشر اسمه صريحا ، اذ اراد ان يرد الامن لقلبه ،
والطمأنينة الى روحه ، بعد ان هجاهم بقصيدة زمن العثمانيين فاراد ان يكفر عن
صينته لكنه امعن في اذلال نفسه في امتداحهم والتقرب اليهم .

وقد نشرت قصيدة بتوقيع « ابن ماء السماء » نظمت اثر سقوط بغداد بيد
الانكليز حاول الشاعر ان يكون مؤرخاً ومصوراً فقد وصف ساعات الاضطراب
والفوضى التي حلت ببغداد بعد انسحاب الاثراك ناغياً عليهم ايام حكمهم فقال :

(٤٨) الديوان ص ٤١٠

(٤٩) عددّها الاول الصادر في ٤ تموز ١٩١٧

ما بال بغداد قد ضاقت بها الحال وخفّ بالاهل منها اليوم ترحال
 بالامس كانت بقايا الجند رابضة فيها وللناس اشغال واعمال
 وكان للترك فوضى من تجبرهم واليوم للترك لا قيل ولا قال
 كانت بها غرفات الظلم شامخة ما أصبح الصبح الا وهي اطلال

وقد وصف الشاعر ليلة سقوط بغداد وما اعتري الناس من خوف وهلع ومشاركة الطبيعة في زيادة هذا الخوف بهبوب عاصفة ترابية ووصف اللصوص وهم يهبون ويسلبون ، وقد تفردت القصيدة بناحية طريفة هي تصويرها النفسى لمشاعر الناس الخائفين واضطرابهم . بعد ان فقد الامن والنظام في البلدة ، ورسم الحيرة التي كانت تعلو وجوه الناس في هذه الليلة . فهم لا يعرفون اين يذهبون واين سيكون الملجأ ، بعد ان خرج الاتراك من بغداد واعتزم الانكليز دخولها . وهم كافرون مستعمرون أسيأمنون على ارواحهم واعراضهم واولادهم واموالهم ؟! هل سيفتك بهم هذا الجيش الداخل بلدهم ؟! فالهروب من الموت والخوف على الاطفال والجزع من الفضيحة ، كلها امور اخذت تتاب هذا الشعب الذي ابتلي بالاستعمار . وساعد على هذا الهلع جماعة من ابنائه الذين اغتسموا هذه الفرص لاشباع رغباتهم في السلب والنهب فقال :

ليل السقوط بدا بالنحس طالعه تصادمت فيه بالاهوال اهوال
 ريح ورعد وبرق واصطدام وغى كأنما ازدحمت في الافق آجال
 للسلب والنهب بين الناس معترك لكن قتلاهم في السوق اموال
 من فوقهم صاعقات الحرب نازلة وهـد بنيانهم من تحت زلزال
 وللمدافع رعد في سمائهم تكاد منه عقود النجم تنشال
 وللرصاص صفير في مسامعهم وللخيالات في الافكار اشغال
 وللرجال من الارهاب زمجرة وللنساء ابتهالات واعوال

وقد ظهرت الصور الانسانية والعواطف المضطربة ، في وصف الشاعر لسيدة تقود طفلها وهي تركض في الشوارع حيرى ، تبحث عن ملجأ تقر فيه ، وتسكن اليه ، وهي وحيدة ليس لها من تلوذ به ، فاخذ يواسيها في محتتها وبلواها

لان الجميع مشغولون بانفسهم يريدون الفرار بانفسهم ، وبارواحهم راكضين
 ذاهلين بلا وعي ولا شعور ولا ارادة • لان نيران الحرائق التي تلتهم الابنية
 والبيوت تزيد في الهلع والخوف فقال :

لاحت لي امرأة في السوق ماشية	ودمعتها فوق صحن الخد هطال
تقود طفلا صغيرا وهي صارخة	رحمك رباه قد ضاقت بي الحال
وقد غدوت عن الدنيا مجردة	لا والد لي ولا عم ولا خال
ولا شقيق ولا زوج ولا صلة	ترجى ولا لي بها دار ولا مال

ثم يحدثها الشاعر ويسليها ويعزيها ويشيرها بتحرر العرب من الاسر
 التركي ونيلمهم مطالبهم ، لان الانكليز يعرفون للعرب حقوقهم لانهم يحترمون
 اصدقاءهم •• ويبدو اثر الافتعال على القصيدة والتظاهر بالقوة والرجولة ، فيعد
 ان وصف البناء ليلة سقوط بغداد وشغل الناس بانفسهم • اراد اثارة العاطفة
 الانسانية في النفوس فوفق الى هذا لكنه هبط هبوطا واضحا عندما ادعى انه وقف
 واخذ يحادثها ويبعث الثقة في نفسها ولو قال انه اخذ يركض معها ليقننها من
 النيران ومن القنابل ومن ارجل الهاربين لكان في ذلك بعض الصدق وكان
 تمثيلا للمواقع اذ ان موقف الرعب الذي وصفه في مطلع قصيدته لا يتفق وهذا
 المشهد لان الانسان عند اندلاع النيران ومهاجمة الموت لا يقف ويتحدث وانما يتبع
 عقله اللاواعي فيركض لينجو بنفسه من الموت • بيد ان البناء جانبه الواقع ولم يقدر
 ان يلائم بين اجزاء القصيدة وقد جره الى ذلك رغبته في التخلص الى مدح الانكليز
 حينما سارع الى التلطف اليهم واسباغ الشناء عليهم قبل ان يثق بهم ويجربهم •
 فقد نشر قصيدته في جريدتهم بتوقيع مستعار واراد ان يمدح العرب فساء اليهم
 لانه قال ان اسارهم فك بعد الاتراك عن العراق وان العرب قد حصلوا على مطالبهم
 بفضل الانكليز ومساعدتهم للعرب ، كما شوه الصورة الانسانية التي رسمها
 لنسبده ووطنها لانه حشر مدح الانكليز حشرا فقال :

ألست من امة العرب الاولى نجحوا	وفك عنهم بعد الترك اغلال
فاستشرى انهم نالوا مطالبهم	بفضل قوم لهم فضل وافضال
الانكليز هم ما خاب صاحبهم	ولا هم بحقوق العرب جهال

ثم يصف الشاعر هزيمة الاتراك الى جبل حميرين وفضل هذا الجبل عليهم اذ لولاه لافنى الانكليز جمعهم وابادوهم .. ثم يهاجم الاتراك الذين جحدوا النعمة وابتعدوا عن الهدى راكنين الى الظلام مبتعدين عن الحق فقال :

الترك قد تركوا بغداد وانهمزوا من بعد حرب لها قد شيب اطفال

ثم يقول :

لولا الموانع من «حميرين» تمنعهم
أهلهم موقف ضاق الزمان به
لأنهم جحدوا النعمى وما شكروا
عالوا على العرب في تبعيدهم فغدوا
لم يبق منهم بهذا القطر خيال
زرعا وليس له في الدهر امثال
وعن طريق الهدى في غيهم مالوا
كأنهم فوق رعن الطود اوعال

اسلوب الشاعر ليس من الاساليب العالية ولا شعره من المتانة ما يصل به الى الشعر المقبول ، وانما نستشها به لانه سجل لنا هذه الفترة تسجيلا واضحا^(٥٠) وقد تطرق في القصيدة الى حوادث معينة مثل نسف باب الطلسم - احد ابواب بغداد القديمة - اذ اتخذ مخزنا للبارود فلما اراد الانكليز دخول بغداد نسفه الاتراك قبل الانسحاب منها . وتحدث عن تاريخ بناء الباب الذى كان جزءا من سور بغداد فهاجم الاتراك الذين نسفوا هذا البناء التاريخي .

ومن القصائد التى نشرت في جريدة العرب قصيدة ابن الفراتين التى وصف فيها رحى المعركة التى دارت بين الاتراك والانكليز والتى ادت الى استعمال السلاح الابيض . والقصيدة بعيدة عن روح الحقيقة ولم تدر مثل هذه المعركة بين الانكليز والاتراك انما اخلاها الاتراك دون مقاومة^(٥١) ولكنه شاء ان يحلق

(٥٠) جريدة العرب الاعداد ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، من شهر ايلول ١٩١٧ م وقد نشرتها الجريدة في الصفحات الاولى واعيد نشرها مع بعض التغيير في (ذكرى استقلال العراق) ص ٦٣ - ص ٦٨ المطبوع في بغداد ١٩٢٧م

(٥١) العسكري في مذكراته ص ١٥٠-١٥١

في خياله الشعري فاختلق هذه المعركة ، وتصح القصيدة ان تكون لمعركة من معارك الحرب العظمى ، فقد حدثت مثل هذه الالتحامات بين الجيوش ، ولعله اراد رسم صورة لاحدى هذه المعارك او انه وصف معركة رآها بنفسه وبقي اثرها في اللاشعور وظهرت بهذه المناسبة مع اضافة شيء يناسب الحادثة التى حدثت في بغداد او انه نظم القصيدة قبل سقوط بغداد فليس في القصيدة من حادث معين يشير الى سقوط بغداد سوى العنوان وهى تصلح ان تكون لاي معركة قال :

تقلصت شوكة الاتراك في افق	دامي الذبول صريع الرجم ملتهب
تضمه الزعزع النكباء مشفقة	تكاد تخطفه من موقف العطب
وعندما اتصل الجيشان والتحما	بكل اشعب خواض الوغى درب

ثم وصف المعركة المستعرة بقوله :

واوغل الطعن في جذر النفوس وقد	تسمرت ناره في النبع والغرب
واصفر ثم اكف البهم صائلة	واحمرحد السلاح الابيض الذرب ^(٥٢)

ويتحدث عن انسحاب الاتراك بعد ان حامت الطيارات فوق جيوشهم مضطرين متقهقرين . ثم يدخل الموضوع بعد جولة طويلة ويصف نصف باب بغداد واثر النسف في الناس وماحق بهم ووصف اللصوص وهم يسرقون وينهبون ويهرولون نحو السوق يحدوهم الجشع والطمع والشراسة فقال :

فاضرموا النار في بغداد من حلق	كأن بغداد ردتهم على العقب
وفرقوا مؤنا للحرب فانفجرت	تواصل النسف في الابراج والقب
فهزت الارض زلزالا صواعقها	كأنما الارض مهد الخطب والغضب
فالناس امسوا سكارى حيث ليس لهم	الا الجنون وليس العقل من زقب
خارت قوى الحس فيهم حيث لم يجدو	لالحياة ولا للموت من سرب ^(٥٣)

(٥٢) جريدة العرب العدد ١١ ، وفي العدد ١٠ ما يؤيد بان القصيدة نظمت لغير هذه المناسبة وقد تحدث فيها عن مشانق الشام ومن شنع من احرار العرب .

(٥٣) جريدة العرب العدد ١٥ السنة الاولى والعدد ٢٠ سنة ١٩١٧م ذكر لهروبهم الى سامراء .

ولم يكتف الشاعر بمهاجمة الأتراك وتغنيهم بل اخذ يتهمهم بالكفر والشرك ويعيرهم باجدادهم الذين يعبدون الثور ويذكر ماصنعه المغول وجنكيزخان من المضائح مذكرا الأتراك بدعوتهم الطورانية التي مزقت المسلمين شر ممزقة ففقدوا عطف الامم الاسلامية والعربية معا ، وقال متهمكا :

رب المغول هو الثور الذي انتظمت	جماجم الصيد قهرا منه باللب
ايديه تربو على العشرين حاملة	اعضاء انسان او آلات محترب
هو الذي ارشد الأتراك منظره الـ	قاسي الاليم الى التدمير والحرب
احرقتم الحرث والنسل ابتغاء هوى	ورحمة منه فوزوا اليوم بالارب ^(٥٤)

قد يقف الباحث في حيرة من حالة الشعراء ويتساءل متعجبا عن سبب هذا النقلب من مدح الأتراك الى هجائهم • فلو اخذنا « صدى الاسلام » وجريدة « العرب » لوجدنا شيئين متناقضين فقد مجد الشعراء رجال الدولة العثمانية واعمالها في العراق ونظروا اليهم نظرة الاخ لاختيه ثم انقلب هؤلاء الشعراء الى هجوهم وحربهم ولصق كل تهمة بهم وكل بلية جاءت العراق ، فاتهموا بالهزيمة طورا وبالكفر والشرك مرة وتصلوا عن اخطائهم وصلاتهم بهم آونة واخرى • وليس هناك اى تناقض في الامر انما هي حقيقة النفس الانسانية في اجلى صورها فقد كان العصر عصر اضطراب وبلبله فكرية وقلق نفسى من جراء الحراب اعقبها انتصار جيش على جيش وهزيمته •

والمنتصر الذى يريد ان يطمس ما للناس من فضائل وميزات ، ويريد ان يكون هو وحده صاحب كل فضيلة او رأس كل خير وان عهده هو عهد الرخاء وعهد الامن ، وعهد الهناء والعيش الرغيد ، ويصم العهد السابق بانه عهد الجوع والاستبداد والظلم ، والطغيان لكى يثبت اركان ملكه وحكمه ، والحقيقة ان ليس هناك من فرق من حيث الاستعمار فهو احتلال في جميع صورده •

(٥٤) جريدة العرب العدد ٢٠ السنة الاولى ١٩١٧ والقصيدة تقليد فاشل لقصيدة ابى تمام المشهورة :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ان كثيرا من الذين مدحوا الاتراك ، وساروا معهم شوطا بعيدا ، كانت تدفعهم الحمية الاسلامية والحمية العربية ، دفاعا عن اوطانهم ضد الاستعمار الانكليزي الجديد ، ومنهم جماعة كانت مخلصه كل الاخلاص لدينها ، وعقيدتها فقد اشتركوا بانفسهم في حرب الانكليز ومات الجبوبي كمدا لما خسرت الجيوش التركية الحرب ، واحتل الانكليز جزءا من العراق (٥٥)

وقد ثبت منهم في عقيدتهم في تفضيل الحاكم المسلم على غيره ، اذا كان هناك تفضيل بين احتلالين . وقد نشروا قصائدهم بتواقيع صريحة ، فما يجد الباحث قصيدة نشرت الا باسم صاحبهم لان العمل في سبيل نصرة دينه جهاد . اما الذين مدحوا الانكليز فقد كانوا خائفين ، وجلين مضطربين ، صوروا الحالة النفسية المضطربة التي تعقب الحروب ورسم لنا المثل العليا والاهداف الاجتماعية السامية التي تختلف باختلاف الحاكم . واضطراب هذه المثل شيء حتمي في مثل هذه الظروف والتقاليد والمثل صورة صادقة لكل مجتمع . تعكس التيارات الفكرية والنفسية فهو الذي يصنعها وهو الذي يفرضها ويحميها . ومن المثل العليا التي سادت هذا العصر الامتناع عن الاتصال بالانكليز واعتبار كل ماذح لهم من المشركين والكافرين ، لذلك اختفى المادحون وراء اسماء مستعارة تخلصا مما يصبه عليهم المجتمع من نقمة . والسبب واضح لان الانكليز يختلفون عن العراقيين في الدين ، والتاريخ والدم والعادات وليست هناك اية رابطة تربطهم معهم سوى الاستعمار والقوة والحديد . وهناك سبب آخر منع العراقيين من مدح الانكليز هو الخوف من عودة الاتراك والتشكيل بهم كما صنعوا بعد حصار الكوت ، فقد نكلوا بالذين تعاونوا مع الجيش البريطاني .

وملاحظة جديرة بالاهتمام ان شعر الذين مدحوا الانكليز لا يرقى الى مستوى الطبقة الاولى من الشعر العراقي فقد كان مبعث النظم الخوف من المستعمر او الرغبة في الاموال السخية التي كان يصرفها لكتاب جريدته . . . والانتهازيون في كل عصر وفي كل زمان يحتفلون بالقدام الجديد ويمجدونه حبا في مناصبه وماله . . . ولا يهمهم غير انفسهم وجيوبهم .

الاحتلال البريطاني

- ٣ -

بعد أن أعلنت الهندنة وبدأ الاستعمار الغربى يقسم البلاد العربية ، شعر العراقيون بثقل وطأة الاحتلال الانكليزى ، وبدأت الدعاية في تمجيد الحاكم الانكليزى في العراق وذب العهد التركى . وساهمت جريدة العرب التى كان يصدرها الاحتلال ويشرف عليها الاب انستاس الكرملى مساهمة فعالة في هذا الميدان ، ففى عددها الاول نجد الدعاية الواضحة في كل مانشرت ، فقد نشرت نداء الجنرال مسود الذى يقول فيه « ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين او اعداء ، بل بمنزلة محررين ، فقد خضع مواطنوكم منذ ايام هولاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم ، وتجردت حدائقكم وأنت اشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق لقد سيق ابناؤكم الى حروب لم تشدوها ، وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة^(١) » ومنى العرب بالحرية والاستقلال بعد ان آذاهم « الظلمة الغرباء » . وتحدثت الجريدة في اعداد اخرى عن فظائع الاتسراك الاتحاديين في بلاد العرب مثل « انحطاط الامة العربية في عهدهم » « وما قاساه العرب من الترك في بغداد » وغير ذلك مما تطفح به صفحات هذه الجريدة .

وقد تمكن المحتلون من اغراء جماعة من الشعراء بالسير معهم وبذلك انقسم

(١) نشر النص الانكليزى في ص ٢٢٧ وبعدها من كتاب ولسن ج١

الشعراء الى قسمين متضادين : القسم الاول : الذى لا يرى فرقا بين محتل ومحتل آخر ، فالاستعمار هو الاستعمار ، سواء اكان تركيا او انكليزيا جاء لامتصاص ثروات البلاد واستغلالها ، وهم مستعمرون يجب ان يحاربوا دون هوادة ، ولم تكن البلاد قادرة على المقاومة في هذا الطرف فيجب مقاطعة المحتلين وعدم الاتصال بهم ، وهذا القسم هو الذى أوقد نار الحرب على الاستعمار البريطانى ، وزودها بالوقود لحرقة ، وسنرى ذلك في فصل الثورة العراقية •

أما القسم الثانى ، فقد رأى الانكليز خيرا من الاتراك ، لان شعراء انتفعوا بهذا الاحتلال وحصلوا على مكاسب لم يحصلوا عليها في العهد التركي ، او انهم طمعوا فيما بذل الانكليز من الاموال ، فارادوا ان يتقربوا اليهم زلفى وهم شأن الشعراء الذين هاجموا العهد التركى بان نشروا قصائدهم بأسماء مستعارة ، خوفا من رأى العام ، وهم مع ذلك نفر محدود العدد • لكن الزهاوى كان اجراً الشعراء في تحدي الشعور العام ، فقد استمات في الدفاع عنهم وعن اعمالهم ، فأجبهه وقربوه حتى ان مس بل كانت تسميه « شاعرنا » عندما تريد ان تذكر اسمه •• ومن قصائده التى نشرتها جريدة العرب قوله :

وجدت الانكليز أولي احتشام	أباة الضيم حفاظ الزمام
فصادقهم تجد اخلاق صدق	لهم والصدق من شيم الكرام
اذا بهم احتسى المذخور يوما	رأى منهم له اقوى محام
وبات على فراش الامس خلوا	ونامت عينه أنها منام

ويبرر سبب حبه للانكليز بعدلهم ودكهم صروح الظلم ، وسياستهم الحكيمة التى تذلل كل الصعوبات ، يقول :

أحب الانكليز واصطفاهم	لمرضى الاخاء من الانام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم	بعدل ضاء كالبدر التمام
ودكوا بالسياسة كل صعب	وخاضوا بحره والبحر طامي

ثم يصف الاسطول الانكليزى وقوته في البحار ، وتحطيمه اساطيل الاعداء وان جيشهم قاهر منتصر لا يمكن لجيوش العالم ان تغليه لانه جيش لا يكثر

بالموت وتساوت لديه الحياة والموت • ثم يهاجم الاتراك ويصفهم باللؤم والغدر
وانهم أذاقوا العرب الذل والهوان ، بقوله :

وانت تسومك الاتراك خسفا وتسلب من حقوقك باهتضام
ووال الانكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام^(٢)

ولم تكن هذه هي المرة الاولى والاخيرة التي مدح الزهاوى فيها الانكليز ،
فقد مدحهم بعد ذلك وهجا العراقيين في الثورة العراقية وسخر منهم سخرية
لاذعة ، وخطب محرضا يرسى كوكس على إعادة الامن الى نصابه ، وطلب الدواء
للعراق المريض ، والقصيدة كان قد نشرها قبل دخول الانكليز العراق في ديوانه
« الكلم المنظوم » ولم يكن عليه خير لو تركها او أعادها مرة اخرى دون تحريف
ولكنه حرف بعض ابياتها وذكر الاتراك فيها صراحة ونشرها في جريدة العرب ،
جريدة الاحتلال الانكليزي ، فأثبت شدة تعلقه للانكليز ، ولم يكنف بهذه القصيدة
وانما كان يظهر تعلقه بهم ، وصداقته لهم في كل مناسبة ممكنة ، فانضم الى حزب
« النقيب » الحزب الحر » الذي يؤيد سياستهم في الاحتلال ، الحزب الذي وقف
الرصافي منه موقفا حازما وهجاء باقذع وامر هجاء

ان نفسية الزهاوى القلقة الخائفة هي التي الجأته الى التمرغ على أعصاب
المحتلين بعد ان كان عزيزا محترما نال أرفع المناصب في العهد التركي^(٣) ، وكان
من الوفاء أن يسكت ، أو يمدح الانكليز دون أن يسب او يتعرض للمناوئين
وذلك أضعف الايمان • والمؤمل ان يكون شاعرا ناثرا على هذا الاحتلال الذي
أهان بلده ووطنه أسوة بزملائه الشعراء الذين ناضلوا ، وبقي منهم من يناضل
حتى النفس الاخير ، صابرا على الاذى في سبيل حرية شعبه وكرامته •

وللزهاوى قصيدة اخرى يصف فيها حسنات الانكليز ، يدعو فيها صراحة الى
الاستعمار البريطاني وتأييده ، قال فيها :

- (٢) جريدة العرب العدد ١٥-٢-١٩١٨ ولاحظ الكلم المنظوم ص ١٤
(٣) بعد أن فشل الزهاوى في الحصول على ما يريد ، ندب العهد التركي بقوله :
اين عزي في دولة الاتراك أنا باك مما به أنا باكي

علينا بفضل الله ظل حكومة أنت بهدى في العلم ايض ناصح
لقد حررتنا من مظالم جمّة بحد المواضى المرفهات القواطع^(٤)

واطرف قصيدة هي قصيدة « ابن السليقة » فقد مدح فيها ملك الانكليز ،
الملك الذى انتصر في الحرب ، وتبدو طرافتها في الروح البدوية والعقلية الساذجة
التي مدح بها الملك جورج ، فقد تصور الملك جورج ملكا يبعث اسمه الرهبة
في القلوب ، وتود عيون الملوك ان تكتحل بتراب اقدمه ، ويتصور الشاعر نفسه
راكبا ناقة ذاهبا بها الى لندن ، لينزل برحله باب الملك ، فقال :

دعائي وحمدي ومدحي اتصل لسلطاننا وعميد الدول
هو الملك المرتقي في عـلـاه مراقي ينحط عنها زحل

وقال :

وان السلاطين دانوا لـه وباتوا به يضربون المثل
وان ذكروا اسمه بينهم لهيئته يعترها الوجـل

ومنها :

فيا راكبا ظهر مرقالـة يجوب الحزون بها والسهل
ينادم نجم السما في سـرـاه ويهوي بواد ويعلو جيـل
أنـخـها « بلندن » عند المليـك وقبل الاعتاب ذاك المحل « كذا »

وقد نشرت جريدة دار السلام قصيدة لا تختلف عن غيرها من شعر هذه
الفترة الا بالتكلف المزدول الذى تكلفه (المعلم داود صليوا) في مدح الجيش
الانكليزي بجعل كلمة « الخال » قافية لجميع القصيدة ، ولم تخف المجلة هذا
الشعور فقالت « ادرجنا هذه القصيدة على علاقتها مراعاة لصاحبها » ، وفيها مدح
لانكلترا التي اذلت الرؤوس ودان لها السلاطين . وفي القصيدة ذكر لحضارتها
وسياستها اللرية التي محت الظلم والاستبداد وحررت العرب ، وكستهم المجد . .
الى آخر ذلك . . ومطلعها :

(٤) جريدة العرب ١٧١-٣-١٩١٨

بخال فتاة الخال اشغفني الخال فلا ثم عم يا اميمة او خال^(٥)

وقد مدح الشيخ عبدالحسين الحويزي^(٦) الانكليز ، والطريف انه احتفظ بهذه القصيدة بعد مرور وقت طويل ، فقد كتبت اليه ان يرسل الي بشيء من شعره السياسي فكانت هذه القصيدة ضمن ما ارسل به الي ، والقصيدة طويلة اتخذ فيها موت الملكة فكتوريا واسطة لمدح الدولة الانكليزية ، فرأى فيها كل المحاسن والمكارم السامية عدلا ورحمة وفخرا لخصها بقوله :

وحويت في الدنيا مكارم جمّة طلعت بدورا تردهي وشموسا

ثم يسهب في وصف هذه المكارم من قوة ورهبة وسطوة وعدل ساد الرعية ، وافرط افراطا مجوجا في المبالغة ، فهو لا يختلف بأى حال من الاحوال عن شعراء القرن التاسع عشر ، فقد جعل الشمس حاجبا لها ، والقمر جليسا لها ، ثم امتدح ولدها الذي خلقها بقوله :

للدولة العلياء شبلا أعقت حفزت قريحة فكره القاموسا
ملك رعيته اذا ذكروا اسمه ضربت لمثل جلاله الناقوسا^(٧)

وقد انصب بعض المديح على الجنرال ستانلي مود^(٨) الذي منى العراقيين في منشوره بالحرية والاستقلال ، وتحريرهم من الاستعمار بأقامة حكم وطني في البلاد ، وقد أصيب القائد الانكليزي بالهزيمة فمات ودفن في بغداد^(٩) .. وقد أسف على موته ، وظن بعضهم انما قتل لانه وعد العراقيين وعودا خلافة ، لذلك نسابق نفر من الشعراء الى مدحه ، وظفر بما لم يظفر انكليزي من عطف القوم

(٥) دار السلام العدد ٣-٢-١٩١٩

(٦) يبلغ من العمر الثامنة والثمانين « سنة ١٩٥٤ » وشعره لايسمو الى مرتبة القريض .

(٧) القصيدة بخط يده ، وعليها آثار رعشة العمر ، في مكتبتي الخاصة .

(٨) حاول الوطنيون عدة مرات اقتلاع تمثاله المقام امام السفارة البريطانية في الكرخ .

(٩) لاحظ جريدة العرب العدد ٩٦-١-١٩١٧ ترجمة حياته ودفنه

ورثاتهم .. فمن الذين رفوه شاعر سمي نفسه « ابن الرثاء » :

لله أي مصاب فادح عظما	أورى بقلب المعالي زنده ضرما
خطب ألم فأشجى المكرمات وقد	فاضت لفجعته عين الفخار دما
أودى الحمام بمود باسل فغدا	شمل العلا بددا اذ كان منتظما
قد مات بحر الندى والمكرمات وكم	قد فاض زاخره بالوجود ملتظما ^(١٠)

وقد عنت الجريدة في قصائد الرثاء التي نظمها الشعراء في مود ، ونشرت بعضها افتتاحية لجريدة العرب .. فقد رثاه ابن العراقي وابن السياره ، وابن ققطان^(١١) ، وغيرهم .. ويقتضى الاستطراد ان اقول ان اقامة تمثال مود آلم الوطنيين ، اشد الالم لانه تمثال يمثل العبودية ، وقد سخر الشيخ علي الشرقي قائلا :

كل رجال لعبت دورها	وما وجدنا في السويدا رجال
قد خذلت بغداد منصورها	وانهضوا فيها « لمود مثال »
في كل يوم بهرجت دورها	لامة من امم الاحتلال
بالله يا من سبروا غورها	ماذا وجدتم امة أم خيال؟ ^(١٢)

(١٠) العرب العدد ١١١-١-١٩١٧

(١١) العرب الاعداد ١٠٩ ، ١٠١ ، ١٠٢

(١٢) ديوان علي الشرقي ص ٩٤ ، بقي التمثال شامخا في جانب الكرخ يمثل الاستعمار الجاثم على صدر العراق ، وقد جرت محاولات لقلعه ولم تنجح هذه المحاولة الا في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وقد اشارت الكاتبة الانكليزية « دورين وارنر » الى رموز الاقطاع والاستعمار والملكية في كتابها المطبوع في لندن سنة ١٩٥٧

Land Reform And Development In the Middle East.

الحرب والسلام

- ٤ -

تردد ذكر السلام والحرب كثيرا في الشعر العربي ، ولعل زهير بن ابي سلمى اول من نظم في استهجان الحروب وذمها ، فقد وقف موقفا كريما سجل فيه مشاعر الانسانية وبغضها للحروب ، وما تجره من ويلات ومصائب .. في قصيدة طويلة منها :

وما هو عنها بالحديث المرجم	وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وتضر اذا ضريتموها فتضرم	متى تبعوها تبعوها ذميمة
وتلقح كشافا ثم تتج فتسم ^(١)	فتعركم عرك الرحا بشفالها

ولا يكاد يخلو ادب امة من وصف للحروب وويلاتها ونجد في كل عصر من العصور من يذم الحروب ويمجد السلام . لان الانتاج المبدع المنظم لا يكون في ظل الحروب .

وتصاحب الدعوة الى الحرب دعوة الى السلام لان الانسان تهزه مصائب الحروب ، وتوجعه ويلات البشر ، التي توقف الحياة عن عملية الانتاج وتجبر الى الحرمان والتقشف والجوع وقتك الامراض . وتشريد الاطفال والنساء وازدياد المآسى والاحزان .

(١) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى - لتعلب - ص ١٨ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤

لذلك فالشعر خلال الحرب تسموده روح التشاؤم ويطفح بالحزن والالام الشديد . مهما كانت دوافع الحروب ومهما يسبغ عليها مثيروها من نعوت والقباب فالهندواى يعرف ان الحرب اثيرت ضد العدو الذى جاء يستعمر بلده واضطر للحرب والقتال ليدافع عن وطنه ويثأر لكرامته وعزته .. ولكنه رآها ضرورة بغية فهو يدعو الى الحروب مضطرا لانها جهاد فيقول :

واذا لم يكن من الحرب بد	فلنشرها حربا تشيب الوليد
ولنمت في الدفاع عن حرم الحد	ق فقد بات وهو يشكو الجمودا
أين قومي وهل ترى غير قومي	أمة تصدع الصفا والحديدا
ان قومي أبناء قحطان حازوا	طارف المجد والعلاء التليدا
شهد السيف انهم أمة الحر	ب اذا هزت الكمة البنودا
وكفى بالحسام وهو أخو صد	ق على البأس للرجال شهيدا

ولكنه يضطر الى اثاره الحروب التى كانت شرا لا بد من دخولها ، فيصف مساوئها التى حاقت بالبشر فقال :

شمر طبق البحار هبوطا	واعلى قارب الوهاد صعودا
أحرق المال والنفوس وآلى	لا نباتا يبقى ولا جلمودا
عم وجه الصعيد طرا فأمسى	كل شئ على الصعيد وقودا

وصور مبلغ ألم الشاعر من الحروب ، وحملته الغنيفة على العلوم التى خلقت هذه الآلات التى تقتك بالبشر فتكا ذريعا ، بينما خلقت العلوم لاسعاد البشرية لا استغلالها في الشر والفتك باخيه الانسان ولما رأى الشاعر مقدار ضراوة الحرب فضل حياة القرون الوسطى وعصور التأخر ، لانقاذ البشرية من الدمار الكلي الذى احده عصر النور ، وكتب صفحات تاريخه بدماء الابرياء فأحال صحائفه البيض المشرقة سودا تسيل دما ودمارا ، فقال :

يا زمان النور الذى قد ألا	ن العلم فيه الصفا والحديدا
لح كئيبا فقد أعاد بنوك ال	يوم منك الصحائف البيض سودا
لطحوا بالدماء وردة خدي	ك عقوقا فشوهوا التوريدا

وبكف العلوم جروا لنا الو
ليت لا كانت العلوم ولا كا
جيدا لو بقي الجمود وتم
ان عصر الجمود عصر شريف
يلات واستفرغوا لها المجهودا
نوا وليت الذكي يفدي البلدا
سا لقوم لا يشكرون الجمودا
عاش فيه الانسان عيشا رغيدا

وقد ظهرت في هذه القصيدة ظاهرة جديدة بالاشارة اليها ، هي ان الشاعر
سخط على الملوك الذين يرسلون بالشعوب الى الحروب رغبة منهم في السيطرة ،
وشهوة للحكم ، واطفاء لشهوة الاحقاد والضغائن التي بينهم ، غير عابئين بما يحق
بالشعوب من ويلات . . . وقد جزع الشاعر من هذه الحروب التي كان الملوك
سببا مباشرا في اثارها ، فأخذ يستدر رحمة الملوك ، ويثير فيهم المشاعر الانسانية
ليكفوا عن هذا القتال ، وضجر الشاعر وجزعه من الحروب رد فعل لما حل
ببلاد وبالبشرية من خراب ودمار ، فقال بصراحة :

رحمة أيها الملوك بأهل الارض
ضقت الارض بالذي حل ذرعا
جردوها عواطفنا وشعورا
وتلافوا بقية السيف منكم
ض وكفوا جيوشكم والجنودا
فاكفهرت وأوشكت أن تميدا
وادفـوها ضغائنا وحقوقا
فهـي بالسيف أوشكت أن تبيدا

وذكرهم بان البشر سواء في العواطف والمشاعر ، وان ليس هناك فرق بين
انسان وانسان آخر ، فهم سواسية في العذاب والآلام والمشاعر جبا وبغضا :

فارحموهم فهم وأنتم سواء
لو رجعتم الى الحجى لرأيتم
انما الجهل أوجد الفرق في النـا
س فكانوا مواليا وعبيدا
قد تماثلتم أبا وجـودا
سيد القوم لا يطول المسودا

وقد عبر الشاعر عن رأيه في الحروب اصدق تعبير ، وعزاها الى المتفعين بها
وهم الملوك ، وبالرغم من انه ختم قصيدته بالدعوة الى الحرب لم نجد الشاعر
يندفع اندفاعا دينيا في الدعوة الى الحرب فلم يقل ان الكفار قد وطئوا ارضكم ،
لانه يرى الانسانية تستباح ويفتك بها لانه بعيد النظر ، واسع الافق ، رأى امورا
لم يرها غيره من الشعراء . . . رأى الانسانية تتقرب من الملوك ، ورأى الملوك

والرعية يتساوون في الفتك والموت غير ان الظروف هي التي خلقت هذا ملكا وهذا من ابناء الشعب . وعندما اراد ان يثير الحرب اثارها باسم قومه العرب ، الامة التي تصدع الحديد والتي سجلت فخرها ومجدها في صفحات التاريخ ، لان رغبة الشاعر لم تكن عميقة في الذود عن الانراك ، فلم يحث صراحة على الحروب ولم يحرضهم ولم يطالبهم بصراحة ، انما اوجب الحرب لان العدو دخل حدود وطنه ويجب ان يحارب ليطرده من هذا الوطن :

ان ظني وأكثر الظن حق ان قومي لا يرتضون القعودا
سيخطون بالقواضب حدا للعدو الذي تخطى الحدودا^(٢)

أما « ابن اليراع » فقد شاهد الحرب في الارض والبحر والسماء ولم تنج بقعة من ويلاتها ، فصرخ من اعماق قلبه مطالبا بالسلام ، صرخ بالدول لترفق بالاسانية وتخفف من مصائبها فقال :

دول الارض أين أين السلام فعلى الرفق والحنان السلام
خففوا الويل عن بني الانسان انما الويل في الشرائع ذام
قد قست منكم القلوب وأتمم بشر مثلهم دم وعظام
ارحموهم فهم وأنتم سواء كلكم أنتجتكم الارحام

وتساءل « ابن اليراع » عن السلام ومتى تضع الحروب اوزارها وتستقر الامور وتهدأ النفوس الضالة الجري ، ولكن استدرك فوجد ان موقدي نيران الحروب هم تجار الحروب وهم الحاكمون ، لذلك وجه تقريره ولومه على من أجج هذه الحروب التي زادت نسبة اليتامى ، وفجعت الناس بالاعزاء من البنين . . ثم وقف صراحة وخص الملوك بهذا التقرير فهم الذين يعاملون ابناء الشعب معاملة الراعي القاسي للانعام الضعاف ، والا فما فائدة الشعوب في هذه الحروب التي تشن لنزوات الملوك ومنافعهم الشخصية وشهواتهم . . وفي اثارها الدماء والدموع والفناء والجوع والمصائب ، فقال يخاطب الملوك :

(٢) صدى الاسلام العدد ٧٩-١-١٣٣١ وقد ثبتها في ديوانه المخطوط . وعندي نسخة منه .

ان لومي على الذي أجب الحرب
ولو أن الحروب فيها حياة
يا سماء امطري على الارض دوما
يا ملوك الارض اشفقوا بالرعايا
فلحفظ الأنام تستعمرون الار
ان يكن حربكم لنيل انتقام
حيث أهلكتم بها الحرث والنسل

حيث في الحرب تكثر الايتام
لشعوب من دأبها لا تضام
غضبا فيه تهلك الظلام
سئمت من رعاتها الاغنام
ض أم للاطماع تفنى الانام
ففناء العباد ليس انتقام
لم يرعكم شيخ قضى وغلام^(٣)

وكان كل الشعراء على اختلاف بيئاتهم يكرهون الحروب لانها وسيلة
لتهديم دعائم السلام ، وتقويض دعائم الطمأنينة والامان في النفوس ، وطريقة لبث
الرعب والفرع في قلوب الضعاف من النساء والاطفال •• فقد نظم « الرصافي »
قصيدة « من ويلات الحروب » مصورا فقيرة اضناها الفقر من أثر الحرب فخارت
قواها ، فأخذ الشاعر يخفف من وقع الالم ، وكان ألمها شديدا حتى انه ابكاه
واوجعه • ثم هاجم الغرب مشعل الفتن والحروب ، وذكر ما تصنعه الحروب
من تبدلات في حياة البشر عامة فقال :

قامت قيامة أهل الغرب فانبعث
واستفحلت فتنة عبياء جائحة
وقامت الحرب باللاواء شاملة
والارض قد أصبحت من مكر ساكنها
ضاقت على الناس وانسدت مسالكها

هزاهز بينهم عمت بني نوح^(٤)
تمخضت من دم في الارض مسفوح
كل البسيطة حتى الابحر الفيح^(٥)
محمرة اللوح أو مغبرة السوح^(٦)
فعاد كل طريق غير مفتوح

(٣) جريدة العرب العددان ٨١ ، ٨٢-١-١٩١٧ وتراجع قصيدة ابن اليراع ••
التي يصف فيها احدى المعارك •

(٤) الهزاهز : الاضطرابات التي تهز الشعب • القصيدة في الديوان ص ٢١١

(٥) اللاواء : المجاعة ، وكل مصيبة شديدة •

(٦) اللوح : بضم اللام الهواء • يكنى في البيت عما حل في البلاد خلال الحرب
العظمى من المجاعة والمصائب العامة •

والحرب أغتت اناسا غنية عجبا وآخرين رمتهم بالمجاليح^(٧)
ومعشرا أسكتهم في الذرا غرفا ومعشرا بطن ملحد ومضروح^(٨)

وللرصافي عدة قصائد في ويلات الحرب ومصائبها .. ففى قصيدته « ابو
دلامة والمستقبل » حرب شعواء على الحروب التى تشنها المطامع ، ففسفك دماء
الابرياء ، وتيتم الاطفال ، وتقنى الجيوش لجشع فئة محدودة .. اظهر كرهه
للحروب التى تفكك بحريات الشعب ونفوسه ، فقال فيها :

أمن السياسة أن يقتل بعضنا	بعضا ليدرك غيرنا الآمالا
لا در در أولى السياسة انهم	قتلوا الرجال ويتموا الاطفالا
غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها	بدم هريق على الثرى سيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا	وتوهموها الروضة المحلالا ^(٩)
تقنى الجيوش ولا ضعائن بينها	سبقت ولا ترة ولا اذحالا
قالوا كرهت الحرب قلت لانها	دارت لتغتصب الحقوق الآلا ^(١٠)
وأجلت فكري في الحروب فلم أجد	أبدا لهن سوى الخمر مشالا
طاشت منافعها الصغار عن الورى	ورست مآثمها الكبار جبالا
ما أجشع الحرب الضروس فانها	تحسو النفوس وتأكل الاموالا ^(١١)

وفي قصيدة اخرى يصف احدى الوقائع التى حصلت بين روسيا واليابان ،
وماجرت هذه الحروب على الانسانية من ويلات ، لم يستهجن شاعرنا الحرب
لان ويلاتها نكبت ابناء وطنه فقط وانما وقف موقفا انسانيا كريما فحاربها •
لانها تفكك بالانسانية وتبيد البشر اجمع وقد بدت هذه الروح الانسانية في قصيدته
التي مطلعها :

(٧) المجاليح : السنون الشديدة ذات القحط والجذب •

(٨) مضروح : أصبح له ضريح ، أى ميت •

(٩) المحلال : كثيرة حلول الناس اليها ودخولها

(١٠) الآل ، الاصحاب ، اي ان الحروب تسلب الحقوق اصحابها •

(١١) الديوان ص ٣٦٨

سعروها في البحر حربا ضروسا تأكل المال ناراها والنفوسا^(١٢)

وقد كان لاعلان الهدنة رنة فرح وسرور في جميع العالم ، اذ وقف سيف المصائب من حصاده ، وطاحونة الآلام من دورانها وبدأ الامل الحلو يداعب الناس بحلول الاطمئنان والهدوء وبدأ السلام يرف بأجنحته على الشعوب في هذه المعمورة التي انهكت قواها الحروب ، واقامت الافراح في كل مكان ولا سيما في دنيا المنتصرين .. وعبر « الزهاوي » عن فرحه هذا بقصيدة رأى في الهدنة طريقا لتحرير الامم من رق العبودية ، وان الانكليز سوف يأخذون بيد العراق نحو التقدم والرقى ، لانهم انقذوه من الاتراك ، وقد جافى الزهاوي الحق كله واراد ان يتقرب الى الانكليز بقصيدته ، اذا اعتبر الهدنة سبيلا لتحرير بلاده التي اصبحت قطعة مستعمرة للتاج البريطاني . وغدت البلاد العربية بل اكثر الشرق تحت دول السيطرة الاجنبية .. كيف رضي ان يغالط نفسه ويدعي ان الهدنة طريق لتحرير الشعوب من العبودية والاستعمار ، وقد اكد هذا المعنى في المقطوعات السبع التي نشرها في هذا المعنى ، فقال :

أثنى الله حزب الحق نصرا فحرروا وراء انتصار في الحروب شعوبا
وأعطوا من العدل العراق نصيبه يسرون من أهل العراق قلوبا

وفي بيتين آخرين قوله :

قد انتهت المهالك والحروب وفي العقبى تحررت الشعوب
هنيئا للعراق فسوف يلقي بذلك ما تطيب له القلوب^(١٣)

واعبر الزهاوي الانكليز حزب الحق الذي خلق ليحرر الشعوب من الاستعباد ، وقد أوغل في الدعاية للانكليز وحسن الظن بهم ، وظن بأن الشعوب كلها سوف تنال حريتها واستقلالها ، وانها ستفوز بالخير العميم ، وسيخف

(١٢) الديوان ص ٣٥٩

(١٣) تراجع جريدة العرب العدد ١٣٩ المجلد الثالث ١٩١٤ .. وللزهاوي باب

في ديوان الزهاوي من ص ١٠٧ - ١١٧ المطبوع في مصر سنة ١٩٢٤ ..

ويراجع اللباب ص ٤٨ والعرب ١٧١

الرفاء بالعراق من كل جانب • فتعم الفرحة قلوبهم والعدل ديارهم •
وقد شارك « محمد مهدي البصير »^(١٤) الزهاوى في هذه البشـرى •
بشـرى الهدنة ، وتصور وجود السلام مدعاة لاعادة مجد العرب وتحريرهم من
الذل والعبودية ، وتخيل أن هناك حفلة ستقام ابتهاجا بهذا اليوم السعيد ،
وصفها بقوله :

أعاد لنا السلم مجد العرب	فحيا الاله وأحيا حلب
على اسس الصلح قامت لهم	عروش دعائمهن الطلب
ستبنى غدا بيد المالكين	ولم تنها اليوم هذي الخطب
اثارهم ساسة الاضطهاد	فذاقوا الحياة بكاس العطب
ويوم على ذكر تحريرنا	أقمنا بها حفلات الطرب ^(١٥)

ويتصور البصير أن الحرية التي حجبها المطامع وراء دخان المدافع جاءت
بعد الهدنة تحيي العرب وحلت في ديارهم ، لان الحلفاء قرروا تحرير الشعوب
العربية •

وللبصير قصيدة اخرى يتحدث فيها عن السلام ، نشرها بتوقيع مستعار^(١٦) ،
حشر فيها نظرية التنازع على البقاء ونظرية البقاء للأصلح حشرا ، فقال :

قلت السلام على السلام فقد أبى	حتى الجماد مع الحياة سـلاما
الا اذا انقرض التنازع في البقا	فالسلم ينشر في الورى أعلاما
والناس لو يتناصفون تصافيا	لم يسق قوما آخرون حماما

(١٤) سألت الدكتور البصير عن هذه الحفلة فأخبرني متفضلا انها خيالية
ولا صحة لما ورد فيها •

(١٥) مجلة دار السلام العدد ٤ - المجلد الثاني - ١٩١٩
احتفلت سلطات الاحتلال احتفالا رسميا ، وانبرت انوار الكهرباء، وارسلت
السهام النارية في الفضاء • ووصف هذه الحفلة ابراهيم منيب الباجهجي
بقصيدة في العدد ١٥ من المجلد الثاني من دار السلام ١٩١٩

(١٦) قالت مجلة دار السلام : كل مانشر في هذه الوضعية وفي جريدة العرب
مذيلا باسم « ابن بابل » فهو للشـيخ محمد مهدي البصير شاعر الحلة
الشهير • العدد ٢١ المجلد الاول

وليست الحروب كما ظنها الشاعر حرب تنازع على البقاء ، وانما هي حرب
استعمارية .. فالمستعمر يريد أن يوسع رقعة أرضه جسعا ، وقد التفت البصير
نفسه الى هذا الامر بعد ذلك واتخذ « غليوم » امبراطور المانيا مثالا ، فوصف
الحاكمين الذين يستعبدون الشعوب ويدلون الرقاب ، وتطرق الى أعمالهم التي
أدت بالشعوب الى الذل والهوان .. فقال يصف المستعمرين بقوله :

وقضى لهم غليوم في غلوائه ألا يعيشوا وادعين كراما
لا در در الحاكمين بامّة ولوا عليها الصارم الصمصاما
الطامعين بكل ما تحت السما وعساهم لا يبلغون مراما

ويبرز أعمالهم البشعة وقسوتهم التي سخرت بحق الشعوب دون أن يسمعو
نوح التكالى ، وصراخ الايامى ، فقال :

واذا المدافع أسمعت أصواتها مثلوا قعودا حولهن قياما
شغلت مسامعهم فليس يهزها يوما أنين أرامل ويتامى^(١٧)

وللبصير قصيدة اخرى نشرت عام ١٩٢٠ وصف فيها الحرب وأعمال امبراطور
المانيا في باريس ورومانيا وبلغكا والصرب ، وكيف دخل روما ، ثم وقوف فوش
وولسن بوجهه ، فحطما آماله ، وأجبراه على التنازل عن العرش ، فقال :

ولو لم ينازعه السياسة ولسن لما خسر المجد الذي هو طالبه^(١٨)

وله قصيدة يرسم لنا فيها صورة رائعة لجريح في بلد متأخر في جميع
امكانياته ، ولا سيما الصحية منها ، وما يعانيه هذا الجريح من آلام الجراح حتى
يتمنى الموت من هول هذا الالم فقال :

وفاكلة يش لها جريح طريق لا يعلل بالدواء
تمكنت القذائف منه مرمى فأيست الاساة من الشفاء
يش اذا أضر الجرح فيه فيشجوها فتجهش بالبكاء^(١٩)

(١٧) دار السلام العدد الرابع - السنة الاولى ١٩١٨

(١٨) دار السلام ٣-٥-١٩٢٠

(١٩) دار السلام ١-٣-١٩٢٠

كانت آثار الحرب شديدة في الشرق ، وفي العراق خاصة ، فقد فتكت المجاعة بالشعوب الضعيفة التي لم تدرك حكوماتها مغبة الامور ، بعد أن توقفت المصانع عن الانتاج ، فلم يتمكن الزارع من مواصلة الزراعة لانه يحارب في المعركة ، واما زرعه لم يكف حتى للقوت الضروري لحياته . وانشغال الدول بالحروب وقف حائلا أمام التجارة فتدنت الحياة الاقتصادية . وفتك الجوع بالناس ، وبددت الثروات وتقوض العمران . وتوقفت عجلة المدنية عن السير وتأخر ركب الحضارة .

ومع كل هذه المصائب التي حاقت بالانسانية نرى المستعمرين يدعون الى السلام ولكن على حساب اقتسام الشعوب الضعيفة واستغلال ثرواتها وامتصاص مواردها ، فيختصمون . فيسخر الشاعر من هؤلاء بقوله :

يا دعاة السلم في قصر السلام	أين مسعاكم الى تأييده
انتجت أتعابكم هذا الخصام	أفلا نقوى على تبديده
فهللوا اسعوا الى رد النظام	واعملوا حقا على توطيده
وأذيعوه لدى أشياعه	كم له بين الورى من شيع
واذا فشت عن أتباعه	لم تجد أنت سوى متبع (٢٠)

وقد أضنت الحرب كاظم الدجيلي وآلمته فتساءل : متى يعم السلام الشعوب فتطمئن النفوس بعد هلعها ، والقلوب بعد خوفها !! وعزى الحروب الى القادة الطامعين بأوسمة براءة ، وبمجد زائل ، دون أن يرحموا جموع الشعب أطفاله وشيوخه ، ويبصرهم بالطريق السوي للشجاعة والاصلاح فيقول :

ليس من أزهق النفوس شجاعا	ليس من جد فاتكا بمجيد
انما أشجع البرية طرا	مصلح قام بين أهل الجمود

وتمنى أن يعم السلام ليعود الهناء على الشعوب ويقضى على تجار الحروب

(٢٠) نشرت القصيدة بتوقيع « شاعر متالم » في دار السلام العدد ١٧ من السنة الاولى ١٩١٨ وهي لباقر الشبيبي راجع الادب العصري ص ١٢٤ وترجمته في شعراء الغري

بقوله :

فمتى يا ترى يموت غـواة جدوه لقائد ومقود
فيعم السلام في الناس طرا ويعود الهناء للمستعيد^(٢١)

هذه هي الحروب بشروورها ، وآلامها ، ومصائبها ، وموقف الشعر منها
وفيها صورة لما حاق بالعراق من أحزان وآلام .. وفاقة وجذب وجوع
وأمرض ... والتي انتهت باستعباد العراق من الانكليز .. فقد ظهرت المعاهدات
السرية التي قسمت الدولة العثمانية الى مناطق نفوذ .. ولم يبق بعدها للخلافة
العثمانية نفوذ .. فقد احتل الحلفاء البلاد وهيمنوا على مقدراتها ، وهرب رجال
الاتحاد والترقي^(٢٢) الذين دفعوا الدولة الى الحرب دفعا .. فذاق الاتراك مرارة
الاحتلال والحكم الاجنبي ...

وبذهاب الخلافة العثمانية بدأت الفكرة القومية تسرب الى الاقطار العثمانية
وأخذت تدعو الى تشكيل دولة مستقلة ..^(٢٣)

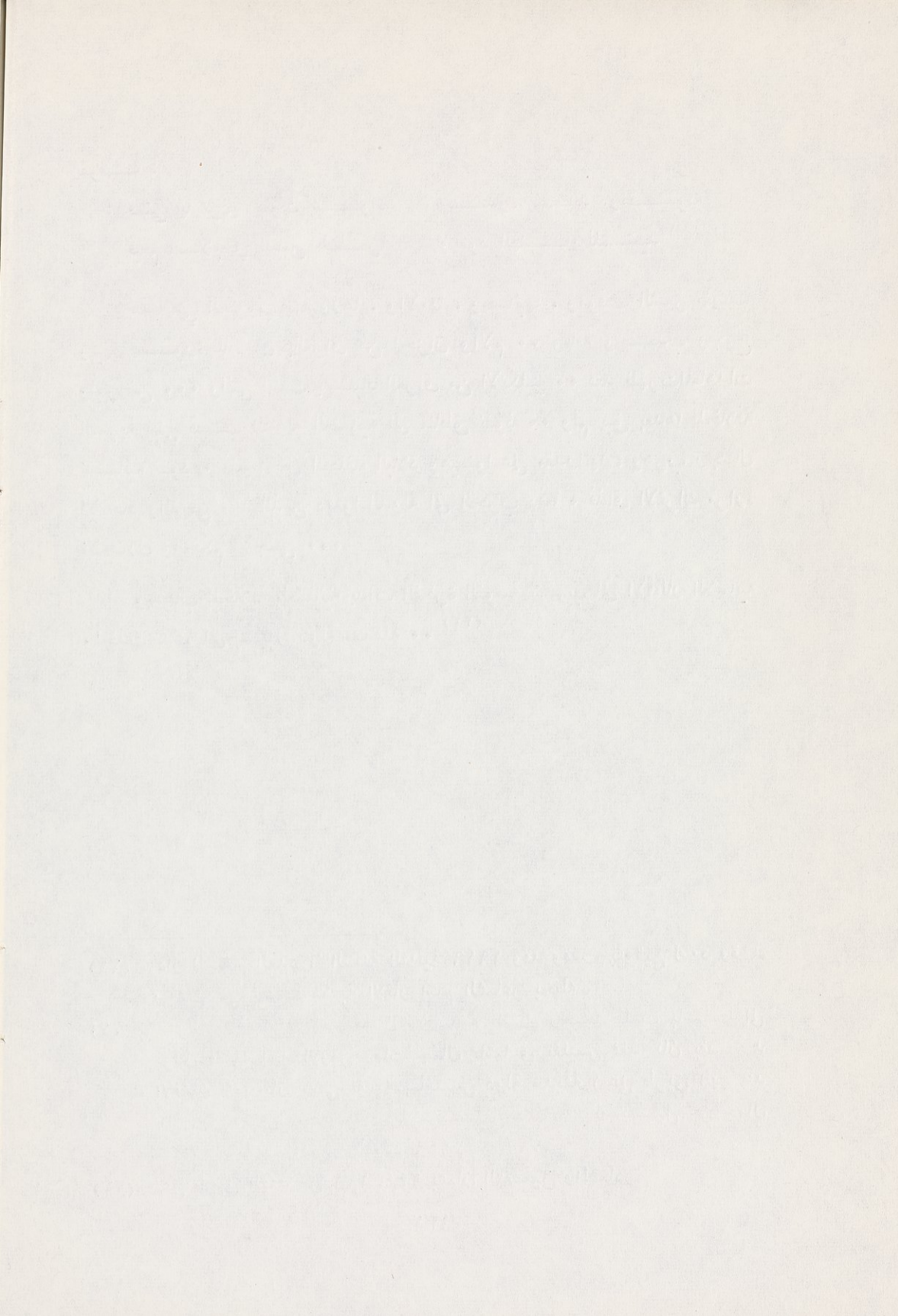
(٢١) دار السلام العدد ٦ السنة الثانية ١٩١٩ وقد وقعت بتوقيع كود وقد

وجدت على نسخة مكتبة الاثار اسم الشاعر بخطه

(٢٢) قتل انور باشا في تركستان في ساحة القتال والتجأ طلعت باشا الى
برلين فقتله احد الارمن ومات جمال باشا في تفليس فقد كان يقصد
الافغان لانه كان يمني نفسه بتأسيس دولة حديثة (على طريق الهند
ص ٢٣٨) ويلاحظ ص ١٠٤ من هذا الكتاب وهناك تفصيل عن جمال

باشا في جريدة العراق العدد ٣٤٤٩/١٢/١٩٣١

(٢٣) على طريق الهند ص ٢٣٢-٢٤٤ بشأن التفصيل والمصادر



الفصل الثالث

١٠٠

الثورة العراقية

- ١ - مهادت الثورة
- ٢ - التحريض على الثورة
- ٣ - المقاومة العلنية
- ٤ - أثر الثورة
- ٥ - عرش العراق

مهدات الثورة

- ١ -

الثورة السياسية تأتي نتيجة أي ضغط على حريات الشعب فتهدد كيانه وشخصيته ومقوماته فيفقد جزءاً مهماً من حياته فيثور ليتخلص من هذا الكابوس الذي حال دون حريته •• وينطلق الى عالم رحب من السيادة والاستقلال •• ومتى ما احكمت الثورات ووضعت المخططات الدقيقة للاحتتمالات التي قد تصادفها فانها تؤدي الى ما ارداه الثائرون •• وقد لاتنجح هذه الثورات لاسباب كثيرة •

ولاتكون الثورات في بلد ، وليدة ساعة او يوم يحدد ، وانما تحدث نتيجة لعوامل متعددة توصلها الى ساعة الانفجار • ولعل أهم عامل في انجاح الثورة هو تكوين الرأي العام الموحد الذي يتجه الى الثورة والاستعداد لها •

ولا تختلف الثورة العراقية عن غيرها من الثورات فقد سبقتها عوامل كثيرة متنوعة يرجع بعضها الى العهد العثماني وبعضها جاء نتيجة للحرب العالمية الاولى •

فقد بدأت بوادر الشعور القومي في أوروبا واخذت تتسرب الى جميع الشرق فتأثر بها المثقفون العرب^(١) بطبيعتهم الثقافية وظهرت هذه اليقظة بالحملات التي راح يشنها الاحرار العرب الذين رأوا الفساد وقد استشرى في البلاد العربية فأخذوا يطالبون بالاصلاح وقد كان منهم الجريء المغامر الذي لم يخش صولة الدولة العثمانية حتى ليخيل لجرأته انه غير موجود وان اسمه مجرد توقيع مستعار لما امتازت به قصائده من جرأة غريبة وتحد سافر للدولة العثمانية^(٢) ومن مطالبة عنيفة صريحة في الاصلاح فقد قال الرصافي :

(١) النتائج السياسية للحرب العظمى Ramsy Muir P. 140 - 151.

(٢) حدثني الاستاذ الشاعر الكبير بشارة الخوري انه لم يكن يصدق بأن معروف الرصافي انسان يعيش وانما هو توقيع مستعار يتخذه أحد الاحرار ليهاجم الظلم والجور

كيف القرار على أمور حكومة
في الملك تفعل من فظائع جورها
ملأت قراطيس الزمان كتابة
حادث بهن عن الطريق الامثل
ما لم تقل ، وتقول مالم تفعل
للعدل وهي بحكمها لم تعدل

وتبلغ به الجرأة النادرة ان يدعو الى حكم جمهوري لاصلاح الاحوال
المرتدية في البلاد كي يرتفع الشعب من حضيض التأخر الى أوج الرقي فقال :
ان الحكومة وهي جمهورية
سارت الى نجاح العباد بسيرة
فسموا الى أوج العلاء ونحن لم
كشفت عماية قلب كل مضلل
أبدت لهم حق الزمان الاول
نبرح نسوج الى الحضيض الاسفل^(٣)

وقد كانت الجرائد العربية في مصر هي الميدان الذي ينشر فيه الشعراء
شعرهم كالمؤيد والمقطم والمقتبس^(٤) وقد نشر جميل صدقي الزهاوي في المقتطف
قصيدة منها :

ألا رعى الله اوطان لنا انتهكت
قد أضرم الجور نارا في جوانبها
محبوبة السهل والوديان والكتب
واهلها بين نفاخ ومحتطب^(٥)

ويصرخ الزهاوي يحذر القوم مما يحيق بهم وما سيصل اليه مستقبلهم
قائلا :

أيها القوم أيها القوم أنتم
أيها الظلم هل زمانك ماض
وسأبكي قومي وابكي بلادي
أمة ساقطون في مهواة
أيها العدل هل زمانك آت
وقبور الآباء والامهات^(٦)

(٣) ديوان الرصافي ص ١٦٢ وص ١٦٣ ويراجع (ايقاظ الرقود) ص ١١٦
و (تنبيه النيام) ص ١٠٣

(٤) الادب المصري ج ١ ص ٩ وص ٧٠ ويلاحظ مذكرات معروف الرصافي
التي أملاها على الاستاذ كامل الجادر جي الموجودة في المجمع العلمي وقد
نشرتها مجلة الثقافة الجديدة في العراق .

(٥) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ١٩٦ وص ٢٨٠ واللباب - (بغداد
١٩٢٨) ص ١٤ وص ١٢ .

(٦) اللباب - ص ١٥ -

وعندما بدأ الوعي القومي يتسرب بين طبقات الشعب المثقفين في الاستانة وغيرها من البلاد العربية ، بدأوا بعقد المؤتمرات السياسية لمعالجة حالة العرب والمطالبة بمساواتهم مع الاتراك ، وجعل اللغة العربية لغة المدارس ، وان يخدم الجنود العرب في البلاد القريية ، وان يكون بعض العرب في الوزارة وفي مجلس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز وان تكون نسبة الاعيان من العرب اثنين لكل ولاية وتجري المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية^(٧) .

وقد أفسح الدستور العثماني للحركة القومية مجالا واسعا فقد اصبح بمقدور الشباب العربي التكتل رسميا وانشاء الاحزاب التي اخذت تنادي بالفكرة القومية فقد أسس العرب عشر جمعيات أربع منها^(٨) في الاستانة . وكان لهذه الجمعيات أثر فعال في تنبيه الرأي العام العربي فقد أخذت الجرائد تنشر المطالبات

(٧) للتفصيل يراجع في غمرة النضال ص ١٢٨ وما بعدها وجريدة صدى بابل العدد ١٩١٣/٤/١٨٤ .

(٨) جمعية الاخاء العربي شكلها شفيق المؤيد وزملاؤه ، والمنتدى الادبي أسسه عبدالكريم الزهراوي وعبدالكريم الخليل والجمعية القحطانية شكلها خليل حمادة باشا وعبدالحميد الزهراوي وسليم النجار وزملاؤهم . وشكلت اثنتان في مصر واثنتان في سوريا ، أما في العراق فقد أسس السيد طالب النقيب جمعية البصرة الاصلاحية واصبح لها فرع في الموصل باسم جمعية العلم وكانت خاصة بالضباط . وقد انشأ عزيز باشا المصري جمعية العهد السرية وغايتها استقلال البلاد العربية استقلالا داخليا متحدة مع الدولة العثمانية وانتمى اليها كثيرون من ضباط العرب وهي شعبة من الجمعية القحطانية .

راجع بشأن الجمعيات العربية في غمرة النضال ص ٨٥ وص ٨٦ وجريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الاولى ١٩٢٣ وما بعده مقال قيم للشيخ علي الشرقي ونهضة العرب لجورج انطونيس - الفصلين الخامس والسادس وثورة العرب - مقدماتها اسبابها نتائجها - بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية - مطبعة المقطم مصر - ١٩١٦ ص ٥٦-١١٥ والثورة العربية الكبرى - لامين سعيد ج ١ ص ٥١ - ٥٠

وتعلق عليها وتطالب بتطبيقها • خاصة بعد ظهور العنصرية التركية والتمهيد لتتريك العرب صراحة^(٩) • ولكن الاتراك الذين ادعوا انهم منحوا الدستور لجميع شعوب الامبراطورية العثمانية عادوا يسلبون ما منحه الدستور بعد ان تكاثرت الصحف العربية فقد بلغت (١٢) جريدة في بغداد وحدها وارتفع العدد الى (٩٦) جريدة و(١٤) مجلة وبلغ في البصرة (١١) جريدة وفي الموصل جريدتان^(١٠) • وقد زاد من اهمية هذه الجرائد انها ميدان للمندفين المتحمسين للدستور كالرصافي وفهمي المدرس والزهاوي وقد كانت على رأس هذه الجرائد جريدة (بغداد) التي كان رئيس تحريرها معروف الرصافي • هذه الجرائد أخذت ترسل بأضواء جديدة ساطعة تكشف حال العرب وتدعوا الى المساواة والحرية التي نادى بها الدستور ، ومع ان بيع الجرائد كان محدودا الا ان أثرها كان كبيرا فقد كانت الآراء والافكار تتناقل بين ابناء الشعب لان الخبر الذي يقرأ تناقله ألسنة الشعب في الدواوين والمقاهي وكل خبر جديد او حدث طارئ لا بد ان يستأثر بالاعجاب او الاستهجان وفي الحالتين يكون مجالا للرد والنقد والنقاش وانتشرت كلمات جديدة كالـدستور والحرية والمساواة والعدالة والظلم والاستبداد والطغيان • وكلمات اخرى لم يكن الشعب بقادر على ذكرها رددتها هذه الجرائد ، يضاف الى ذلك ان الولاة والموظفين استهدفوا لحملة من الجرائد بالمطالبة بالاصلاحات التي حتمها الدستور حتى نشرت جريدة الرياض قصيدة هاجمت فيها والي بغداد ناظم باشا^(١١) الشخصية التي لم يكن يجزؤ انسان على ذكرها الا بالاحترام والتبجيل •

(٩) في غمرة النضال ص ٨٤ اخذ بعض ما نشر في جريدة اقدام التركية •

(١٠) جريدة البلاد العدد ٤٧٢ شباط ١٩٣٥ • مقال مفصل لـابراهيم حلمي العمر ويراجع في غمرة النضال ص ٨٠ و٨١

(١١) جريدة البلاد العددين ٤٧٢ و٤٧٣ وعن جريدة الرياض لسليمان الدخيل النجدي ، وهاجم الزهاوي ناظم باشا ومما قاله : انه وسع الطرق وضيق الافكار •

ولعل أهم ظاهرة تسلفت النظر ان اكثرية الجرائد كانت جرائد معارضة تندد بسياسة الحكومة التركية وتهاجم الاتحاديين الذين تنكروا للمبادئ التي أعلنوها وكانت هذه الجرائد عنيفة في مهاجمة حكومة الاستانة الاستبدادية وتدافع عن كيان الوطن العربي الكبير دفاعا عنيفا بعد ان شعرت ما بيت لها الاتحاديون ولم يكن للاتحاديين سوى جريدة او جريدتين تؤيد سياستهم وتصد الحملات القلمية غير ان هذه الحرية الواسعة أخذت تضيق يوما بعد يوم وعدلت بعض القوانين واخذت الصحافة تعاني اعباءاً ثقيلة حتى اقيمت (٤٨) دعوى على الصحف الوطنية وحكم على بعضهم باحكام متفاوتة كالنفي والتعطيل ففر بعضهم خوفاً البطش والسجن (١٢)

وقد تكون الحكومات قادرة على كم الافواه ومنع الحريات العامة ولكنها لن تقدر على تبديل الاتجاه الفكري للشعوب الواعية فقد اخذت الثقافة العامة في الانتشار بين الناس وتفتحت روح النقد والمقارنة واخذ العرب يشعرون بما يضرهم الاتحاديون وقد هاجمت جريدة (اقدم) العرب صراحة فاروا وتظاهروا (١٣)

وقد نبه الوعي السياسي في العراقيين تأسيس دولة في الحجاز واخرى في سوريا بطابع عربي مستقل يحكمها العرب (١٤) شارك فيها جماعة من العراقيين وكانوا سببا من الاسباب في محاربة المستعمر راغبين في المساواة بالدولة الحجازية والدولة السورية •

(١٢) جريدة البلاد ١٩٣٥/٦/٤٧٣ ويلاحظ في غمرة النضال - ص ٨٠-٨٣ و٧١-٧٤ •

(١٣) في غمرة النضال ٨٣ و٨٤ لاحظ رسالة السيد طالب النقيب الذي يقول فيها (صارحني أعداء لغتنا وأمتنا ، ولاسيما خليل بك رئيس مجلس النواب بما في نفوسهم ، وهو انهم سوف يقتادوننا الى المشانق كما تساق الاغنام الى المسالخ اذ كنا نحن العرب لانوافقهم على آرائهم ونسير بأوامرهم) • في غمرة النضال ٨٧ •

The Insurrection in Mesopotamia P. 26.

(١٤)

وقد غدى روح النقمة والالام في النفوس سوء ادارة المحتلين وامتهان كرامة الشعب وحكمه حكما دكتاتوريا عسكريا أنهك الشعور الوطني • وللقضاء على الحركات التحررية والآراء القومية كان المستعمر يريد أن يجعل من العراق تابعا للمهند وقد عومل الشعب معاملة سيئة ولم يكن المستعمر يفهم روحية هذا الشعب للمستعمر ، وظنه سيرضخ بسهولة له بالغرامات التي يفرضها والسجون التي يحكم بها والاعتقالات والمنافي التي يصدرها على ابناء الشعب الاجرار ونسى ان هذه الاعمال الاستفزازية اثارت في نفوس الشعب الحققد والكرامية للاستعمار الانكليزي ، خاصة ، وقد ظلم المستعمر الطبقة المثقفة الواعية وقادة الرأي فيه (١٥) • وقد بدا ذلك واضحا بالتصلب الذي ابداه الشعب والتمسك بمطالبهم بالاستقلال دون خوف من التضحيات والآلام التي كان يصبها عليهم المستعمرون • وقد عكس هذا الرأي محمد رضا الصافي في شعره الذي نظمته في السجن وقد كان قد عرض على المشنقة ثم عفي عنه قال :

ان من رام مثلما قد طلبنا	لايالي ان سيق للموت سوقا
رخصت عندنا النفوس فثرنا	نطلب العز والعللا لا لنبقى
ولقد سامنا العدو احتقارا	فرآنا نستسبق الموت سبقا
أنا من اسرة كرام أباء	لا يرون الحياة في الذل ابقى
شرع ان يكون موتي حقا	أو أراني يكون موتي شقا (١٦)

وظهرت روح النقمة والثورة ، على الاستعمار الانكليزي واضحة في الشعر العراقي ، تطالب بالكرامة واحترام العراقيين الذين لا يقلون عن المستعمرين في

- (١٥) كان الحاكم السياسي في النجف اذا اراد التجول في الطرق يرسل لفيفا من الشرطة ويدهم السياط يجبرون الناس على الوقوف احتراما للقادم وبعبارات شائنة (العراق في دوري الاحتلال والانتداب - ص ٣٦/١ و ص ٦٥) • ويلاحظ (الحقائق الناصعة) ص ٢٥٢ فيه مثل آخر •
- (١٦) الامواج للصافي النجفي ص ١١٩ ضمن التخميس • ومن المفيد مراجعة قصيدة محمد جواد الجزائري ص ٤٠ ج ١ في (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) •

المزايا • أليسوا بشرا لهم عواطفهم واحاسيسهم؟! فلماذا يمعن الانكليز في اذلالهم؟! • ان الشعب العراقي شعب يعتز كثيرا بفرديته وانسانيته وقلما انصاع الى حاكم او سلطان يريد ان يحتقره ويفرض عليه رأيه • شعب يحب الحرية الفردية ويتعشقها ، بيد أن الحكام الانكليز أساءوا اليه وأساءوا الى حكوماتهم زاعمين ان الشعب في العراق يريد ان يبقى الاستعمار الانكليزي وان استمرار حكم الاستعمار سوف يوطد النظام كما صنع (ولسن) في الاستفتاء الذي أجراه (١٧) فقد بعث الى الحكام السياسيين في الالوية والاقضية يطلب منهم اخذ رأي الشعب لتقرير مصير العراق ومعه تعليمات خاصة توجههم بها الى وجهة نظره في الاستمرار في الحكم البريطاني غير ان الاستفتاء قوبل بالمقاومة الشديدة وبوقيع عرائض تطالب باقامة حكومة عربية اسلامية ملكها عربي مسلم مقيّد بمجلس تشريعي وطني (١٨)

كانت هذه الامور تجري امام سمع الشعب وبصره ولكنه لم يكن بقادر على ان يصنع شيئاً فقد كانت قوات الاحتلال تفوقهم عدة وعددا لذلك كانت شكاواهم مؤلمة دفينّة كقول محمد الباقر الحلبي :

شكوت اليك لا جزعا ولكن	لتعلم كيف قد حكموا فجاروا
سأبقى ما حييت أبا (علي)	ولي يوم مع الحلفاء نار
أبا الاشبال عفوا سوف أبقى	أجاهد كي يتم لنا انتصار
سمت المكث في كنف الاعادي	فهل لي في جواركم قرار

وروح النعمة كانت روحا نائرة تريد الانتقام من الخصم العنيد الذي أذلها في كل مكان عاشت فيه • في الشارع وفي البيت وفي السجن ، فقد كان

(١٧) لاحظ بشأن الاستفتاء (الحقائق الناصعة) ص ٦٩

(١٨) المصدر السابق ٦٩ والصفحات التي تليها • ولاحظ ص ٨١ فتوى محمد تقي الشيرازي التي قطعت لسان كل خطيب فقد قال : ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة او السلطنة على المسلمين •

المسجون يقابل بأسوء ما تقابل به الحيوانات من جوع وعري ، يفرش الارض
ويلتحف السماء فقد قال محمد الباقر يصف حالة السجين :

نقضي يومنا جوعاً ونمسي	وليلتنا يمانلها النهار
نبيت بلا فراش أو وساد	لكل ثلاثة منا ازار
لرب السجن نسط كل حين	أكفاً خط فيهن الصغار ^(١٩)

ولم تكن هذه الحال محتملة حتى من اولئك الذين كانوا يسرون في ركب
الانكليز ويوالونهم فلم يضطرب الزهاوي على حالة العراق العامة ، اذ بلغ الظلم
اقصاه واسبغت على المحاسيب النعم والاموال ، فكانت قلوبهم تغلى من الغيظ والنقمة
والالام ، وليس غير الاستقلال من دواء شاف لهم فقال :

يا أيدي الظلم شلي	ويا بلاد استقلي
ويا رجاء تعزز	ويا مصاعب ذلي

حتى يقول من القصيدة :

ليس الحياة بعز	مثل الحياة بذل
قد جاء يوم بايدي	فيه أكسر غلي
ان القلوب من الغيظ	كالمراجل تغلي ^(٢٠)

ولم تكن قلوب طبقة من طبقات الشعب العراقي راضية على الاستعمار
الانكليزي لما جاءت به من حكم عسكري يسوق الناس على الظن ويتهم المثقفين
وغير المثقفين بدون حساب وبدون محاكمة لذلك كات نفوس ابناء الشعب

(١٩) مخطوطة في مكتبتي الخاصة تفضل بها علي الشاعر وهي بخط السيد
حسن عزام .

(٢٠) الباب ص ٩٤ وديوان الزهاوي ص ٢٩٥

تضطرم وتضطرب وكان من جرائها ثورة الشعراء العارمة لمصاولة المستعمر
لربح الحرية والاستقلال وقد بذل الوطنيون جهودا في سبيل اعداد الرأي
العام وتوجيهه بما نشره من مقالات وما كانوا يخطبون به في المساجد أيام
الجمع وايام ميلاد الرسول وغير ذلك من المناسبات وما كانوا يتحدثون به في
مجالسهم ودواوينهم وما كانوا ينشرون في مدارسهم • كانت ثورة عصفت بالظلم
وامتهان قيمة الشعب كبدت الظالمين ومن يسير في ركبهم الغالى •

التحريض على الثورة

- ٢ -

كانت مطالب العراقيين بادىء ذي بدء همسات ورسائل يكتبها بعضهم الى بعض لاطهار الامتعاض والنقمة والالام مما وصلت اليه الحالة العامة للبلاد من السيطرة المباشرة على جميع مقدرات البلاد من قبل جيش الاحتلال ومن تلك الرسائل رسالة بعث بها سعد صالح سنة ١٩١٩ الى صديقه الشاعر احمد الصافي يدعوه فيها الى بث روح المقاومة ضد قوات الاحتلال ويدعوه صراحة فيها الى ثورة مسلحة لتخليص البلاد من الاحتلال لان الاحتلال عار لايرضاه العراق ولن يغسل هذا العار الا سيل الدماء وتطهير الارض الكريمة من سيطرتهم • كتب يقول :

عزیز علی الحر تلك البلاد	یراها رهینة قهارها
أحمد قف بضواحي العراق	وناد یواسل أحرارها
الى كم نکابد مر الهوان	وتشقی البلاد باغیارها
أما آن أن تنتضی بیضها	وترمي الغداة بشوارها
لعل الدماء اذا ما جرت	على الارض تغسل من عارها ^(١)

ومن ثم أخذت هذه الهمسات وهذه الشكاوى تصدر من هذا الطور الى الخطب في المساجد وفي المناسبات الدينية لان الاحتلال الانكليزي العسكري اخذ

(١) سعد صالح ص ١٤٧

يشعل روح الثورة في النفوس ودون خوف من السطوة والقوة^(٢) اذ صمم العراقيون على عمل شيء يستعيدون به كرامتهم المهذرة فبدأت حركة التحرر تخرج من طور الفكرة الى حيز العمل • وقد كان يغذي هذه الروح الرأي العام العالمي والجمعيات السرية التي كانت تعقد اجتماعات لتنظيم السياسة التي تسير عليها ومن ثم توسعت هذه الجمعيات وانشأت لها فروعاً في كثير من انحاء العراق وقد كان محور الحركة بغداد التي اتصلت بالنجف وتعرف القائمون بالحركة على استعداد الوطنيين جميعاً لمؤازرة حركة الاستقلال التي تديرها جمعية حرس الاستقلال ومما زاد في قوة الحركة الوطنية انضمام اعلام رجال الدين ومؤازرتهم لها • ونشر بلاغ من الحكومة الانكليزية ، تعلن الانتداب على العراق^(٣)

اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية تحت ائستار الديني واعتنام شهر رمضان^(٤) واقامة سلسلة حفلات لاستثارة روح الشعب • وقد كان الاقبال يزداد يوماً بعد يوم واخذ الوطنيون يحتالون في عقد هذه الاجتماعات تارة باقامة حفلات للمولد النبوي واخرى بتغيير مواعيد هذه الاحتفالات ومرة بنقلها من محلة الى محلة اخرى • وقد كانت هذه الاحتفالات الدينية تتطور الى تجمهر الشعب وخروجه ساخطاً على الادارة المحتلة • وأشهر المساجد التي اشتهرت في هذه الاحتفالات كان جامع الحيدرخانة • فقد كان الخطباء يتولون مهمة حث الشعب على الثورة بعد الصلاة او بعد قراءة المولد النبوي^(٥) متخذين من جهود الرسول (ص) وصبره على مبادئه وتفانيه في سبيل الاسلام رمزا ومن استشهاد الحسين وابائه وتضحيتهم نبراساً • يدفعون بها الشعب نحو الثورة •

Sir A. L. Haldane.

(٢) لاحظ ملحق رقم ٤ ص ٣٢٥ من كتاب

تجد احصائية مفصلة عنها •

(٣) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج ١ ص ٨٠

(٤) يلاحظ منشور القائد العام في تاريخ القضية العراقية ص ١٥٨

The Incurrection in Mesopotamia P. 36.

(٥) ويلاحظ تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦ وما بعدها •

فلما رأت سلطات الاحتلال خطر هذه الاجتماعات منعتها واخذت ترهب الناس بالرشاشات^(٦) ومن هذه الاحتفالات احتفال اقيم في الحيدرخانة وأنشد السيد عيسى عبدالقادر قصيدة دعا فيها صراحة الى الثورة شارحا ما حل بالبلاد من جور واستبداد منها :

أفيقوا واسمعوا الحق اليقينا	بني النهرين نسل الطيينا
فأصبحنا جميعا صاغرينا	تفرقنا طوائف واختلفنا
بغاة من طفاة جائرينا	واسلمنا باجمعنا لقوم
وذا شأن البغاة الظالمينا ^(٧)	فجاروا واستبدوا ما استطاعوا

وليست هذه القصيدة من عيون الشعر العربي وليست من خير ما نظم في هذه الفترة ولكن جو الاحتفال وطبيعة الفرد في الجموع المتحمسة واتقاد الروح الوطنية في هذه الفترة أظهر للقصيدة أثرا كبيرا •• ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة التي القيت فقد كان من خطباء هذا الاجتماع عبدالرحمن البناء وطالب مشتاق والشيخ مهدي البصير وعبدالرزاق الهاشمي ولكن كان اثرها اكبر من أثر غيرها من القصائد مما اضطر السلطات العسكرية الى اعتقال الشاعر وارساله الى البصرة •

فما كان من الوطنيين الا اغتنام هذه الفرصة فاحتجوا احتجاجا شديدا واغلقت المخازن ووقفت الاعمال واقامت مظاهرة كبيرة احتجاجا على هذا الاعتقال^(٨) جرت الى قتل أخرس دهس بسيارة فاحتفل به احتفالا رائعا وسماه

(٦) في غمرة النضال ص ٢٤٥

(٧) مخطوطة في مكتبتي بخط الشاعر •

(٨) اجتمع المتظاهرون في جامع الحيدرخانة وانتخبوا من يمثلهم لمفاوضة سلطات الاحتلال في الغاء الحكم العسكري وتأسيس دولة عربية • لاحظ اسماء المندوبين في (في غمرة النضال) ص ٤٧

الناس (شهيد الوطن) لاثارة الوعي القومي في النفوس^(٩) .

وقد كان خطباء الثورة وشعراؤها يبذلون جهدهم في تحريض الناس باخلاص ووضوح محددين هدفهم وغايتهم التي كانت محاربة المستعمر وطرده من بلادهم ، وقد ظهرت هذه الرغبة في محاولتهم اقناع الشعب للسير متضامنا معهم ، لان اقناع الشعب في امر من الامور والايعاء اليه سيدفعه بغف وباخلاص وبلا شعور لذلك كان الشعر يطفح بالوضوح وكلمات الحماسة حتى يفهم الشعب سريعا وبيسر وسهولة . فابتعد عن التقليد والتقييد وجانب الصناعة اللفظية وانتقاء العبارات . وركز على الكلمات المثيرة المهيجة التي تمس الشعب الحساس وقد ظهرت روح العراقي الحزينة في شعره جليلة فقد كانت الهموم تطفح من ثنايا شعر فقد قال عبدالرزاق الهاشمي :

وطني العزيز الى متى	متكبد كل اضطهاد
يا ايها الشعب الذي	اضطهدوك كم لك من ايادي
رتعوا بنعمتك التي	درت على حسب المراد ^(١٠)

وقد كانت الخطب والقصائد مسابقة وطنية سمت في روحها ومشاعرها وطفحت بنغمت وجدانية عاطفية عميقة لان الشاعر كان يحس بانه يكافح عن حقوق بلاده ويريد ان يهز جماهير السامعين وينقل اليهم مشاعره . وكان

(٩) يقول الاستاذ البصير انه قتل بطلقة في ١٥٠ من تاريخ القضية العراقية وكان من نتيجة ذلك ان ارسل حاكم بغداد العسكري والسياسي في طلب السيد ابوالقاسم والشيخ احمد الشيخ داود والشيخ احمد الظاهر وجعفر أبوالتمن ورفعة الجادرجي والشيخ سعيد النقشبندي وعبدالرحمن الحيدري وعبدالوهاب النائب وعلي البازركان والسيد عبدالكريم حيدر وفؤاد الدفترى والسيد محمد الصدر ويوسف السويدي وياسين الخصري ومحمد مهدي البصير .

راجع تاريخ القضية العراقية بشأن ترجمة كل واحد منهم ص ١٥٠ وما بعدها .

(١٠) الاخبار في سير الرجال : خالص حمادي ص ٧٠

الشاعر المجلي هو من يسيطر عليهم ، والقاء هذه القصائد تكسب الشاعر فخرا وعزا لسبيين الاول المناسبة الوطنية والثاني ماتضفيه الجماهير على الشاعر من احترام يملأ النفس غبطة وسرورا • اما من الناحية الفنية فان هذا الشعر لن يكون خالدا اما يذهب بذهاب المناسبة التي قيلت فيه بيد انه يقوم بواجبه خير قيام فيغذي الثورة ويدفعها • ومع ذلك فان هناك بعض الطفحات الفنية يتلمسها الباحث بين خضم الشعر الهادر • وليس شعر الثورة في العراق وحده اختص بهذه الميزة فكل شعر امة يكون في مثل هذه المناسبة يكون من نصيبه مثل شعر هذه الفترة لان الثورة اندفاع وحماس وعاطفة متأججة ولا مجال للروية واعمال الفكر وتميق الاساليب ولا يكون شعر الروية الا في أيام هدوء الامة وصفوها واستقرارها لان الفن وليد الاستقرار والهدوء والطمأنينة • اما شعر الثورة فهو الوقود لاذكاء الشعور بالالفاظ والموسيقى •

وقد كان يغذي هذا الشعر شعور عميق كامن في خنايا الصدور هو الشعور الديني يغطي طورا بالوطنية وآونة بالقومية ومرة يبرز مع بغض المستعمر • لان الشعور الديني الذي تربى عليه هؤلاء الشعراء كان يجري في احاسيسهم وقلوبهم فجرى مع التيار القومي الجديد •• ثم ان الدين الاسلامي كان الرابطة التي تربط العرب بالعثمانيين الاتراك •• وليس من السهولة ان يتلخص المرء من عقيدته او من دينه وتثور في نفسه بين آونة واخرى ثورة على ما صنعه اذ كيف يهاجم اخوانه المسلمين •• هو بحاجة الى اقناع نفسه وتبرير عمله هذا ••

وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص المؤمن بعقيدته ، يحارب من يحارب المسلمين ولكنه حارب الدولة العثمانية في سبيل استقلاله وفي سبيل حريته وفي سبيل عروبتيه ، فجاء الانكليز وسيطروا على العراق وهم بعيدون عن الشعب بكل شيء •• فكيف يرضى الذل تحت سيطرة الحكم الانكليزي الذي يسومه سوء الهوان •• لذلك اتخذ الشاعر العربي المسلم الدين وسيلة ليرضي ضميره وقلبه •• والفكرة الدينية التي ركن اليها الشاعر تمنع حكم غير العربي المسلم الهاشمي وحكم الانكليز مخالف للمنطق الاسلامي والحق فقال ، فقال محمد جيب العبيدي :

ما تركنا اخواننا الاتراكا فخذلناهم ووازرناكا
شغفنا يا ابن لندن بهواكا بل لنيل استقلالنا بولاكا
فلماذا تكون فينا وصيا

ويدلي بالحجة والاسباب التي تمنع الانكليز من ان يكونوا اوصياء على
الشعب فقال : *سيري*

لم تكن يا ابن لندن علويًا هاشميًا لا ولم تكن قرشيًا
لا ولا مسلمًا ولا عربيًا من بني قومنا ولا شرقيًا
فلماذا تكون فينا وصيا

لذلك فالاستعمار الانكليزي استعمار جائر ، استعمار يجب أن يحارب ،
لا تقره اصول البشرية ولا القواعد الاسلامية ، وبقاء الانكليز سيستمر الا اذا شن
العرب الغارة وطردها المستعمر بالقوة وليست قواهم بتاركة هذه البلاد الا
بالمبادرة الى العمل : لان سكوتنا سيخيب الآمال :

انما نحن في الحروب رجال وكما يوم الوغى ابطال
يا لقومي فلتج الاعمال يا بني العرب خابت الآمال^(١١)
ان رضينا بالاجنبي وصيا

وقد نظم خلال الثورة شعراء آخرون^(١٢) وقد كانوا جميعا متفقين في
الهدف هو المطالبة بانهاء الحكم الاجنبي في العراق وانشاء حكم وطني اساسه

(١١) الاخبار في سير الرجال ص ١٣٤

(١٢) ان استقصاء اسماء الشعراء لا يمكن حصره من هؤلاء الشعراء الذين عثرنا
لهم على نتاج محمد مهدي البصير ومحمد حبيب العبيدي وعبدالرزاق
الهاشمي وعيسى عبدالقادر ومحمد الباقر الحلبي وملا عثمان الموصللي
ومحمد حسن الحداد الكاظمي ومحمد عبدالحسين سرکشك وناجي
القشطيني وعبدالرحمن البناء وحسن الجواهري ومحمد مهدي الجواهري
ومصطفى جواد وعبدالكريم العلاف .

الاستقلال والحرية فمن هذه القصائد التي أُلقيت في جامع الحيدرخانة قصيدة
عبدالكريم العلاف^(١٣) منها :

ألا خبروا عنا العداة باننا	اناس على ذل الوصاية لا نرضى
وقولوا لهم وفوا العهود فخلفكم	اسود عرين رابضون لكم ربضا
فنحن عرفناكم بكل سياسة	وان كان بعض منكم يجهل البعض ^(١٤)

وأشهر شعراء الثورة العراقية هو محمد مهدي البصير فقد جاء من الحلة
الى بغداد لانشاد الشعر واهاجة الناس وتحريضهم وبث روح الحماسة في نفوسهم
وقد كان البصير قويا غنيا متحمسا كثيرا فكان ذلك مدعاة نفيه الى (هنجام)
بعد ان سجن في العراق . ويمتاز شعر البصير بأسلوب جزل ومثانة في التعبير
ورصانة في الالفاظ وتبدو المسحة العباسية واضحة على شعره ومن قصائده قصيدة
طويلة يخاطب بها الوطن ويحرض أبناءه على الثورة ويقدم نفسه فداء له .
ويتمنى هذا الفداء والموت في سبيله والا فلا حق له في أن يدفن في ثراه الطاهر
الزكي وثم يفصح نوايا الاستعمار والساسة الذين موهوا عليه فقال من قصيدة
ألقاها في جامع الاحمدية :

كذبتك أقطاب السياسة عهدا	فلتضمنن لك الحياة ضباكا
أفطلبون لك الرعاية ضلة	ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ويؤملون لك المعونة بالله	ما كان أفقرهم وما أغناكا
لو أنصفوك لحرروك لانهم	ربحوا قضيتهم بطل لواكا

ومنها :

ما أولع الاحرار منك بقرية يفدون منها بالرقاب رباكا^(١٥)

-
- (١٣) أخبرني الاستاذ العلاف بانه القى ثلاث قصائد في مناسبة الثورة .
(١٤) مخطوطة في مكتبتي نقلتها من ديوان الشاعر .
(١٥) لم يمكنني الدكتور البصير من ديوانه لذلك أعتمدت على المنشور من شعره
ولعل الظروف التي كانت قائمة عند ما كتبت هذا الكتاب ومنعت الاستفادة
من ديوان الشاعر قد زالت .

يصبو قتلهم بكل صفيحة أخذته حتى صار من قتلاكا^(١٦)

وله قصيدة تتجلى فيها الروح الابية التي كانت تسيطر على روح الشعب المتوئب فقد أراد هذا الشعب أن يتحرر بقوته وأن يأخذ حريته أخذ القادر العزيز ولا يريد لها منحة يعطيها له المستعمر فيكون المتفضل ، قال البصير :

ليحطم المستعمرون قيودهم فالحجوا ايسهم من الاعناق
واشق من اسرى على بان ارى يد آسرى يوما تحل وثاقي^(١٧)

وقد فاضت القصائد التي نظمت في هذه الفترة بالحث على الثورة وبالتغني بالامجاد العربية ، فقد أراد الشعراء أن يعيشوا في الشعب ثقته بنفسه وبكرامته فيرى نفسه نظيرا لهؤلاء المستعمرين قوة ومقدرة لذلك اتخذوا التاريخ الاسلامي معوانا لهم في دفع الجماهير نحو الثورة ، وطفحت القصائد بالحث على كرهه الاجنبي وكان هذا الكره نتيجة حتمية وصدى لواقع العراق الذي سامه الاستعمار الهوان وأذاق أبناءه الذل . ان كره الانكليز أدى الى كره كل أجنبي ومقت كل غريب عن الشعب خوفا وحذرا ، مما يجره عليهم هذا الاجنبي الغريب ، ما جره الانكليز وحلفاء الانكليز عليهم فهذا القشطيني^(١٨) يسخر بحرارة من وعودهم التي خشوا بها فيقول :

قد غرك البرق اللامع فبات صدرك منشـرح
وفرحت من كل الوعود وخاب من فيها فرح
اين الحليف واين من يصغي اليك فتقترح
قد خان عهدك هازئاً لما بتجرتـه ربح

(١٦) الادب العربي ج ٢ ص ٩٧ وله قصيدة نشرت في جريدة العراق العدد ١٨١١/٢١ في ١٨ حزيران ١٩٤١ وقد ألفت الكافية في جامع الاحمدية راجع الوقائع الحقيقية ص ٩٧ و ٩٦ .

(١٧) الوقائع الحقيقية ص ٩٦ وله بعض قصائد ذكرها المؤلف

(١٨) القى القصيدة الاستاذ توفيق المختار في جامع الشيخ صندل في الكرخ .

ثم ظهرت الدعوة الصريحة لاخت الحق بالقوة ، فقد فشلت الطرق السلمية في أخذ الحق من يد الظالم ، ومتى سلم الظالمون بالحقوق بسهولة ؟ وقد كان بالامس حليفا حارب معه العرب وتحملوا من أجله الموت فانقلب سيذا شرسا ظالما • فهناك مبررات كثيرة دفعت العربي الى حرب الحليف الذي لم يرفع الذمام وهل هناك شرف وفخر يزاحم شرف الموت في سبيل الاوطان وفي سبيل الحياة الكريمة •

يا ايها العربي قم	واقـدح زنادك ينقدح
وافتح طريقك بالظبي	فغيرها لا ينـصلح
وخذ الحقوق جميعها	أو مت عزيزاً واسترح ^(١٩)

وقد قال البناء ان انكلترا تدفعنا للحرب دفعا ولكن متى ما حاربناها فستكون الحرب سعيرا تتلظى تحرقهم وسنحاربها لان الحرب خير طريق للحرية رغم ما في الحروب من مآسى وبلايا قال :

وان الجأتنا للحروب فأننا	نحاربها حربا تضيق خناقها
نحاربها والحرب خير محرر	وان كره الاغرار مرّ مذاقها ^(٢٠)

(١٩) مخطوطة بخط الشاعر في مكتبتي وقد نشرت في مجلة الاخلاق العدد ١٦

السنة الاولى ١٩٢٨

(٢٠) مجلة الاخلاق العدد ١٦ السنة الاولى ٨ مايس ١٩٢٨

المقاومة العلنية

- ٣ -

ما كان العراقيون مستعدين للثورة فلم تكن الآراء قد تبلورت واستعدت لها من قبل وانما دفع العراق لها دفعا • فقد كانت آراء القادة والزعماء غير مستقرة ، فكان منهم الخائف الضعيف ، ومنهم المتروي المترن ، الذي يخشى على العراق نتائج (فشل الثورة) ، ولم تكن للثورة خطة واضحة للسير في هداها ، ولم يكن هناك رأى عام موحد لنظام الحكم الذى يريدونه ، انما كانت آراء مضطربة واتجاهات ليست مدروسة ، فهذا يريد العراق تحت حماية بريطانيا^(١) وذلك يريدوها حكومة ملكها برسى كوكس^(٢) وجماعة يريدونها ملكية وآخرون يفضلونها جمهورية ، ويثار الاختلاف فمن يكون الملك ومن يكون رئيسا للجمهورية ولا يصلون الى نتيجة يتفقون عليها •

ولكنهم كانوا متفقين على شئ واحد هو الحصول على الاستقلال وحكم العراق من قبل أبنائه أما موقف سلطات الاحتلال فقد كان المماثلة المستمرة دون النظر الى التصريحات التي كانت تنشر عن حق تقرير المصير^(٣) وكانت تعامل

(١) الوقائع الحقيقية ص ٦٤ و ٦٨

(٢) الوقائع الحقيقية ص ٦٩

(٣) تاريخ القضية العراقية ص ٧٨ والعراق من الاحتلال الى الاستقلال ص ٢٦ والحقائق الناصعة والطريف ان يتلى تصريح بريطانيا وفرنسا في احد اجتماع العراقيين بالحاكم العسكرى • راجع ص ١٦٢ وما بعدها من تاريخ القضية العراقية •

العراقيين معاملة سيئة وتهين الشعب وتستفزه • فقد التجأ (ولسن) الى العنف وأخذ يمنع الحفلات التي تقام في المساجد • ولما اجتمع الشعب في الحيدرخانة ، شتت المجتمعين بالقوة^(٤) فقتل شخص ثم لاحق زعماء الحركة لالقاء القبض عليهم كما انه اعدم بعض الذين قاموا للحيلولة دون الوصول الى دار يوسف السويدي والقاء القبض عليه والقي القبض على آخرين^(٥) من بغداد وبعض أنحاء العراق فولد جوا رهيبا كان له رد فعل عنيف في النفوس فتهيأت النفوس واستعدت لاشعال نار الثورة وفكرت في مقاومة المستعمر مقاومة عننية ولم تكن مدن العراق الاخرى بمنجاة من سياسة العنف فقد حدث في النجف وكربلاء والحلة والديوانية مازاد اضرام القلوب حقدا ورغبة في الثورة^(٦) • ولم تجد المراسلات التي جرت بين زعماء الدين والبريطانيين في تخفيف سياسة العنف^(٧) وجاءت فتوى الشيخ الشيرازي محققة لأمني البلاد اذ أفتى بأن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم من ضمن متطلباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم^(٨) •

لم يكن مركز الثورة بغداد وانما كانت هناك عدة مراكز في أنحاء العراق وكان من جراء مطاردة المستعمر للاحرار أن انتشروا في العراق وكانوا الواسطة لتأليب الشعب على الثورة وكانت حالة البلاد العامة مدعاة الى اجتماع الزعماء

(٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦

(٥) تاريخ القضية العراقية ص ١٨٥ وما بعدها وقد ذكرها البصير ترجمة حياة الشهيد عبدالمجيد كنه ص ١٨٧

(٦) وقد شنق الانكليز احد عشر شخصا في النجف ونفوا جماعة كبيرة من احرار النجف وحكم على آخرين بالسجن (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) ٢٦-٣٨ ج ١ • توجد تفاصيل عن الحادث والاسماء بالتفصيل ولا حظ ص ١٠٢ •

(٧) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٧٥ و٧٦

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٠٤

لتفكير في أنجع الطرق للتخلص من الحالة المؤلمة ، والمصير الذي آلت اليه البلاد ، فاجتمعوا في دار أحد الزعماء وانبرى السيد محمد الباقر الحلبي^(٩) وخطب فيهم خطبة ثم قصيدة حذرهم من الانكليز والركون الى وعودهم وضرب لهم أمثلة من أعمالهم التي قاموا بها في مصر والهند منها :

بني العرب لا تأمنوا للعدى مكرًا خذوا حذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة وييغون ان حانت لكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا أضاليلهم في الهند والكذب في مصر

وحذرهم من وعود الانكليز المعسولة التي سرعان ما ينقضونها فقال :

ولا تقبلوا منهم بقول مموه فما عاقل يرجى بأعدائه خيرا

وحثهم على الثورة لانها الحق الواضح الصريح فاذا لم ينتصروا فيها * فسوف يتوجون بالفخر والعز ولن يلومهم لائم أو يتهممهم متهم بأنهم تقاعسوا وذلوا فقال :

ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذر^(١٠)

وما أن أتم الخطيب خطابه وشعره حتى قام الشيخ محمد العبطان وسل سيفه وقال : انا قطعنا على أنفسنا عهدا اما الموت أو الاستقلال التام^(١١) كان هذا الاجتماع وغيره نتيجة محتومة لعدم تقبل سلطات الاستعمار الحلول السلمية وانما أرادت اظهار سطوتها معتقدة انها قادرة على القضاء على كل حركة يقوم بها العراق في سبيل استقلاله وقد فات القائمون أن حرية الشعوب لن يقوى على

(٩) الحقائق الناصعة ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ القضية العراقية ص ٩ وبشأن

الاجتماع الذي عقد بدار الامام الشيرازي ص ١٤٢ وبشأن الاجتماع الذي

عقد في دار حمدي بابان والاجتماع الذي عقد في دار رفعة الجادرجي ص ١٦٠

والاجتماع الذي عقد في بيت السيد يوسف السويدي ص ١٧٧ .

(١٠) مخطوطة في مكتبتي الخاصة .

(١١) الحقائق الناصعة ص ١٧٥ .

مقاومتها حائل والا لاتعظ العراقيون بقوة الانكليز وارتدوا خوفا مما صنعوه في النجف^(١٢) أو بغداد ولخاف العراقيون من بطشهم وجبروتهم • ان الحرية والاستقلال لن يقف أمامهما الموت فهي أقوى من الموت ولئن تأخر الشعب فقد كانت قلوبهم تغلي كالمراجل حقا وغدت كل ثورة ضد الانكليز جهادا ومن العار على العربي أن يقعد •

ومن القصائد التي ألقيت في التحريض على الثورة قصيدة حسن الجواهري وفيها يقول :

من العار أن تبقى على الضيم مقعدا فلا العيش الا ان تكون ممجدا
مواطنك الغر التي بك شيدت تناجيك فاسعفها خلاصا من العدى
أراقت دماء من نفوس بريئة لتبنى طريقاً للحياة ممهدا^(١٣)

ومع كل هذه المقدمات فلم تكن تخرج الفكرة الى حيز العمل فما فكر العراقيون في ثورة مسلحة اجماعية ضد الحكم البريطاني ، لانهم كانوا يأملون بعض الاصلاح ودللتنا تلك المفاوضات السلمية التي دارت بين العراقيين والسلطان العسكرية التي أظهر فيها العراقيون من طيبة القلب وحب السلم والمحافظة على النظام ما يدين المنعمرين بأنهم البادئون بالعدوان فقد وصموا الاحرار بأنهم مفسدون والابرياء بأنهم مجرمون^(١٤) ولا أدل على حب الشعب للسلام والرفق من ابيات الشعر العامي التي منها :

(ردنه الرفك وياه ما صح بيدنه)^(١٥)

(١٢) حوصرت النجف اربعين يوما بعد قتل حاكمها ولما فك الحصار شفق المستعمرون احد عشر رجلا ونفي مئة وسبعة رجال •

(١٣) رسالة مخطوطة من قبل الشاعر

(١٤) يلاحظ كتاب شيخ الشريعة الاصفهاني في (الحقائق الناصعة) ص ١٥٧ وما بعدها وفي تاريخ القضية العراقية ص ١٩٦

(١٥) اي أردنا منه الرفق ولكن لم نتمكن من الفوز به (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) ص ٥٣ الحاشية • لاحظ في الوقائع الحقيقية ص ١٣٩ • رأي الاستاذ البازركان وص ٦٩ وفي تاريخ القضية العراقية رأي السيد محمد صدرالدين •

أما السبب المباشر للثورة العراقية فهو سجن الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشائر الطوالم وتعنيف الحاكم السياسي له وتوبيخه فجاءت جماعة من عشيرته وأخرجته عنوة من السجن وبعد ذلك حاصرت العشيرة الحامية البريطانية ووطعت طريق القطار^(١٦) وأخذت الثورة تنتشر بين القبائل • وقد ساهم بعض الضباط العراقيين في الثورة • وحدثت عدة معارك أشهرها معركة (الرانجية) انتصر العراقيون على الجيش المحتل فهز هذا الانتصار العواطف وحسب ثائرون انهم قادرون على اكتساح المستعمر من البلاد فقد نظموا أنفسهم تنظيماً حديثاً وألفوا المجالس الادارية لتسير امور ابلاد ووزعوا حكماً على بعض المناطق وقاموا بامور اخرى دلت على نضج قادة الثورة • واهم ميادين الثورة كانت منطقة الفرات فعندما اخرج الشيخ شعلان انتشرت الثورة في الجنوب كما انتشرت الدعوة الى الجهاد التي اذاعها رجال الدين^(١٧) وقد سجل محمد مهدي الجواهري اعمال الثورة في الفرات بقوله :

وللفرات نهضة	مشهودة لا تجحد
هاجوا بها لا لعب	فيما اتوا ولا دد
غطارف من الظبا	صرح لهم ممرد
وفتية على المنى	أو المنايا احتشدوا

ويتطرق الى واقعة الرميثة (العوجة) التي تركت الثناء المخلد في صفحة التاريخ وقد ذكر الجواهري خسارة الانكليز ومنها خسارة قطارين مسلحين •• ارسلا للقضاء على الثورة فقال :

وللقطار وقعة	منها تفر الكبد
ما تركوا حتى الحديد	سلسلوا وقيـدوا ^(١٨)

(١٦) تأريخ القضية العراقية ص ٢٠٠ وما بعدها •

(١٧) الحقائق الناصعة ص ١٩٢ وما بعدها

(١٨) ديوان الجواهري طبعة ١٩٢٨ ص ٩٧

وقد خسر البريطانيون بارجة كانت قادمة لمحاصرة الكوفة وبعد ان ألحقت
اضرارا بالغة بالشوار وبالاهلين ضربها الشوار بمدفع غموه من القوات الانكليزية
في معركة الرانجية فقال الجواهري يسجل هذا الحادث (١٩) :

وان أنسَ لا أنسَ الفرات وموقفا	به مثلت ظلم النفوس الفضاء
غداة تجلى الموت في غير زيه	وليس كراءٍ في التهيّب سامع
بباخرة فيها الحديد معاقل	تقيها واشباح المنايا دوارع
تشير والحظ البروق شواخص	ليها وامواج البحار توابع

ويصف جنحوها بعد أن ضربها الثائرون بقوله :

هنالك لو شاهدتها حين نكست	كما خر يهوى للعبادة راکع
هوت فهوى حس وظلم تمازجا	بها وانطوى مرأى مروع ورائع (٢٠)

والملاحظ ان مدينة بغداد كانت قد تزعمت حركة الثورة بادىء الامر
وقادت الشعب نحوها وقد ارسلوا ضباطا لتدريب الافراد وحاولوا مساعدتها
ماليا (٢١) لكنها لم تشهر السلاح أو تَقُم بعمل حربي لانها كانت تحت السيطرة
البريطانية المباشرة وقد قضت السلطات على كل من اشتغل في الثورة فقد نفت
بعضهم واعدمت آخرين (٢٢) وقد انتشرت الثورة في بعض مناطق اخرى من
العراق كالديلم وديالى • وبالرغم من ان هناك بعض معارك حربية جرت في غير
الرمثة الا ان الحظ لم يساعدني في العثور على شعر غير قصيدة مصطفى جواد
ويصف فيها جانباً من ثورة الخالص في لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنا في مواقف محرجات	ولاقينا مدافع وانفجارا
وذدنا عن حمى وطن مباح	ورمنا في معاركنا انتصارا

(١٩) الوقائع الحقيقية ص ١٥١ والحقائق الناصعة ص ٢٣٨

(٢٠) الديوان ص ٥٤

(٢١) الوقائع الحقيقية ص ٢١٨ والحقائق الناصعة الصفحات ٥٨٧ و٤٠٤ و٤٠٥

(٢٢) الحقائق الناصعة ص ١٣٦ - ١٣٧ وفي غمرة النضال ص ٢٥٩ وص ٢٦٠

والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩٤ و ٩٥ ج ١ .

وفي القصيدة يصف الاعمال التي قامت بها سلطات الاحتلال فبعد ان استولت على الخالص أسروا جميع القادرين على حمل السلاح وكنفوهم وقتلوهم سرا • اربعة اربعة • ثم القوا بهم في الطرق والمخارج والمداخل ثم انتنت جثثهم وليس لهم من يدفنها حتى تراجع الهاربون بعد العفو العام فدفنوههم فقال :

شباب اعرسوا بالموت مردا وكان رصاص قاتلهم ثـارـا
وتابعهم كهول القوم زفا فوا حزنا لمن تركوا الديارا (٢٣)

والاستاذ مصطفى جواد كان شاهد عيان لهذه الحادثة ولم يقتل لانه كان صغيرا • وقد حدثني المرحوم والدي الكثير عن الضحايا في المعارك الارهابية التي اقترفها الاستعمار • وقد كانت لوعة النساء والرجال مستعرة لسنين طويلة لم يقم بعدها للخالص قائمة فما ثارت وما انتفضت بعدها •

وعلى هذه الفواجع يقف شاعر عراقي ساخرا منها ومن التائرين فيقول شامتا :

لقد تشتت عن خوف ومن ندم جيش حوالي ديالى كان محتشدا
ما كنت أرجو على علمي بنزعتها ان يبدو الشر من ابنائها فبدا
احزم بناس رأوا في ارضهم فتنا فلم يكونوا لمن قاموا به عضدا (٢٤)

(٢٣) الشعور المنسجم ديوان الاستاذ مصطفى جواد المخطوط ويلاحظ بشأن الثورة في ديالى ، تاريخ القضية العراقية ص ٢٣٤

(٢٤) ديوان الزهاوي ص ١١٠

أثر الثورة

- ٤ -

فشلت الثورة ، فلم يقدر العراقيون على مقاومة قوى الاستعمار الفتاكة ، وقد كان رد الفعل عنيفا في نفوس الذين تفاؤلوا كثيرا ، واثارت نتائج الثورة الالم والحسرة في القلوب . فقد ضربت بعض المدن والقرى بالطائرات ، وهاجر بعضهم ومعهم المواشي والاطفال فرارا من قصف المدفعية الثقيلة وخوفا من سطوة المستعمرين والتجأ بعضهم الى الكويت ، ناجين من الايذاء ، وقد تركت الهجرة بعض البقاع مهجورة فقرا فقال سعد صالح يصف هذه البقاع ولم تركها اصحابها :

سُئِمَ العيش في وطن	يضام يذل يضطهد
محته يد القضاء فراح	لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع فلا	قديمات ولا جدد
رياض صوّحت ومهـا	ذعرن ومجمع بدد ^(١)

وقد وقف محمد مهدي الجواهري متعجبا من ايذاء الانكليز للشعب وهم مسيحيون والدين المسيحي دين يأمر بالمحبة والسلام ، وهؤلاء المسيحيون يسفكون الدماء البريئة ويخالفون اوامر دينهم :

على أي عذر تحملون وقد نهت	قوانينكم عن فعلكم والشرائع
على رغم روح الطهر عيسى اذلتم	براء دماء هوّنتها الفظائع

وقد وصف الجواهري الديار الخالية التي تركها اهلها فرارا فقال :

(١) سعد صالح ص ١٣٦ بغداد ١٩٤٩

وقد راغني حول الفرات منازل تخلين عن ألتفها ومرايع
دوائر من بعد الانيس توحشت وكل مقام بعد أهليه ضائع

وقد كان الجواهري يطفح بالامل والبشر والايمان بالرغم من فشل الثورة
في اهدافها لانها برهنت للعالم على ان العربي الذي في قلبه هذا العزم والثبات
في سبيل حريته لن يموت ولن يقدر عليه اجنبي او يكبح امنيته في سبيل عرويته
فقال :

فان ذهبت طي الرياح جهودنا فعرضك يا ابناء يعرب ناصع
تبت وحسب المرء فخراً ثباته (كما ثبتت في الراحتين الاصابع)^(٢)

وعلى عكس الجواهري كان سعد صالح قد آله خسارة الثورة وكان رد
الفعل عنيفا على نفسه فسيطرت على روحه ظلال التشاؤم والالام فقد كان يأمل
الفوز والنصر • ولم يتأخر الزهاوي عن رثاء القتلى ووصف ما حاق باليوت
من الالام ، وبأسر القتلى من أحزان بدماء الشباب التي أراقها المستعمر الغريب
فقال :

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفة ججاج
ولن اقيمت في البيوت على كرامتها المناوح
ولأية ندبت من الليل الحمامات السوداء

ووصف ما حاق بالقوم في اثر شهداء الثورة الابرار فقال :

ولقد أصاب القوم ما أبكي العيون من الفوادح
اذ هاجموا يوم الوغى غلب المدافع بالصفائح

ورثا الشباب الحر بقوله :

لهفي على الفر الشباب ب مجندين على الصحاح
ولقد تغور جرحهم بين الترائب والجوانح^(٣)

(٢) ديوان الجواهري ص ٥٥ و ٥٦

(٣) ديوان الزهاوي ص ١٧٦ ونشرت في الادب الجديد لمحمد جمال الهاشمي

ان فشل الثورة ليس معناه موت امة وانما هو عود الى الكفاح والى النضال حتى تتحقق مطالبيها لذلك فالشعراء اخذوا يضمّدون جروح الالم ويمسّون المستقبل بالابتسامة والامل ومادامت الامة تبسم للرجاء وتنظر الى المستقبل نظرة التفاؤل والنصر فسوف يكون لها ما تريد ولن يقف امامها مستعمر او يحول دون وعيها وادراكها وقوتها حائل فقد يتمكن المستعمر ان يؤخر عليها آمالها ولكنه هيهات له ان يحرمها منه • فقد قال الجواهري :

صبرا وما طاب لكم	مرعاكم والمـورد
صبرا وما عودتموا	من قبل ان تضطهدوا
ان رفعت رواقها	الحرب فاتم عمـد
وأنتم اذا الوغى	اعوزها من يوقـد
نيران حرب يصطلى	الادنى بها والابعد ^(٤)

اما اولئك الذين اخذوا يلومون القائمين بالثورة لانهم لم يكسبوا عاجلا او انهم خسروا آجلا ، فهم اناس قصيرو النظر لان الثورة سوف تبقى موجبة في النفوس وسوف يحمد للقائمين بها اعمالهم ولن يبخل التاريخ بتسجيل ماقدموه للشعب من تضحيات فقد قال ابو المحاسن في سجنه بعد الثورة :

ان يـذم اليوم قوم غرسنا فلنا من بعد حمد المجتني^(٥)

ولم يقر المواطنون بالهزيمة المادية التي لحقتهم في المعركة وواصلوا العمل من اجل الثورة ومكافحة القوات المحتلة • فقال خيري الهنداوي :

ويك لا ارتضي الحياة بذل	قم فمزق اهابها تمزيقا
وادر لي في الرافدين محيا الـ	حرب وكسر الابريقا ^(٦)

(٤) الديوان ص ١٠١

(٥) الادب العصري ج ٢ ص ١٣٧ •

(٦) الادب العصري ج ١ ص ١٦٨ • وديوانه المخطوط عندي نسخة منه •

ان موتاً في سـاعة الع
يا لقومي لقد دهتها الدواهي
زَلموت أجدر به أن يروقا
وهي تأبى من نومها ان تفيقا

وقد واصل خيرى الهنداوي الدعوة للثورة بعد عودته من منفاه في هنجام
لانه لم يؤمن بفشل الثورة فقال :

لست من هاشم اذا لم اقدھا
شزباً توقد الوغى ايقادا

ومنها يقول :

قم فجنّد من عزمك الاجنادا واركب العزم واقعده جودا^(٧)

أما الذين لم يكونوا راغبين في الثورة فلم اجد غير شاعرين هما علي
الشرقي وجميل صدقي الزهاوي وقد كتبت للشيخ الشرقي رسالة اسأله فيها لم
لم يكن من الداعين الى الثورة العراقية وهي ثورة ضد المستعمر فأجاب (ان
الثورة مقدسة وأهدافها سامية وانا من خدامها والعاملين لها من يومي حتى
الساعة^(٨)) وان الشعب العربي كان ولا يزال في اشد الحاجة لها .. واني والصفوة
من أصحابي كنا نريدها ثورة قومية شاملة ولا نريدها اقليمية اذ في الاقليمية
مضيعة للمهدف وانتشار للقلادة ..) وبذلك يتكشف لي رأي جديد من وجود
جماعة ارادت الثورة العراقية ان تتأتى حتى يقيم العرب ثورة عامة ينضمون اليها
جميعا ولعلمهم نصحوا القائمين بالثورة بالتروي وعدم الاسراع ولما فشلت الثورة
ورأى الشرقي الخسارة التي لحقتهم قال :

يا ثورة أعقبتهـا
كم في سراري عتب
ندامة الثـوار
لو تسمعون سراري
هذا اختياري ولكن
بالجبر أصل اختياري
تدارك الله شعباً
يهمّ بالانتحار^(٩)

Compte
والمثل

(٧) ديوانه المخطوط

(٨) كانت الرسالة سنة ١٩٥٧

(٩) جريدة العراق العدد ١٨٥٣/٧/ الثالث من حزيران سنة ١٩٢٦

ولم يكن الشاعر قد حدد رأيه عندما نشر هذه الابيات ولكنه عاد فحدده
عندما نشر ديوانه فكانت قصيدة عامرة قال فيها :

كنا نحاول أمراً يفوق كل اعتبار
اهدافه تتغنى بوحدة الاقطار
نريد تشييد صرح من فوق تلك السوار^(١٠)

أما السيف الحاد الذي كان مسلطاً على الثورة فقد كان الزهاوى فقد
رأيناه يمتدح الثوار ويرثي الشهداء يرفعهم عالياً في شعره ولكن ما أن تطأ رجل
يرمى كوكس أرض العراق حتى نسى كل شيء وإذا به يلقي كلمة مسهبة
يصور بها حال العراق بالرجل العليل الذي يرح به السقام من الثورة التي
أصبحت فتناً واضطراباً ويرجو القادم المستعمر ان يسارع في ايجاد العلاج
اللازم لهذا المريض بان يخمد الثورة ويقطع دابر الفساد^(١١) ومع ان الثورة
لم تكن قد خمدت حتى ذلك اليوم فانه تجاهل شعور الرأي العام وتحداه فقال:

عد للعراق وأصلح منه ما فساد واثبت به العدل وامنح اهله الرشدا
الشعب فيك عليك اليوم معتمد فما يكون كما قد كان معتمدا

ثم هاجم زعماء الثورة ووصفهم بأنهم بغاة الشر أرادوا أن يفسدوا في
الأرض ولن يخمد شرهم ويقضى عليهم غير الحاكم العام فقال :

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا اثارة الشر فيه وهو ما قصدا
أما وقد جئت مصحوباً بمقدرة فلا أبالي اقام الشر أم قعدا

تختلف نظرة الناس الى الاعمال وخاصة تلك التي لا يكتب لها النجاح
ولكن هنالك الاعمال الوطنية التي يؤمن بحقها الاحرار الذين يواصلون العمل
من أجلها فستبقى غايتهم ومطلبهم وقد احتضن قادة الرأي والشعراء فكرة
الاحتفال بذكرى الثورة كيلا يتسرب الوهن الى النفوس ولا تتخاذل الذكرى
سبيلاً لمواصلة الكفاح .. وليست حياة الشعوب المغلوبة على أمرها الا كفاح

(١٠) ديوان الشرقي ص ١٧١

(١١) يلاحظ نص الخطاب في جريدة العراق العدد ١١٢/١/١٢ ات ١ سنة ١٩٢٠

وثورة ومتى هدأت واستكانت الى الهدوء والسكينة فقد غلبت على أمرها •• وقد
 تخلف عن ركب الثورة جماعة استفادوا فبعضهم فاز بمنصب وآخر فاز بمغرم
 ولكن كل هذه المغانم كانت بنظر الوطنيين مغانم محسوبة على سمعة الشخص •
 وقد رأى ابو المحاسن الخيانة التي كانت فائدة لبعض هؤلاء ففازوا بالتقرب من
 المستعمر وتركوا اخوانهم في المحن والآلام فليسمعهم بقوله :

من رجال نقضوا ميثاقهم وجزوا بالسوء فعل الحسن
 اظهروا ما اضمروا من حقدهم وبدت بغضاًؤهم بالالسن
 ويوجز رأيه بالنتيجة التي آلت اليها الثورة بقوله :

ثورة أصبح من آثارها حظوة الخائن والمفتن
 معشر في نعم قد أصبحوا من مساعي معشر في محن (١٢)

وقد امتاز محمد صالح بحرالعلوم - برأي طريف في شعره فهو لم يقل
 ان القبائل قد قامت بالثورة ولم يقل ان الشعب العراقي قد ثار بل يتطرق الى
 القادة والزعماء انما خص الفلاحين وحدهم فهم الذين ضحوا بانفسهم واموالهم
 وبذلوا الغالي والرخيص ولكن لم يغنموا من وراء ذلك شيئاً وقد اتفق مع
 ابو المحاسن في ان نتائج الثورة ذهبت لغير القائمين بالثورة فقال بحرالعلوم :

قف بالريثة وانشد الفلاحا هل نال من ماضي الجهود فلاحا؟
 أدمت نواظره النواذب واصطلت احشاؤه تتلأب الاتراحا
 قد كبته يد الصروف واطلقت لذوى المطامع في البلاد سراحا
 يتعمون بكده ووجوههم لولا عنايته لزال وراحا (١٣)

ويتطرق في قصيدة اخرى الى حالة العراق العامة وعما أصابه من تأخر
 وانحطاط •• ودعا الجموع الى الثورة وبغير الثورة لن يزول الانتداب الذي
 ينفذ سياسته الخائنون فقال :

(١٢) الادب العصري ج ٢ ص ١٣٧

(١٣) العواطف ٨٩

(١٤) العواطف ٩٩

سياسة شرعها الانتداب فقام في تنفيذها الخائنون^(١٤)

وبحر العلوم من المؤمنين ايماناً عميقاً بالثورة والاملين في ثورة اخرى
تصلح امور العراق العامة وتجمع جشع الادياء الذين يعشون بمقدرات الشعب
فقال :

ولم تزل أسيفنا باقية يقطر منها من نجيع الدماء
تريد منا وثبة ثانية تقمع فيها جشع الادياء^(١٥)

وقد كان خيرى الهنداوى من اولئك المؤمنين بضرورة مواصلة الثورة لان
الثورة لم تحصل على اهدافها وانما بدأ الصراع بين الشعب وبين المستعمر القوي
الذى لا يحترم الا القوي الثائر فعلى الشعب المصابرة والثورة والكفاح والنضال
حتى يستكمل سيادته وحرية لان الحياة الحرة لا تكون الا للمناضلين فقال :

لا يستحق العيش قوم لا يريدون الجلا
فصناعة الموت الزؤام صناعة تمحو الفساد
وسوى الاسنة والمواضي البيض لا تشفى الفؤاد
اولى الانام بحرمة في الرأي أكثرهم جلا^(١٦)
وأخصهم بتجيلة من كان أكثرهم جهاد

وقد كان الشعراء يعدون اذهان الناس الى ثورة اخرى كي يحرروا
أنفسهم من الاستعمار فبالرغم من مرور مدة طويلة على الثورة فقد بقي
العراقيون يرسفون تحت اقدام الاستعمار تارة باسم الانتداب وطورا باسم
الوصاية او الحماية لذلك لم يبق المستعمر امام الشعب غير الثورة لاجراجه من
أرضه فان ما أسماه بالحقوق أو محاولة تخدير الشعب بأسماء مختلفة من
الحكومات ما كانت تخفى عليهم فقال الجواهري :

ان كان طال هذا الامد فبعد ذا اليوم غد
ما أن ان تجلوا القذى منها العيون الرمى

(١٥) العواطف ص ١٠٠

(١٦) ديوان الهنداوى .

اسيافكم مرهضة وعزمكم متقد
هبتوا كفتكم عبرة اخبار من قد رقدوا
هبوا فعن عرينه كيف ينال الاسد

ويامل ثورة عربية لا يخمد اوراها حتى تحقق اهدافها فقال :

وثورة بل جمرة ليعرب لا تخمد
اجبها آباؤهم والحر لا يستعبد^(١٧)

وان كان الشعب فقيرا لا يملك القوى التي تدود عنه ولا الجيوش التي
تناهض الخصم العنيد وتقاتل جنوده المدربة خير تدريب وبأسلحته الحديثة فقد
كان للشعب قلوب تنبض بالايمان ونفوس لا تقدر عليها الجيوش الجرارة ولا
الاسلحة الحديثة •

كلمة اخيرة عن الثورة

وقف المؤرخون من الثورة موقفين متغايرين فقد رأها بعضهم مخيبة للآمال التي تاروا من اجلها^(١٨) ورأها آخرون ناجحة ادت رسالتها بانشاء حكومة وطنية ذات سيادة وانها انقذت العراق من أن يكون تابعا مستعمرا للهند .

وقد احتار المؤرخون مرة اخرى في النتائج التي وصلت اليها الثورة وفي الاسباب التي أدت الى فشلها . ولعل سبب هذه الحيرة وهذا الموقف هو حكمهم الذي جاء معتمدا على الظواهر العامة والنتائج الآنية التي احاطت بالثورة . وفاتهم الاحاطة التامة بامور العراق الاجتماعية والاقتصادية ، واثرها في النتائج السياسية واطر العوامل النفسية في اتجاهات كل ثورة .

فعزى فشل الثورة الى قوة الجيش المحتل وسيطرته التامة ، وضعف القوات العسكرية الثائرة وقلة عتادها وعدتها دون ذكر للعوامل النفسية العميقة الاثر ، فعندما احتل الانكليز العراق لم يكن العراق بلدا بدائيا ليست له مثله وتقاليدته التي تربط المجتمع بالفرد انما العراق بلد شعت منه الحضارة والمدنية وتركت آثارها واضحة في نفسية الفرد وشخصيته وتفكيره وتركت حدودا غير بارزة او واضحة المعالم فيه ، لان الطبيعة العربية البدوية كانت تمد العراق دائما بآثارها ومثلها . ويمكننا لسهولة البحث ان نصنف هذا المجتمع الى فئات :

- ١ - الفئة الاولى وتضم رجال الدين وشيوخ العشائر وبعض ابناء الاسر القديمة وبعض كبار الموظفين من العراقيين
- ٢ - والفئة الثانية وتضم المتعلمين واكثرهم من الموظفين والضباط

(١٨) الحقائق الناصعة الصفحات ٥٠٣ و ٥١٥ و ٤٧٣

٣ - الفلاحون وصغار الموظفين وسكان المدن بصورة عامة من غير الفئتين المذكورتين .

وكانت الفئة الاولى والثانية لها مكانتها الدينية والزمنية ، وسطوتهما ، فشيوخ العشائر متضامنون مع عشائريهم وتثور معهم العشائر وكثيرا ماتصفح الدولة عنهم لعدم قدرتها وسيطرتها . ورجال الدين مرهوبو الجانب للمكانة العلمية والدينية . وقد كانت الفئة الثانية قد أمنت العوز والفاقة بحكم الرواتب والوظائف . وقد كان الدين الاسلامي ومثل المجتمع العامة محترمة لايجرؤ فرد على الخروج عليها . ثم فتح الانكليز العراق فأضطربت هذه المثل وتدخل المجتمع ، فأضطربت الحياة العامة ، فقد دخل الانكليز العراق بالقوة وكانوا يفرضون الاحتلال العسكري بقوة السلاح والارهاب ولم يتسامحوا مع احد مهما كبرت منزلته ان يقف في وجههم وان يحد من سلطانهم وسطوتهم . . . سواء كان هذا الفرد شيخ عشيرة او رجل دين او ابن اسرة عريقة . . . بل السلطة كانت تمنع باذلال الذين حاربوها . . . ولم يكن الشيوخ ينسون هدر كرامتهم التي تعتبر جزءا من كرامة العشيرة تصونها العشيرة وتذود عنها . . . فلم تكن مشيخة رئيس القبيلة اقطاعية بحتة وشيخ القبيلة يجب ان يكون من ابنائها ومن خيرة الابناء^(١٩) وقد رأى رجال الدين ما حاق بالبلد وقد استعمروه الاجنبي البعيد عن الشعب في الدين واللغة ولايبت له بصلة قريبة او بعيدة فهاهم الامر . وقد فقد الموظفون العون الاقتصادي والمكانة التي كانوا يرفلون بها . . . ولكنهم صبروا وصابروا بعد ان بذل المحتل وحلفاؤه الوعود الخلافة في سبيل تحرير هذا الوطن . . . غير ان الامور لم تسو على الوضع الذي كان يأمله الوطنيون فكانت الثورة . . . فاندفع ابناء الشعب لتأييدها متأثرين اما بالفتاوى الدينية او بمناصرة شيخ القبيلة او مدفوعين بالخطب والقصائد ولكن سرعان ما ذهب الحماس . . .

(١٩) تطور الامر بعد ذلك لدى بعض رؤساء القبائل وتنافسوا في حيازة اكبر رقعة من الارض . . . وقد اراد بعضهم ان يجعل له حقا في الدستور . . . راجع مذكرات المجلس التأسيسي ص ٨٩٩-٩٠٨ والقوى المؤثرة في الدساتير - للدكتور طلعة الشيباني ص ٢٠ بغداد ١٩٥٤

وقد كان العامل الاقتصادي فعلا ، فالعراق كان يمر بازمة اقتصادية فقد تعطلت الصناعة والتجارة والزراعة ، مذ جند العثمانيون القادرين على حمل السلاح ما بين عشرين سنة حتى الاربعين فأفقرت القرى والمدن من الرجال^(٢٠) وقبلت البديل النقدي الذي دفع الناس للاقتراض بفائدة بلغت ٦٠٪ ثم صدرت العملة الورقية التي زادت التدهور سوءا .

وكان احتلال الانكليز سببا لانشغال الشعب بالامور السياسية عن التجارة والزراعة^(٢١) ولما عاد الضباط والموظفون من سوريا والحجاز وجدوا انفسهم بلا عون مالي يساعدهم فقد شغل الهنود والانكليز من الوظائف أحسنها واكثرها^(٢٢) فاتفقت مصالحهم مع مصالح الشعب وكونوا فئة ضد المحتل لاستعادة الضمان الاقتصادي وما تأخروا في مساندة الثورة . وبعودة العون المادي بعثرت بعض القوى وكان سببا في فشل الثورة انتبه اليه احد المشتركين في الثورة فقال (ولو ان جميع الساسة والمعينين بالقضايا العامة عندنا ارتفعوا قليلا عما هم عليه من انكباب على زخرف الحياة ومتاعها وخففوا قليلا من اغراضهم عن الالاحاح في المطالبة بحقوق البلاد لما رأينا الحالة السيئة التي تنحط الان ولاستطاعوا تكملة رسالة الثورة^(٢٣) وتجلى هذا الخصام في سبيل المصالح بين الاحزاب بينما كانت الثورة مستعرة الاتون . . وافقد الخصام توحيد القيادة بين الضباط ورؤوساء

(٢٠) كثر عدد الهاربين من الخدمة حتى اصدر انور باشا امرا باعدام نصف الهاربين المقبوض عليهم وارسل النصف الآخر الى ساحة القتال .

(٢١) تاريخ مقدرات العراق السياسية لامين العمري ج ١ ص ١٤١ بغداد سنة ١٩٢٥ .

(٢٢) Bell, G. Review of The Civil Adminstration of Mesopotamia (London 1920) P. 122.

(٢٣) الوقائع الحقيقية ص ٢٢٨

القبائل^(٢٤) حتى بين شيوخ العشائر أنفسهم في الجبهات المتعددة (فأهل المشخاب كانوا لا يعلمون أي شيء عن ثورة تلعفر وهكذا بالنسبة للمحمودية وقبائل زوبع^(٢٥) وكانت بعثرة القوى - رغم وجود الاخلاص العميق - عاملا في فشل الثورة ..

وقد كان العامل النفسي مؤثرا في الثورة .. فالعراقي عاطفي سريع التهيج يتدفع وراء عواطفه تؤثر فيه الكلمة الطيبة والمثيرة فيندفع معها وهو فردي يحب ان يسود ولا يقر بحكم فرد .. ولست من علماء النفس لاحلل هذا وانما اسرد ما اعرفه بتجاربي المحدودة .. ومن عرف هذه النفسية يمكنه ان يستلغها خير استقلال .. وقد قامت الثورة على عامل الحماس الذي اندفع بالفتاوى والخطب والشعر ولكن هذا الحماس لم يدم اذ لم تكن جذوره عميقة ، ولما استقر بعد ذلك واصل الشعب الكفاح في سبيل حريته واستقلاله .

انا من المؤمنين بان الثورة كانت ثورة في سبيل الحرية والاستقلال وبسطت فيها رأيي فان لم اوفق فقد فاتتني امور عسى يسجلها الباحثون خاصة والعراق لايزال بكرا يجب ان يدرس اجتماعيا لتطوير مجتمعه وتقدمه ..

ان فشل الثورة كان سببا في خلاف دب بين العراقيين^(٢٦) فمنهم من بقى يتفاخر بها وهم من ذوي الايمان العميق ومنهم من نسيها وما حفل بها . والاختلاف في المثل العليا موجود في جميع المجتمعات ويبرز واضحا في فشل اية ثورة والانتصار عليها ، والويل للمغلوب من الغالب .. وتعدد الآراء

(٢٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٥ ويراجع بشأن معالجة مشكلة (الافندية) الذين كانوا ضباطا وموظفين في الدولة العثمانية وسخطوا - كتاب هيلدن الصفحات ٢٤ و ٢٥ و ٢٦

(٢٥) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨

(٢٦) لاحظ حديث شعلان ابو الجون على سبيل المثال ص ٤١ في محاضرات عن العراق .

في امر يعكس لك جوانب المجتمع نفسه فقد بدا التناقض واضحا وطمسى على
الاسلوب والمعنى وغطى على اللفظ والكلمة .. لان الشعر عامة كان خطبا جزلا
لالهاف نيران الثورة فبذل الشاعر كل قدرته في هذا النظم العجлан ليهز المشاعر
ويثير الخواطر ضد المحتل الذي هيمن على مقدرات الوطن ويذكر الناس بالذل
والهوان^(٢٧) .. وبالرغم من ان كثرة شعر الثورة ذهب واندر لكن رائجته
الذكية العطرة تدفعنا دائما نحو حرب المستعمر والثورة بوجه الظلم والظفيسان

(٢٧) ذكر ذلك الدكتور البصير في مقدمة ديوانه البركان الذي طبع اثناء طبعي
لهذا الكتاب .

عرش العراق

- ٥ -

كان من نتائج الثورة التعجيل بالتفكير في انشاء دولة وطنية واستبعاد جعل العراق مستعمرا تابعا للهند . وبذلك اثبت الشعب بانه قادر على فرض رغبته . على الانكليز رغم ما لديهم من عدة وعدد . . فالحسائر التي مني بها الاستعمار كان صداها يتردد في مجلس العموم البريطاني فثار على الحكومة ، ورددت ثورته الصحف وثار جدل عنيف حول موقف الانكليز في العراق حتى طالب بعض ساستهم الانسحاب من العراق كله ، وطالب بعضهم بالاحتفاظ بالبصرة ، اقتصادا في الارواح والنفقات . . وقد اضطر لويد جورج للتصريح في المجلس ان العراقيين يجب ان يحكموا انفسهم ويشكلوا حكومة عربية ، تقدم لها بريطانيا المساعدة في ادارة البلاد وحفظ الامن في ربوعها . وبذلك يرضي العراقيين ، ويرضي المجلس ويقتصد في النفقات ، ثم يرضي فريقا من الانكليز الذين يرون من مصلحة بريطانيا تحقيق بعض وعودها للعرب . وكانت اولى هذه الخطوات ارسال برقية تتضمن الدعوة الى انشاء دولة اوكل امر تنفيذها الى السر برسي كوكس ، وطلب اليه انشاء وزارة موقته برياسة رئيس عربي وانتخاب مجلس يمثل السكان وقد شكلت الحكومة الموقته برياسة السيد عبدالرحمن الكيلاني فواجه العراق مشكلة لم يعهدها من قبل في حياته السياسية ، فالوزارة عراقية المظهر ولكن مع كل وزير مستشار فكان الحكم مزدوجا شاذا ، فبالرغم من ان كوكس هو الذي اختار اعضاء الوزارة وانه هو الرئيس الاعلى فقد وضع معهم المستشارين لادارة دفة الحكم وقد كانت الوزارة ممثلة تمثيلا طائفا عشائريا ليسكن الاضطراب الذي

عم البلاد ويهدأ من حدة الثورة المشتعلة^(١)

وبينما كان العراقيون والانكليز يستعرضون اسماء من يولونه السلطة في العراق حدثت معركة ميسلون وسقطت المملكة العربية في الشام فكان اخراج فيصل سببا في ترجيحه على سواء وأيد هذا الترشيح مؤتمر القاهرة برئاسة ونستن جرجل^(٢) وبدأت الحكومة المؤقتة والانكليز في اعداد الجو لمرشح العرش فوصل الى بغداد في حزيران ١٩٢١^(٣) ورشحه المندوب السامي البريطاني في بلاغ اصدره وشرح فيه السياسة البريطانية في العراق ولم ينس البلاغ ان يقول ان العراق غير مستعد لحكم جمهوري لانه متأخر^(٤) فما كان من مجلس الوزراء الا الطاعة والمناذاة به ملكا واشترط ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون^(٥).

توج فيصل وكانت النفوس قلقة من وجود جيش الاحتلال ، وافكار الشعب مضطربة حيرى ، بعد ان فشلت الثورة ، فظن بالعهد سيكون جديدا وسيتمتع العراق بالاستقلال الكامل . وخيبة الامل التي سيطرت على النفوس وآثار المرارة

(١) العراق الحديث ص ٤٥ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٥٣ ويلاحظ كتاب آيرلند

Iraq, A Study In Politilcal Development P. P. 70, 17, 200,221.

(٢) العراق الحديث ص ٤٤-٤٦ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٦١ Foster, H., The Making of Modern Iraq P. P. 94,227 (London 1936).

(٣) ظهرت فكرة الجمهورية ولكن الانكليز قتلوها . راجع حياة الشرق تأليف لطفي جمعة ص ٢٨٢ ومجلة الغري ١٨ و١٩/٧/١٩٤٦ والادب العصري ج ١ ص ١٧٠ وفي غمرة النضال . الصفحات ٩٦-١٤٣ و٢٦٣ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ج ١ ص ٢٠٦ وايام فلبى في العراق الصفحات ٣٨ و٣٩ و٤٥

(٤) يراجع منشور مجلس الوزراء في مجلة الفلاح العدد ٢٦ و٢٧ اغسطس ١٩٢١

الظاهرة في حاضرتهم المبرير من معاملة سيئة الى هدم للقرى وتشتريد ابنائها وجمع الاسلحة والغرامات الباهضة وابعاد الزعماء وسجنهم^(٥) خيل لهم انهم سيجدون في قدومه سببا للتعبير لطول فترة اليأس والقنوط التي رانت على النفوس فهي اشبه بالعريق الذي يتشبث باعواد القش ولذلك نجد بعضهم استرسل في احلامه وكأنه عاش في امانها فترة من الزمن • وقد نسي هؤلاء الشعراء قوة جيش الاحتلال البريطاني ومالها من تأثير على ادارة دفة العراق حتى ان الزهاوي نظم ديوانا كاملا سماه (هتاف الاخلاص) ولكنه سماه بعد ذلك (القصائد المطرودة)^(٦)

وكان يدفع الشعراء الى النظم حب الفخر والمباهاة التي هي طبيعة الفنان الذي يريد ان يظهر فنه وينشره بين الناس فيعجب به الناس وترتفع مكانته بينهم واشباعا للمذة الابداع التي حرم منها شاعر القرن التاسع عشر ووجد ميدانا لابداء مايعانونه من وجود الاحتلال وتأخير بلادهم في مناحي حياتها السياسية والاقتصادية والعلمية^(٧)

ولعل ابرز ظاهرة هي الظاهرة العربية المسلمة واختفاء النزعة الاسلامية البحتة التي كانت تغطي شعر القرن التاسع عشر • والملاحظ ان الشعراء اسبقوا الحق الالهي للرئيس الاعلى للحاكم وانه مقدس ولا ينافس ، وان قوله هو الحق الالهي • • ولهذه النزعة جذورها في الشرق العربي فقد جاءت من اثر الحكم العثماني فأعطي هذا الحق السلطاني للحاكم الجديد • • ويجد الدارس لهذه الفترة اتكالية بعض الشعراء وخيالا واسعا في المطالبات ويفيض الشعر بنعوت وألفاظ

(٥) العراق الحديث • متى عقراوي ص ٤٣ بغداد ١٩٣٦ وكتاب هيلدن ٢٥٦
٢٣١ و ٣١٤

(٦) جريدة العراق العدد ١٦١٨ السنة السادسة

(٧) جريدة العراق ١٩٢١/٢/٣٢٩ والفلاح العدد ١٨ السنة الاولى والعدد

العاشر الصادر ١٢ تموز ١٩٢١ •

كثيرة وضخمة^(٨) . ويمكن للباحث ان يجد في شعر هذه الفترة صورة الفوضى
وعدم الاستقرار وقوة الشعب المعنوية في سبيل حقوقه .

(٨) لسان العرب العددان ١٦ و ١٧ / ١ / ١٩٢١ وجريدة العراق ٢٣٣ و ٢٣٥
١٩٢١ / ٢ والفلاح الاعداد ٧ و ١٣ و ١٨ و ٢٦ و ٢٧ السنة الاولى ١٩٢١
ولب الالباب ، محمد صالح السهروردي ص ١٤٠ ج ١ بغداد ١٩٣٣

(٩) جريدة العراق العدد ٢٣٢٥ / ٨ / ١٩٢٧ ومجلة الفلاح العدد ١٩ سنة ١٩٢١
والعدد ٢٦ و ٢٧ الصادر في اغسطس ١٩٢١ والعدد ٢٠ / ٤ / ١٩٢١

الفصل الرابع

مشكلات العراق السياسية

بين ١٩٢٠ - ١٩٣٩

- ١ - حالة العراق العامة بعد الثورة
- ٢ - اثر الانتداب البريطاني
- ٣ - الشعر والمعاهدات والساسة
- ٤ - عبدالحسن السعدون

حالة العراق العامة بعد الثورة

- ١ -

بعد أن فشلت الثورة العراقية حربيا دخل العراق دورا جديدا من حياته السياسية . فقد استأنف العراقيون النضال السياسي من جديد ولم يفت في عضدهم خسارتهم في المعارك التي شنت ضد القوات المحتلة للحصول على الاستقلال والحرية . وقد امتاز هذا الدور بأنه كان دورا سلميا اذ حاول العراقيون الحصول على الاستقلال بالمفاوضات التي كانت تدور بينهم وبين الانكليز للتخلص من عبء الاحتلال البريطاني الذي لا يتفق وامانيهم القومية اذ ارادوا الحصول على ما حصل عليه اخوانهم في سوريا والحجاز فقد شكلت دولة عربية في الحجاز واخرى في سوريا ، ولم يكن العراقيون بأقل رغبة ولا كفاءة من اخوانهم في هذين القطرين ، ثم انهم ناضلوا سوية وضحوا كما ضحى اخوانهم فلم استعمر العراق من الانكليز وحكم حكما مباشرا من قبل قواتهم العسكرية وضرب بعرض الحائط برغباتهم في حق تقرير مصيرهم ؟ كره العراقيون ان يكونوا تحت الانتداب البريطاني ، رغم الدعوة التي صاحبتهم من ان فترته ستكون مؤقتة حتى يقدر العراق على حكم نفسه بنفسه ، وليس الانتداب سوى تقديم النصيح والارشاد للعراقيين حتى يتجاوزوا هذه المرحلة . لان العراقيين لم يكونوا واثقين من هذه الاقوال والانتداب بحد ذاته معناه الاستعمار ، وعدم تحديد فترة الانتداب ونقض عهود الحلفاء ثانية اضاع ثقة العراقيين بالانكليز وكان من جرائه ان يعتمد الشعب على نفسه في المقاومة ليتحرر . ولم تجد جميع المحاولات التي بذلها السربسي كوكس في اقناع العراقيين بقبول الانتداب حتى انه قال : ان الانتداب

والاستعمار عند العراقيين على حد سواء^(١) ، لانهم قارنوا بين حكم الانسراك وحكم الانكليز . فزادت كراهيتهم للحكم البريطاني .

كان الانكليز يريدون أن يرضوا العراقيين ولكنهم لا يريدون أن يتخلوا عن العراق فحاول المندوب السامي ابدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين الطرفين ليخدر العراقيين بانشاء حكومة وطنية مؤقتة ويبدو سوء نية الانكليز ومخادعتهم للعراقيين واضحا من الخطاب الذي ألقاه المندوب البريطاني في عصبة الامم مؤكدا بأن مبادئ الانتداب ستبقى مضمونة بالرغم من وجود هذه المعاهدة^(٢) .

ولما شكل السير برسي كوكس حكومة مؤقتة عهد اليها ادارة بعض شؤون الدولة ، وقد حدد المندوب السامي صلاحيات الوزارة التي تستمد سلطاتها منه مباشرة ووضع مع كل وزير مستشارا أوجب حضوره مع الوزير في مجلس الوزراء وأوجب موافقته على القرارات حتى تنفذ كما صنع مثل ذلك في الالوية والاقضية وأبقى بعض المناطق تحت سيطرة الحاكم البريطاني مباشرة وكان القصد الاول منها تسكين الثورة واسكات المدافع^(٣) لبيسط النفوذ البريطاني بعد نهضة الاحوال العامة في العراق .

أصبحت الان وزارة في العراق وأصبح للعراقيين حكومة مؤقتة هذا هو ظاهر الحال ولكن الحقيقة غير هذا ، فان بريطانيا أرادت حل مشكلة العراق بتخدير العراقيين فعقدت بعد ذلك معاهدة بين السير برسي كوكس وبين الوزارة التي انتخبها كوكس نفسه لا تختلف في نصوصها عن صك الانتداب بشيء سوى

(١) تحرر العراق من الانتداب ص ٤-١ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب صيدا ١٩٣٥ ص ٢٠٠ والجزء الثاني ص ٥٣٥ من كتاب مس بل المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧

(٢) تحرر العراق من الانتداب ص ٥

(٣) جريدة العراق ١١٢ بشأن استقبال برسي كوكس والعدد ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، المقالات الافتتاحية للتمهيد للحكومة المؤقتة ، و١٢١ ص ٢ وافتتاحية ١٢٢ ، ١٢٣ وما بعدها بشأن لجنة الانتخابات العراقية وغير ذلك من المقالات في نفس السنة عن الوضع العام ، والعدد ١٢٥ اسماء الوزارة المؤقتة وتعتبر الجريدة خير سجل رسمي .

أن جعلت العراق حكومة مستقلة ومنتدبة في نفس الوقت لذلك لم يرض الوضع العراقيين لما تضمنته هذه المعاهدة من انتداب حقيقي واستقلال مزيف .

ومما زاد الظين بلة والالم في نفوس العراقيين تمديد أجل المعاهدة الى خمس وعشرين سنة بعد أن كانت أربع سنوات (٤) .

ان العراقيين لم يكونوا راضين على أي حال من أحوال الانتداب ، فلم تقفهم الأعباء الاستعمارية مطلقا ، يتجلى ذكاؤهم عندما بايعوا فيصلا على شرط الحصول على الاستقلال التام ، وقد كان فيصل يؤكد ذلك الشرط في جميع خطبه على الناس قبل انتخابه وبعده (٥) ، كما ان العراقيين كانوا يؤكدون على فيصل رغبتهم في الاستقلال التام في جميع ما ألقى من شعر ونثر ، ويؤيد ذلك زعماء القبائل الذين كانوا يلحون برفض الانتداب والمطالبة بالاستقلال التام (٦) ، وقد تشكلت بعض الاحزاب السياسية مثل « الحزب الوطني العراقي » و « حزب النهضة العراقية » (٧) فساعدت على بلورة الرأي العام ، وكانت تعقد بعض الاجتماعات السياسية التي توجه بها الرأي العام نحو الاستقلال وقد عقدت اجتماعا مشتركا أسفر عن ارسال احتجاج الى الملك فيصل ثم السير في مظاهرة سلمية تعبر عن سخطهم على الانتداب والمناداة بسقوطه وسقوط انكلترا (٨)

(٤) يراجع مشكلة الموصل للتفصيل .

(٥) فيصل بن الحسين في خطبه واقواله ، أصدرته مديرية الدعاية سنة ١٩٤٥

يلاحظ ص ٢٣٢ وما بعدها من الخطاب .

(٦) جريدة المفيد العدد ١١٤ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٨ وما بعدها ج٢

(٧) يراجع بشأن تأسيس الاحزاب « ذكرى فيصل » تأليف محمد عبدالحسين - بغداد سنة ١٩٣٣ ص ٤٥

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩ وما بعدها ج٢

ولكن محاولات الوطنيين باءت بالفشل^(٩) لكنها نجحت في عرقلة المعاهدة ووضع شرطين مهمين : الاول - الدخول مباشرة في مفاوضات تضمن اعادة النظر في المعاهدة لضمان المطالب الوطنية ، والثاني : صيانة حقوق العراق في ولاية الموصل اذا فشلت بريطانيا في الحاق الموصل بالعراق فتعتبر المعاهدة ملغاة^(١٠) . لم تكن المعاهدة لتختلف عن صك الانتداب بشيء فللمادة الرابعة حتمت على ملك العراق ان يستشير المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وان يستشير استشارة تامة في كل ما يؤدي الى سياسة مالية .

وقد حاول الوطنيون عرقلة تصديق المعاهدة بوسائل متنوعة منها مقاطعة الانتخابات ، وطالبوا بسحب المستشارين الانكليز من الالوية لان وجودهم يعرقل سير الانتخابات ويمنع الموظفين العرب من العمل بحرية تامة وطالبوا باعادة المنفيين خارج العراق ، فأثر ذلك في سير الانتخابات وعطله فاتخذت الحكومة طريق الشدة ونفت جماعة الى خارج العراق^(١١) فسارت الانتخابات حتى نهايتها . ثم جرت حفلة افتتاح المجلس التأسيسي في ٢٧/آذار/١٩٢٤ ، ولما عرضت المعاهدة على بساط البحث قوبلت بمعارضة شديدة فاستعمل الملك فيصل نفوذه الشخصي واقام المآذب في البلاط لكي يقنع النواب بالتصديق وذكرهم بما حدث له في سوريا ثم اخرجهم قائلا لا تتركوا فيصلا معلقا بين الارض والسماء ومع ذلك كله فلم يوافق المجلس على التصديق حتى هدد المندوب السامي

(٩) حاول الوطنيون عرقلة الانتخابات وطالبوا بسحب المستشارين من الالوية لانهم يتدخلون لصالح بريطانيا ، فما كان من الحكومة الا استعمال الشدة فنفت الشيخ الخالصي ولديه وغيرهم الى ايران وطلب فيصل من عبدالمحسن ابو طبيخ مغادرة العراق فسافر الى سوريا . مقدمة في دراسة العراق المعاصر ص ٧٢

(١٠) مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ص ٤٤٠ - ٤٤١ بغداد سنة ١٩٢٤ .

(١١) على اثر نفي الخالصي وخروج ابي طبيخ ، خرج بعض العلماء من العراق احتجاجا على فعل الحكومة كالسيد ابي الحسن ومحمد حسين النابيني . زكي صالح ٧٠ ، والحسيني ٣٠ ، ٣١ ج ٢ .

بأعلان الحكم المباشر على العراق اذا لم تصدق المعاهدة^(١٢) ولما انعقدت الجلسة الاخيرة تخلف النواب عن الحضور ولم يحضر من المئة سوى تسعة وستين نائباً وصادق عليها سبعة وثلاثون نائباً وبذلك ابرمت المعاهدة تحت الارهاب^(١٣) ولكن المجلس التأسيسي سجل على نفسه ثقل وطأة المعاهدة على الشعب^(١٤).

وبعد تصديق المعاهدة أصبح للعراق وجهان مختلفان فهو لا يزال دولة متدبة بنظر عصبة الامم ولكنها مع بريطانيا دولة حليفة مستقلة محدودة صلاتها بانكلترا بمعاهدة تحالف^(١٥) وبعد المعاهدة العراقية - الانكليزية برزت مشكلة الحدود بين العراق وتركيا اقترح لاجلها ان يمدد أجل الانتداب الى خمس وعشرين سنة بناء على اقتراح لجنة الحدود^(١٦) فحفر ذلك العراقيين الى انهاء أجل الانتداب فوضعت مادة جديدة لم يوافق عليها العراقيون سميت معاهدة ١٩٢٧^(١٧) ولكن هذا الرفض لم يقطع الصلة بين العراقيين والانكليز وانما أظهر للانكليز صعوبة السير في مثل هذه العلاقات ، فرفعت تقريراً الى عصبة الامم تشرح هذه المشكلة بكل جلاء وصراحة ، فقد جاء في التقرير « للعراق سياسة وطنية ومع هذا فهو تحت الانتداب .. وان الوزراء مسئولون امام البرلمان وفي عين الوقت تحت سيطرة المستشارين الانكليز^(١٨) .. » ولم يكن امام الطرفين المتنازعين غير أمر واحد هو ادخال العراق في عصبة الامم لحسم النزاع اذ ان دخول العراق عصبة الامم سوف يجعله دولة مستقلة وبذلك سينتهي

(١٢) الحسيني ٨١ ج ١ . (١٣) الحسيني ٨٣ وزكي صالح ٧٢

(١٤) الحسيني ١٣٨ ومذكرات المجلس التأسيسي .

(١٥) خدوري ص ٦

League of Nations, Question of Frontier Between

Turkey & Iraq, C. 400. M. 147, 1925, PP. 88 - 89 (١٦)

وخدوري الصفحة ٦ .

(١٧) الحسيني ١٣٧-١٤٩ وزكي صالح ٧٥ .

(١٨) زكي صالح ٧٧ وخدوري ص ٧ والتقرير البريطاني ص ٢٧ .

الانتداب الذي كره العراقيون اسمه وحاربوه ولعنوه^(١٩) ليرضوا الرأي العام ويسكتوا اصوات المعارضة المطالبة بالاستقلال^(٢٠) .

وقد تم دخول العراق الى عصبة الامم بعد عقد المعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة التي صودق عليها من قبل مجلس النواب في السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٣٠ . وبالمعاهدة الجديدة ودخول العراق عصبة الامم في الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢ ، اصبح العراق مستقلا وقادرا على ان يحكم نفسه بنفسه^(٢١)

بعد دخول العراق عصبة الامم اصبح له كيان عالمي معترف به رسميا وقد التفت العراقيون بصورة عامة يلتزمون الاصلاحات الداخلية وليس هناك حوادث لها أهمية كبرى اثرت في الشعر العراقي تأثيرا كبيرا غير الانقلابين العسكريين اللذين قام بهما الجيش العراقي فقد كان الاول في ٢٩/تشرين الاول/١٩٣٦ بقيادة بكر صدقي العسكري اذ ارغم وزارة الهاشمي على التخلي عن الحكم^(٢٢) . أما الحادث الثاني فهو انقلاب رشيد عالي الكيلاني وقد امتاز هذا الانقلاب بصفحة وطنية لانه كان ضد الانكليز فكسب عطف الوطنيين واثار في نفوسهم ما كمن من رغبة في تحقيق الاهداف الوطنية التامة واستقلال الفرصة بمناسبة الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ ولم يدم أمد هذا الانقلاب الا حوالي الشهر وعوقب القائمون به عقوبة صارمة^(٢٣) ثم لما هدأت الاحوال وعادت الامور تجري في مجاريها السابقة ، اصطلى العراق بنار الحرب العظمى الثانية .

(١٩) خدوري ص ٤ الحاشية .

(٢٠) كالجرائد والاحزاب والشعراء كما سنرى . ومن المقالات راجع لفهمي المدرس (مقالات) ج ١ بغداد ١٩٣١ في اكثر مقالاته .

(٢١) خدوري ص ٣٥

(٢٢) راجع زكي صالح ص ١٠٢ فقد جاء على ذكر مصادر مهمة في حاشية البحث

(٢٣) للتفصيل راجع زكي صالح ص ١١١ والقصة الرسمية لقيادة ايران والعراق ومذكرات تشرشل عن الحرب العامة

The Second World War Vol. III Ch XIV PP 224 - 237 (London 1950) See also "Paiforce", The Officail Story of The Persia & Iraq Command 1941 - 1946, H. M. Stationery Office.

اثر الانتداب البريطاني

- ٢ -

بعد فشل الثورة العراقية وسيطرة بريطانيا على العراق سيطرة تكاد تكون تامة . كانت اول مشكلة واجهها العراقيون هي مشكلة الحكم البريطاني من احتلال وانتداب وماسمي بالاستقلال وما جاءت فترة عقد المعاهدات المختلفة الا لتبرير وجود الاستعمار البريطاني ، وتغيير مظهره لاسترضاء الشعب ، والحقيقة ان المعاهدات كانت تحويرا لصك الانتداب بذل العراقيون جهدا كبيرا في التخلص منها ونبد النير الاجنبي . بدأت اعمالهم بالاحتجاجات السلمية وكانت تتطور احيانا الى مظاهرة يطالبون فيها الغاء الانتداب وازالة السلطة الاجنبية عن العراق واسقاط كل وزارة توقع اية معاهدة لاتمتاشي ورغبات الامة^(١)

ولم يكن الشعر متخلفا عن المشاركة في العمل الوطني فقد كانت اهازيجه من اعذب الاغاني ، وارق الاناشيد ، تدعو للاستقلال والحرية اللذين حرم العراق منهما طويلا . وكان اثرها على العراق كبيرا اذ عمه الالم وشمله جو الحزن والكآبة ، وغدت احساس الشعراء الحانا تندب ايام العراق الذهبية الوارفة الظلال ، ورأى انها لن تتحقق بغير الكفاح والنضال والثورة والعمل المتصل . واستخلاص الحق السليب من بين مخالب المستعمر . اخذ الشعراء يهيوون اذهان

(١) ارسلت برقيتان الى الملك فيصل الاول موقعتان من كثير من ابناء الشعب وابرزهم السيد علوان الياصري والسيد محسن ابو طيبخ والسيد قاطع العوادي والشيخ عبدالواحد سكر والشيخ شعلان ابو الجون (العراق في دورى الاحتلال والانتداب ص ٨ و ٩) عن جريدة المفيد

الشعب ويذكرونه بساقيه المجيد ليعيدوا له ثقته بالنفس ، ويعرفوه بمنزلته بين الامم الواعية ، ويظهروا المستعمر على حقيقته وانه لا يقل عظمة ومقدرة عن المستعمر . فهو ابن العرب الذين شادوا الامبراطورية العادلة المتسامحة ، ومن الشعراء الذين شاركوا في هذا النضال ابو المحاسن وقد كان وزيرا فلستقال بسبب المعاهدة^(٢) ومن شعره الذي يفخر فيه بالعرب قوله :

بقومي اسمو راقيا شرف العلا واسطو بهم يوم الوغى واصول
هم القوم اما عزهم فمشيد تليد واما مجدهم فاثيل

وليزيد الثقة في النفوس يعرج في القصيدة الى شمائل العرب الكريمة وسجايهم السمحاء فيقول :

شمائل كالروض الأريض تضوعت بطيب شذاه شمال وقبول
كرام يقبلون العثار وللردى بظل عواليهم ذرى ومقبل
لهم جبل راسي الجوانح راسخ وظل لمن يأوى اليه ظليل
فلا العهد منقوص ولا الوعد مخلف ولا الجار مخفور الذمام ذليل

ولرغبته في التأكيد على اعادة الثقة بالنفس فضل العرب على غيرهم من الامم وقد برر هذا التفضيل بعلمهم واحسانهم وعدلهم وحضارتهم فقال :

يا ناطقا بالضاد ما لفضيلة معنى يتم بغير حرف الضاد
أوليس عصر النور من آثارهم قبست لواضع نوره الوقاد
والعلم من ثمرات غرسهم الذي عمّ الورى بفواضل وايداد
والعدل والاحسان من حسناتهم وهي التي جلّت عن التمداد
وعلى مبادينا الحضارة اسست ايام ليست غيرهن ايادي

ولا يكتفي الشاعر بالماضى المجيد والحضارة العربية الشامخة وفضائلهم الكريمة^(٣) انما يلقي التبعة على الشعب العربي الذي يعيش ويقول صراحة ان

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ ج ٢

(٣) جريدة المفيد العدد ٢١٥ السنة الثانية ١٩٢٤

ارادة الشعب هي التي تغير فساد الاوضاع وليس هناك غير ارادته الحديدية
من مغير حينما قال :

الى العلا غير هائب	سر أيها الشعب سيرا
ونهج حقك لاحب	فسيف عزمك ماض
عزا وامنع جانب	ارادة الشعب أقوى
الا وذا الشعب غالب ^(٤)	ما غولب الشعب يوما

ولم يتخلف معروف الرصافي عن هذا المضمار فقد ألقى قصيدة في احدى
حفلات المدارس هز فيها مشاعر العراقيين وذكرهم بماضي العرب المجيد ، وما
قدموه للعالم من حضارة ، عندما كانوا متحدين اقوياء ، وطلب من ابنائهم ان
يقنفوا اثر الآباء الكرام لان الحياة الكريمة الشريفة لا ينالها غير المناضلين
المجاهدين الاباء ، اما الخاملون الذين لا يحفظون تراث الآباء ولا يسيرون في
الطريق التي ساروا فيه ، فاجدر بهم الموت والاهمال الدائم ، فقال يندب بهم لانهم
لم يحفظوا هذا التراث قائلا :

أضعنا في رعايته العهدودا	وقد عهدوا لنا بتراث ملك
وعشنا في مواطننا عبيدا ^(٥)	وعاشوا سادة في كل أرض

وشتان بين والد كان سيدا اينما حل ، وولد اضحى عبدا مستضعفا مسترقا

(٤) المفيد العدد ٤٧ السنة الاولى ١٩٢٢ وله قصيدة في العدد ٨٨ من السنة نفسها
وللشاعر مشاركة في جريدة المفيد يستفيد منها الباحث ليطالع على ادبه
ولاحظ العدد ١٧٤ من جريدة لسان العرب السنة الاولى ١٩٢٢ فقد
نشرت له قصيدة في افتتاحية الجريدة وهناك قصائد اخرى ، فله قصيدة
في العدد ٤٢ من السنة الاولى من جريدة المفيد يتحدث فيها عن الشعب
وعن الوحدة العربية وحوادث سوريا والعدد ٨٨ ولعبد الرحمن البناء
قصيدة في العدد ٩٠ من الجريدة نفسها وله قصيدة اخرى في العدد
٩٢٤/٢/٢٥٣ وقصيدة لمهدي صالح العدد ١٦٥/١/١٩٢٨ ولاحمد حقي
الحلي قصيدتان في جريدة النهضة العراقية .

(٥) جريدة العراق ٩٢١/١/٣١٢ ونشرت في الديوان ص ٣٤ ولاحظ ص ٦٣
من الديوان

في عقر داره ، يحكمه المستعمر ويذله ، فما سبب استرقاق العرب في اوطانهم ؟
يشرح الشعراء هذه الفكرة ويعزي ضعف العراقي الى تخاذله ، وإلى قوة
المستعمر . وقد سرت هذه الفكرة بين الادباء والصحافيين فهذه جريدة الزمان
تكتب في مقال افتتاحي لها تحت عنوان (استضعفونا فاهرقوا دماءنا - بريطانيا
مسؤولة عن هذا الضعف) ثم شرحت في المقال ما اصاب العراق من تأخر تحت
نير الاستعمار البريطاني وقالت انها السبب الاول في هذا التأخر فلم تصنع شيئا
في سبيل تقدمه ورقه^(٦) واخذت الجرائد عامة تندد بالانتداب الذي وقف حائلا
دون امانتي الشعب ولن تتطهر ارض العراق الا اذا بذل ابناؤها ارواحهم رخيصة
في سبيلها وما الحياة سوى تنازع على البقاء ، فقد قال هبة الدين الشهرستاني :

ليس الحياة سوى مجال تنازع في العيش والاقوى هو المنصور^(٧)

وقد ساعد الشعر الوطني على بث روح الحماس في النفوس ودعا الى النضال
والكفاح وعدم مهادنة المحتل ومسامحته ، لان التسامح معناه الرضا بالذل الذي
حاق بالبلاد واورثها الاحزان والآلام ، ولن يدفع المستعمر عن حمى الوطن غير
لم الشمل والقوة والثبات لان ضعف الشعب اغرى المحتل وقال العبيدي مؤيدا
هذا الرأي :

أثرى يبلغ المرام ضعيف ؟ انما يبلغ القوي المراما
واتحاد القلوب افضل قوس حين ترمي ايدي الكماة السهاما

ويعجب للشعب كيف يحتمل الذل والهوان وهو المعروف بصلابته في سبيل
حقه فقال :

(٦) الزمان ٩٢٨/١/٢٧ لاحظ جريدة العاصمة العدد ١٠٨ السنة الاولى
١٩٢٣ المقال الافتتاحي (اعتماد الشعوب على نفسها) وغير ذلك من
اعدادها و (المفيد) وكثيرا من الجرائد التي كانت تصدر في هذه الفترة
(٧) جريدة العاصمة ١٩٩ في ٤ تموز ١٩٢٣ ولاحظ قصيدة حافظ جميل في
جريدة الاستقلال العدد ٩٢٣/٣/١٦١ وقصيدة حمزة قفطان في مجلة
اليقين ١٩٢٣/١/١٨ .

ما عهدنا العراق يحمل ذلا ويحايي ندلا ويحوى طفاما
ان ضعف النفوس اطمع فيه طالما الضعف اطمع الظلما
واذا لنت للثيم تولى واذا ما غمزته ما استقاما^(٨)

واذا اراد الشعب ان يتحرر فعليه ان يأخذ حريته بقوته ، لان المستعمر اذا
ما اعطاك حريتك فسوف يمن بها عليك فعلى العراقيين ان يأخذوا الحرية
اقتسارا من المستعمرين ، فقال البصير :

انا يا رفاقي لا أريد سلامتي فذكروني ان هلكت رفاقي
ان لم تعش نفسي الغريزة حرة فلاسعين بها الى الازهاق
لاجاهرن بما تجن ضمائري وليكثرن وسائل الارهاق
هب ان رحمة آسرى ستكفني أولست احمّل منّة الاطلاق
فاشق من اسري عليّ بان ارى يد آسري يوما تحل وثاقي^(٩)

والى جانب الدعوة الى محاربة المستعمر ، كانت دعوات الى المهادنة والى
التسامح مع المحتل ، فوقف محمد باقر الحلبي يرد على هؤلاء المهادنين ويسخر
منهم في حفلة عودة بعض المنفيين السياسيين فقال :

قالوا لنا اعتدلوا في نهجكم افلا قالوا انصفوا وحقوق الشعب تغصب
ما الاعتدال تجاه الاعتداء سوى جن ، يحسنه للقائل الرهب^(١٠)

وبعد ان صادقت الحكومة على المعاهدة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ •
تركت أمر ابرامها للمجلس التأسيسي فقد كانت تشعر بعظم المسؤولية ووطأة
هذه المعاهدة على الشعب وقد أيد هذه الرغبة المعتمد السامي البريطاني فقد اراد

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩

(٩) جريدة شط العرب ١٤/١/١٩٢٤ وقد ورد البيت الاخير في (حقيقة

الزهاوى) بغداد ١٩٤٧ ص ١٠٩

فاشق من ويلات اسرى ان ارى يد آسري يوما تفك وثاقي

ولاحظ قصيدة عبدالقادر الزهاوي في جريدة الامل العدد ٢١/١/١٩٢٣

وقصيدة الجواهري في الفلاح العدد ٢٣/٨/ ايلول ١٩٢١

(١٠) الفلاح العدد الاول ٧/٥ تموز ١٩٢١ بمناسبة عودة السيد نورالسيد علوان

اضفاء صبغة شرعية على المعاهدة وقد نصَّ في المعاهدة على وجوب مصادقة المجلس التأسيسي عليها .

بدأت الجهود تبذل لتحول دون تصديق هذه المعاهدة واول عمل قام به الوطنيون ، هو مقاطعة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، ولكن الحكومة حاربت الذين سعوا في مقاطعة الانتخابات لتقضي على حركة المقاومة ، لكنها لم تفلح، فقد انضم رجال الدين الى المقاطعة وافتوا بتحريم الانتخابات^(١١) حتى يحولوا دون انتخاب مجلس يلزمهم بمعاهدة حورت عن صك الانتداب ، ثم ان السلطات الاستعمارية لم تكن واضحة المقاصد ازاء العراق، ففي الوقت الذي تنادي فيه بالحرية والاستقلال ، والدعوة لتكوين حكومة وطنية دستورية ، تغلق الاحزاب وتعطل الصحف ، وتنفى ابناء الوطن لانهم يشتغلون من اجل حريتهم واستقلالهم^(١٢) تفعل كل ذلك دون اي ضمان او حتى ايضاح لاعمالها ، ولو ارادت ان تعطي الضمانات والوعود ، ففي تجارب العراقيين مايمنعهم من تصديق هذه الوعود والضمانات ، لذلك تعرقلت الانتخابات وتعثرت طويلا ، وقد شعر نفر من ابناء البلاد بان الانتخابات سوف تتم ، والانتخابات فرصة لادخال بعض العناصر المناوئة للاستعمار ، ووجودهم داخل المجلس التأسيسي يؤثر اكثر من وجودهم خارج المجلس لصفتهم الشرعية ، وتأثيرهم المباشر على المعاهدة لتعديل بنودها لصالح العراق ، الذي قد يضمن استقلال العراق ويؤدي الى تفاهم مع بريطانيا ، ويضمن مصالحها في الشرق الادنى ، وقد اطمع دخول بريطانيا مع العراق في معاهدة بعض الوطنيين فظنوه اصبح ندا لها ، فخذعت بريطانيا جماعة من الوطنيين الذين

(١١) اصدر رجال الدين فتوى بتحريم الانتخابات قالوا فيها (قد حكمنا بحرمة الانتخابات وان الداخل فيها محارب لله ورسوله وللائمة الطاهرين-ص-٢٠٠) وقد زاد عليها الشيخ مهدي الخالصي (وان لايدفن في مقابر المسلمين٢٠٠) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص٢٨ ج٢

(١٢) جريدة العاصمة مقال بتوقيع (ع . صميم) العدد ١٦٨ صدر في ٢٣ من ايار ١٩٢٣ ولاحظ اعمال المندوب السامي في (ذكرى فيصل الاول) لمحمد عبدالحسين ص ٥٤ (بغداد ١٩٣٣) والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٤ ج٢

اعتبروا المعاهدة تقدماً محسوساً في العلاقات البريطانية^(١٣) وفاتهم ان العراق لا يزال مستعمراً وتعتبره عصبة الأمم تحت الانتداب البريطاني كما ظن بعض المتفائلين بالانتخابات ان رفض المعاهدة من مجلس عراقي بصورة رسمية سيزيد من القوى المعنوية للشعب داخل العراق وخارج العراق فيجب ان تدخل عناصر وطنية مهمة في المجلس التأسيسي لتقف في وجه المعاهدة لتحقيق بعض مصالح البلاد . فكان انقساماً في الرأي اعطى القوة للمستعمر ف ضرب المعارضين وقاومهم بعنف ، واجرى الانتخابات تحت سيطرته وارادته .. لكن الحكومة فقدت ثقة الشعب منذ اول يوم من ايام الانتخابات ..

ولم تعد له هذه الثقة بأي انتخابات جرت بعد ذلك . فشلت الخطوة الاولى من مقاطعة الانتخابات غير ان الوطنيين لم يفشلوا من محاولة اخرى هي الوقوف امام المعاهدة حتى يتم تصديقها من قبل المجلس التأسيسي لاستبدال صك الانتداب بمعاهدة جرت البلاد الى الولايات والمصائب . قالت جريدة الاستقلال في مقال افتتاحي لها (اننا نريد ان يكون الميدان الذي ستدخلنا اياه المعاهدة ميدان سلم دائم . لاساحة عراك تعكر ود الدولتين المتعاهدين ، ميدان استقلال تام لاثوبه شائبة الوصاية . وصرح حرية مطلقة لا يقيد بها غل الانتداب . وبكلمة واحدة اننا نريد ان يكون ذلك الميدان ميدان استقلال ناجز لاسوق نخاسين ، سوق تمضي فيه امة باسرها صك رقها وعبوديتها ..)^(١٤)

وكانت الجريدة واضحة كل الوضوح فقد عبرت عن اهداف الوطنيين ووضعت الخطوط العريضة لاهدافهم فقالت : هذا هو الميدان الذي نريد ان تدخلنا اياه المعاهدة وذلك ما تريده الامة باجمعها واننا نرجو ان يضعه المتعاقدون نصب اعينهم وان يتذكروا عند بحثهم في كل مادة من مواد المعاهدة ..)

(١٣) لاحظ جريدة العاصمة مقالين الافتتاحيين ١٦٨ و ١٦٩ السنة الاولى ١٩٢٣
(١٤) جريدة الاستقلال العدد ٥٣ السنة ١٩٢٢ والعدد ٤٠٦ السنة الرابعة
لاحظ مقالين لياسين الهاشمي وامين الزهاوي وقد كان سلمان الشيخ داود من المؤيدين للمعاهدة لاحظ مقاله المنشور في جريدة العراق في الخامس في نيسان ١٩٢٤

كان المستعمر يبذل جهدا كبيرا في امرار المعاهدة وقد شن حملة لتأييد هذا التصديق بيد ان الشعب كان يقظا ، فان رجال الفكر كانوا للمستعمر بالمرصاد . فكانوا يعقدون الاجتماعات لبحث نصوص المعاهدة ، وايضاح الاضرار التي تعود على البلاد من جرائها ، وكان المجلس التأسيسي يتأثر بالرأي العام الخارجي الطامح بالحريّة والاستقلال ، وبالرغم مما بذله المستعمر من جهود تارة بالقسوة وطورا باللين لم يقدر على ان يغير وجهة نظر الشعب .

وكان من جراء هذا الوعي ان تجمهر الشعب حول بناية البرلمان واغلقت الحوانيت حتى اضطرت السلطات الى اطلاق النار لفض هذه المظاهرة . . . ولئن فضت على المظاهرة وتفرق شمل الشعب فقد تركت وراءها اثرا كبيرا وفي نفوس ابناء الشعب عزيمة متوقدا . (١٥)

(١٥) يلاحظ في جريدة العراق ١٣٢٤/٤/١٩٢٤ بلاغ وزارة الداخلية وبيان رئيس المجلس التأسيسي وفي اعدادها لهذا الشهر ذكر لما حدث في العراق من جراء الانتخابات .

الشعر والمعاهدات والساسة

- ٣ -

جند الاستعمار الانكليزي كل قواه المادية والمعنوية وبذل مجهودا جبارا في سبيل تصديق المعاهدة الاولى ، والمعاهدات التي تلتها ، ليوهم الرأي العام العالمي بأن المعاهدة وقعت من هيئة منتخبة لها صفتها الشرعية ، ولكن الشعب كان يقظا وكانت طلائع النهضة الفكرية متوقدة ، تنير لهم السبيل الى الحرية والاستقلال والامن والرخاء . وقد اتخذ الزعماء طرقا شتى ليحولوا دون وضع طوق المعاهدة في عنق الشعب ، وكان الشعراء أشد الناس احساسا ، واسرعهم تلبية للموجب المقدس ، فقد شعروا شعورا صادقا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، وصار هذا الواجب جزءا من حياة الشاعر وتفكيره ، فكان يحذر النواب مرة من المصير المحتم الذي سيلاقونه متى غضب الشعب عليهم وسحب ثقته ورضاه منهم ، وتارة يسخر من المعاهدة التي تعطي العراق مظاهر الاستقلال الجوفاء ، وآونة يسخر من الوزراء والحكومة التي جاءت في اثر المعاهدة . والحق ان هذه الفترة كانت من اخصب فترات الشعر السياسي ، ومن الوسائل التي التجأ اليها الشعراء تهديد نائب المجلس التأسيسي متى صادق على قيود الاستعمار بغضب الشعب وعقابه وانه لن يرحم نوابا جرّوه الى الذل والهوان ، ولن يراف ساعة الحساب بمن اذلوه ، فقال عبدالرحمن البناء :

يا ايها النائب المنسوب عن امم	القت اليه مقاليد التدابير
احذر مناقشة الشعب الحساب غدا	من دون عذر واشفاق وتوفير

يوما به الشعب يدي الغيظ من اسف
ان الصدور براكين اذا انفجرت
هناك تقرر فيه سن مأسور
في الارض تنسف فيها كل معمور^(١)

وقد كانت حملات الوطنيين متواصلة ألهمت صدر الشعب عامة ، فسرت روح الحماس الى داخل المجلس التأسيسي ، بعد ان ظن الحاكمون بأن الاكثية الساحقة من الاعضاء بجانبهم وفي جانب المعاهدة ، وفي المصادقة عليها يكسبون حقا شرعيا في البقاء على أرض العراق . واوهمهم بذلك تلك الجهود التي بذلت في التمهيد للانتخابات ودخول بعض العناصر الاقطاعية ورؤساء العشائر ، ومن الموالين لهم ، لكن الهاب الرأي العام من قبل قوى المعارضة الوطنية الثائرة فوت عليهم ما كانوا يعتقدون ، فقد اخذت ساعة التوقيع على المعاهدة تتأخر يوما بعد يوم . حتى عيل صبر المندوب السامي السهرهري دوبس ولم تجد جميع المحاولات السلمية التي بذلت من وراء الستار فتىلا . فأخذ المندوب السامي يضغط بصراحة على المسؤولين ويأمر بوجوب التصديق على المعاهدة ، وبلغت به الجرأة ان عين يوم ابرامها^(٢) والا فسيعلن الحكم المباشر في البلاد ، ولما اجل المجلس البت فيها الى يوم تال ، هاله الامر ، وذهب الى الملك فيصل وطلب دعوة المجلس ليلا ، لان التأجيل معناه رفض المعاهدة . وقد دعي المجلس ليلا فلم يحضر الاجتماع سوى ٦٨ نائبا من ١٠٠ نائب وقيل منتصف الليل تم التصديق على المعاهدة^(٣) فتحول الانتداب الى معاهدة .

وقد ظن الاستعمار بأنه سيخدع العراقيين بتحويله صك الانتداب الى معاهدة وسيرضي العراقيين بثوب الانتداب الجديد بيد ان العزية شملت حتى

(١) جريدة الاستقلال العدد ٤١٣/٤/١٩٢٤ . ولاحظ قصيدتي حمزة قفطان في العدد ٣٩٧ ومحمد خليل من العمارة في العدد ٤٠١ من السنة نفسها .

(٢) عين المندوب السامي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٤ لابرام المعاهدة

(٣) وافق ٣٧ وخالف ٢٤ وامتنع عن التصويت ٨ وكان الغائبون ٣١
- مذكرات المجلس التأسيسي ص ٤٣٩ - ٤٣٥

الملك فيصل الذي سعى سعيًا متواصلًا في عقد المعاهدة فرأى بأم عينه كيف ضاع استقلال العراق^(٤) . وناء الشعب بقيود المعاهدة وزاد الألم في النفوس ظهور مشكلة الموصل التي انتهت بضمها الى العراق على شرط تمديد أجل المعاهدة الى خمس وعشرين سنة^(٥) . وقد مددت المعاهدة فعلاً . فلم يكن امام العراقيين غير استئناف النضال الجديد^(٦) .

اعطت المعاهدة الجديدة الحكم للعراق ليؤلف حكومة وطنية لها ملك ودستور وبرلمان . . اعطته كل مظاهر الحكم الديمقراطي ولكن كانت هذه المظاهر معطلة عن العمل الفعلي لان السلطات البريطانية هي الحاكمة حسب نصوص المعاهدة الاخرى ، التي نصت على وجوب الاستشارة التامة وهذا تدخل صريح في سيادة العراق الوطنية الذي قوبل بالسخرية اللاذعة من قبل الشعراء .

كان الشعراء ينظرون الى الوضع العام العراقي والألم يهصر قلوبهم ونفوسهم فيظهر عليهم طابع الألم ظاهراً . ويبدو تارة بشكل سخرية لاذعة من الحكومة ووزرائها ونوابها ، وطورا يظهر مشوبا بالرثاء لهؤلاء الذين جعلوا من أنفسهم ممثلين على مسرح السياسة ، واصبح المستشار الانكليزي فيها المخرج والملقن ، وآونة نجد الشاعر متألماً جداً يحاول معالجة الامور برزانة وتعقل ويدفع الشعب الى نبذ هذه المظاهر البراقة الكاذبة التي تعطي الاستعمار السيطرة الفعلية وقد كان الرصافي سابقاً الى تسجيل مظاهر هذا النضال ورسم صورة خالدة للتاريخ في العراق فوقف ساخراً وقال :

(٤) تحرر العراق من الانتداب - مجيد خدوري ص ٥ بغداد ١٩٣٥
(٥) لاحظ ما قيل من الشعر في جريدة الاستقلال الاعداد ٢٥ و ٢٩١ السنة الرابعة ٥٧٦ و ٥٥٧ السنة الخامسة و ١٣١٠ السنة الثامنة . وقد كتب الدكتور فاضل حسين رسالة عن (مشكلة الموصل) طبعت في بغداد ١٩٥٥ تعتبر خير ما كتب عن المشكلة .

(٦) ماكانت بريطانيا تريد انهاء الانتداب عن العراق فكان من جراء ذلك الصدام الذي ادى الى رفض معاهدة ١٩٢٧ والتي وضعت بعد معاهدة ١٩٢٦ فانضمت بموجبها الموصل الى العراق .

لاحظ (مشكلة الموصل) الفصل السادس ١٧٦ و ٢٣٧

هذي حكومتنا وكل شموخها كذب ، وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموّه وجهها فجميع ما فيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر للاجنبي وظاهر متكشف

ويعدد هذه المظاهر الخلابه الكاذبة التي حاول الاستعمار ان يخدع بها
العراقيين فقال :

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى ألقاؤها اما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه وفقا لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلفه في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق انه لمراد غير النّاخين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلفها بقيود اهل الاستشارة ترسف^(٧)

والقصيدة من غرر الشعر السياسي واصدق مسجل للعهد الذي نظمت
فيه . ولم يكن الرصافي يرسم صوره ، وتسجيل حوادثه انما كان يخس
بالواجب الملقى على عاتقه في محاربة هذا الدخيل ، وهزّ حمية المواطنين ويصف
الواقع عاريا امام الوزراء ليعرفوا موقفهم وعملهم في هذه الدولة . فهم دمسى
يحرکها المستعمر لاية وجهة يريدھا ، ليست لهم سيطرة على وزاراتهم ، يستمدون
الصولة والسطوة كالألات الصماء . لذلك خوفهم الرصافي من الاجنبي ومن
المصير الاسود الحالک الذي ينتظرهم عندما يثور الشعب عليهم فستكون ثورته
عارمة لن تبقي للمستعمرين والمتحكمين بقية ، لان الشعب هو الحاكم الوحيد
الذي له السلطان الفعلي على نفسه . وان استكان هذا الشعب فله يوم آخر يأخذ
فيه استقلاله لانه شعب عربي شريف ابيّ لم يرض بالاستعمار والذل ولن
يرضى بالمستعمرين واذنابهم ولن يتخلف عن سوح الشرف والجهاد فقال :

(٧) ديوان الرصافي ص ٤٥٣

ان دام هذا في البلاد فانه
لا بد من يوم يطول عليكم
فهنا لكم لم يغن شيئا عنكم
واذا دعا داعي البلاد الى الوغى
أيذل قوم ناهضون وعندهم
كم من نواصٍ للعدا سنجزها
بدوامه لسيوفنا مسترعف
فيه الحساب ، كما يطول الموقف
لسن تقول ، ولا عيون تذرف
أتظن أن هناك من يتخلف
شرف يعزز جانبيه المرهف
ولحي بايدي الثائرين ستقف

وتبدو سخرية العبيدي في المتناقضات الموجودة في نظام الحكم مع
بعضها . فالبلد مستعمر سيطرت عليه الفوضى يشن تحت الاستعمار ، متأخر ،
ولكنهم يدعون بانه مستقل ذو سيادة يسوده النظام والحرية والاستقلال ، ولكن
هذا السيد الحر يقصر على عقد معاهدة لاستعباده . فقال :

نحن في معجم السياسة شعب
نحن في معجم السياسة شعب
نحن في معجم السياسة أحرار
فاذا الشعب كان غير رشيد
رب ملك وما ملكنا خطاما
ذو نظام وما رسينا نظاما
ر ، ولكنا قاصرين يتامى
كيف يدعى لعقد عهد لزاما

وتبدو ثورة العبيدي واضحة عندما يرى القيود التي كبلت شعبه وأذلته ،
فما استطاع المقاومة المسلحة ، ثم تحولت هذه الثورة الى آلام تنخر في النفوس
وظهرت شعرا يطفح بالتهكم المرير على الحليفة التي تقيد حليفتها لتستديم صداقتها
وحلفها لدولة صغيرة ولشعب متوثب يريد الانطلاق والحرية . . أهذه هي
الصداقة بين ندين متحالفين ام انها سيطرة الذئب الشرس الذي يدس السم
بالصل ؟!

خففي ايها الحليفة عنا . . .
اثقلت كاهلا وادمت قلوبا
كلما فكر العراقي فيها
طلبت عسجدا ودفت صديدا
من قيود أصبحن عارا وذاما
وأذلت من النفوس كراما
لعن الدار والحمى والمقاما
وأديفت سما وصبت مداما^(٨)

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩

اضفت المشاكل السياسية على الجو الشعبي العام جوا من الحزن واليأس
والكآبة ، وران على العراقي التشاؤم فطفح الادب بالالم والنقمة والثورة . فقد
وجد العراقيون انفسهم تحت نظام من الحكم جديد . فقد كانوا خلال فترة
الاحتلال والانتداب يحاربون الانكليز وجها لوجه ، اما اليوم فقد وجدوا الحكم
الانكليزي قد تقنع بقناع عراقي . فحال بينهم وبين العدو الاصلي .

بقي الناس في حيرة وقلق واضطراب نفسي كان من جرائه الاضطراب في
المثل وظهور طبقة النهازين الذين لايردهم رادع من وطن او خلق ، همهم
الاستفادة على حساب الشعب وحساب المستعمر وحساب اخوانهم الذين تركوا في
ساحة الشرف والنضال . ألم يكن قسم كبير من هؤلاء يناضلون مع المناضلين
ولكنهم هادنوا المستعمر راضين بالمظاهر الكاذبة والوظائف الموهومة ، وبذلك
وضعوا سلاحهم واثنوا عن الكفاح ؟ وباليتم وقفوا عند هذا الحد بل اصبحوا
شوكة في قلوب المناضلين يردونهم عن الاستقلال ويدافعونهم عن الحرية
ويضعفون مضوية الشعب . ففتوا في عضد القضية المشتركة التي مات من اجلها
الشهداء ، ونفي الاحرار وسجن الابطال وشرد من شرد وشق من شق . . ان
تغلب المصلحة الفردية على مصلحة المجموع كان خداعا وخيانة ورياء ، لم يكن
يتوقعه المخلصون . ولئن رضيت هذه القلة بالمجد الزائل والجاه الكاذب الموقت
ونسيت مصالح شعبها فان ابناء الوطن المخلصين اكثر من هؤلاء المنشقين المارقين .
فقد واصلوا الكفاح لنيل قسط من الاستقلال والحرية ، واعتبروا هؤلاء
المنشقين جزءا من المستعمرين يجب أن يحاربوا مثلهم ويصب عليهم سوط العذاب
فلئن غلبهم الانكليز على بعض اخوانهم بالقوة مرة ، وبالرشوة تارة ، وبالحيللة
طورا ، وبضمان مصالح الاقطاعيين ورؤساء العشائر ، فان حقل الوطن واسع
وميدان الجهاد حافل بالمخلصين . وكان من جراء خذل هؤلاء ازدياد الرغبة في
استخلاص حقوق الشعب من الدخيل المستعمر .

وقد تجلى ذلك واضحا في الشعر العربي ، فوصف حال الشعب وصفا
دقيقا صادقا بعيدا عن بهارج الكلام وزخرف القول وتجلت الصورة بعيدة عن

روح التعقيد اللفظي ، ومحاكاة القصائد القديمة ، اذ لم يجد الشعراء في نفوسهم مجالا حيويا يتجاوب واحاسيسهم الجديدة التي تحيط بهم وتهدهم في كرامتهم وعزتهم .. فكان الالم عميقا حارا والشعور دافقا فياضا .. بعد ان وجد الشاعر نفسه جزءا من المجموع تواجهه نفس المشاكل التي تواجه الشعب بأجمعه ، فرأى في نفسه الشعب والشعب في نفسه ، فأخذ يصرخ متحديا قوى الانتداب واذنابه من بني جلدته مطالبا بالاصلاح نائرا على تدهور الحال محتجا على ما وصلت اليه بلاده . ومتى اتفقت مصالح الشاعر مع مصالح الشعب ومتى شعر الشاعر بشعور الشعب وعكس مصالحه فقد سار في طريقه الذي يريده الشعب وفاز بالمجد والشهرة والتمجيد والخلود . لذلك لم يكن الشعراء يريدون ابراز صورة فنية من صور الاحتلال وموالاته اخوانهم للاستعمار لتعجب الناقد فسيحسن جمال الخيال فيها ، ورقة الاسلوب ، وعذوبة البيان ، ورصانة العبارة ، انما كانوا يحاولون ابراز مشكلات الوطن السياسية والاجتماعية ، بأسلوب سهل . ليرسل الشاعر اشعاعا من روحه ، وصرخة من قلبه ليوخط الشعب الذي لا يزال يعيش في الديجور . ففاضت قصائد العصر بالحماس ، واضطربت بالثورة ، تصب في قوالب رائعة ، واهم الكلمات التي ظهرت في الشعر هي : الاستشارة ، المستشار ، الانتداب ، الدخيل ، العربي ، الحرية ، الاستقلال التام ، الكفاح ، النضال ، السيادة ، الاجنبي ، كرسي الوزارة ، النواب ، المجلس وغير ذلك من الكلمات التي جاءت مع تشكيل الحكم في العراق .

وهناك ظاهرة جديدة بالتسجيل هي بروز عدد كبير من الشعراء في حقل النضال السياسي في هذه الفترة . وهذه الظاهرة تدل على رهاقة الشعور العربي في العراق واعجاب العراقيين بالشعر اكثر من اعجابهم بالنثر . وقد همدت حماس هؤلاء الشعراء لما انتهت هذه الفترة . فاذا تصفحنا جرائد هذه الفترة نراها طافحة بالشعر القومي السياسي^(٩) وان اختلف الشعراء في التعبير بالنسبة

(٩) لاحظ من جرائد هذه الفترة ومجلاتها : النجف ، المنبر العام ، العراق ، الاخلاق ، الزمان ، النهضة العراقية ، بغداد ، الحيرة ، النور ، بطائح العراق ، البلاد ، صدى الاستقلال ، الطرائف المصورة ، الجهاد ، نداء الشعب ، المستقبل ، وصدى الوطن .

لثقافة الشاعر ومدى استيعابه للتجربة الشعرية ، والظاهرة الثانية هي طغيان السياسة على كل شيء في حياة الشعب ، فقد اعطيت للحياة السياسية الاهمية الاولى فوق قضايا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية .

وظاهرة ثالثة جديرة بالتسجيل ان الحكومة الانكليزية قد منحت من الحرية ما يمكن بها للمراقين ان يعبروا عن رغباتهم تعبيرا صادقا لم نعهده وبالإسفاف الشديد في ادوار الحكومات العراقية المتتابعة بعد معاهدة ١٩٣٠ ، وقد كانت هذه الحرية في ظل الاحتلال والانتداب اوسع مجالا من الحرية في ظل الحكم الذي شارك فيه العراقيون الاجنبي الا اذا استثنيت فترات صغيرة تسلم فيها الحكم جماعة من ابناء الشعب وارادوه ان يعبر عن رغباته ، ولكن سرعان ما تكبت حرية الشعب ويساق الاحرار الى السجون باتهامات هو بريء منها . واروني شخصا كتب في جريدة عشر معشار ما كتب في فترة الاحتلال في حاكم من حكام العراق ولم يؤذ في رزقه وجسمه وابنائهم وذويه . لذلك كانت تضحيات الابداء كبيرة ، ضحوا في سعادتهم وراحتهم وارواحهم في سبيل مثلهم العليا بكل اطمئنان دون ان يمنوا على الشعب ومن هؤلاء كان شاعرنا معروف عبدالغني الرصافي الذي قال ساخرا :

تجوز سيادة الهندي فينا	وأما ابن البلاد فلا يسود
اذن فالهند أشرف من بلادي	وأشرف من بني قومي الهنود
فكم عند الحكومة من رجال	تراهم سادة وهم عبيد
كلاب للاجانب هم ولكن	على ابناء جلدتهم أسود
وليس الانكليز بمنقذيننا	وان كتبت لنا منهم عهد (١٠)

انه القول الفصل بان الاستعمار لن يخرج من بلادنا ، وان كتب الهنود اذا لم يطرده ابناء الشعب لانه متنعم بالخيرات رافل بالنعيم ، وتارك ابناء البلاد في جوع ، وعري ، وفقر ، الا اولئك الذين اتخذوا من انفسهم دمي يحركها كما يشاء . قال محمود الملاح :

(١٠) ديوان الرصافي ٤٥٢

بلاد غريب الدار فيها منعم
وتحكم فيها الهند والهند اعبد
ولكن على اهل البلاد مقابر
فلو لطمت من الجباه خرائر
ومايل من طين تقام خديعة
ومن لم يصح للطين فهو مكابر^(١١)

الاستشارة والوزارة :

كانت احدى بلايا البلاد في هذه الفترة ، الحكم الاجنبي ، الذي ألبس
وجها وطنيا . فالمظاهر تدل على وجود حكم وطني ولكن الواقع ان الاجنبي هو
الذي كان يحرك دفة الامور بوساطة المستشارين الذين دسهم في ارجاء هذا
الحكم . لذلك لم يكن للوزراء او النواب او جميع المواطنين من رأي انما هم
آلات في الدولة يحركها المستشارون فحيل دون الشعب وبين المستعمر بستار
وزارة عراقية لاتقدر ان تنفع البلاد مادام المستشارون لا يريدون ذلك . فوجه
الشعراء اهتمامهم الى هؤلاء المستشارين ، وسخروا من الوزراء الذين تصرف
لهم أمور البلاد ويحل قضاياهم الاجنبي . كانت سخرية الشعراء لازعة وتهكمهم
مريرا موجعا يطفح بالنقمة على هؤلاء الذين اصبحوا مطايا للمستعمر ويمسج
بالسخط على السياسة البريطانية التي تعبت بمقدرات البلد وتزيد في تعقيد الامور
فجعلت البلد عبدا تسخره كيفما تريد باسم هؤلاء الوزراء الذين صدقوا انهم
الحاكمون فقال محمد باقر الشيباني :

ما يزيد المشكلات تعقدا
قالوا استقلت في البلاد حكومة
ان ليس ثمة من يحل ويعقد
فضحكت ان قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربهما
وحكومة فيها المشاور يعبد
الحكم حكمهم بغير منازع
والامر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذي شرب الطلى
فعلام يا هذا الوزير تعربد

وقد آلم وضع الوزراء واستخذاؤهم للسلطات الانكليزية معروف الرصافي
والذين سكرؤا غرورا راضين باسم الوزارة دون ان يقدموا لهذا البلد خيرا
حتى خجلت كراسيهم من هذا الاستخذاء والغرور فقال يؤنبهم :

بالله يا وزراءنا ما بالكُم
وكان واحدكم لفرط غروره
افتنموني من الحكومة باسمها
هذي كراسي الوزارة تحتكم
انتم عليها والاجانب فوقكم
أبعد فخرا للوزير جلوسه
ان نحن جادلناكم لم تصفوا
تمل تميل بجانبه القرف
وفوتكم في الامر ان تصرفوا
كادت لفرط حيائها تنقص
كل بسلطته عليكم مشرف
فرحا على الكرسي وهو مكث (١٢)

وزخر شعر الرصافي في هذه الفترة بتأنيب النواب والوزراء وجميع الذين
تولوا السلطات العامة . وتأنيبه مشاب بالتهكم المرير الموجه فيصف الوزير كذيل
حمامه ليس له من سلطان ولا حول وانما هو صنم تشيع فيه الذلة والصغار
فيقول :

ووزير ملحق كالذيل في عجز الحمامه
ذنب أصبح للحكم به اقبح شاره

ويذكر سبب تهكمه عليه لانه لا عمل له الا ان يقبض راتبه في نهاية الشهر .

فوزير القوم لا يعمل من غير اشارة
وهو لا يملك امرا غير كرسي الوزارة
ياخذ الراتب اما بلغ الشهر سراره (١٣)

وقال الرصافي صراحة ان الوزراء جماعة من ابناء الشعب آثروا مصالح
الاجنبي على مصالح ابناء الوطن ولا يستوزر الانكليز العراقي المخلص لانه سوف
يعمل لصالح وطنه وبلده لذلك فان الوزراء مخلصون للمصالح البريطانية
فقال :

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٥٤

(١٣) ديوان الرصافي ص ٤٥٦ ، والسرار الظلام الذي لا يظهر فيه القمر ويكون
القمر في المحاق ، كناية عن نهاية الشهر لاحظ الديوان ص ٤٢٩ قصيدته
مناسبة قدوم كراين سنة ١٩٢٩

ان الوزارة - لا ابالك - عندنا
لا يرتديه سوى امرىء اضحى له
توب يفصل في معامل لندنا
طبعا ، وداد الانكليز عوديدنا (١٤)

ووقف محمود الملاح موقف الناصح الواعظ مبينا اثر المستشار في تعقيد
أمر الشعب ، ويعزو قوة المستشار الى تخاذل ابناء الشعب باحزابهم ، ولو انهم
وحدوا صفوفهم لطردها المستعمر شر طردة • لكن النفع الذاتي وحب الكراسي
اغريا بعض ابناء البلد فضحى في سبيلها بكل مصالح الشعب فقال :

الاستشارة قيد بين ارجلنا	وكيف يمشي الفتى في حال تعقيد
كم أمة دونها في الشرق قد نجحت	ونحن معها بحال غير مودود
المستشار الذي تجلى به عقد	لامن يجيء لمحللول بمعقود
وما التخاذل في الاحزاب غير يد	يدسها طامع يسعى لتبديد
فوجدوا خطوكم يا قوم واعتقدوا	ان النجاح محال دون توحيد
ان الكبير كبير النفس من صغرت	في عينه خشب قامت بتسفيد
لانرغبوا في كراسي في نعمتها	ففي النعومة شوك غير مخضود
تلك المقاعد كم غرت أخا ثقة	كما تفر ثنايا الخرد الفيد
ان الكراسي انصاب مهندمة	فيها تضحي بلاد باسم معبود (١٥)

وكثيرون الذين خانوا بلادهم في سبيل مطاعمهم الفردية ، وجشعهم فاصبحوا
دمى يحركها الاجنبي وهو يسخر منهم فقد تهالكوا على رضاه فارتموا تحت اقدامه
معتبرين انفسهم جزءا من هذا الاجنبي الذي دخل بلادهم ولا تربطه بهم رابطة اللغة
او الدين او العقيدة او التاريخ او الجنس غير الاستعمار واستغلال خيرات البلاد •
فهم خدم لهذا المستعمر لا يخجلون من خدمته ويتفاخرون بانهم من محاسبيه فقال

(١٤) ديوان الرصافي ص ٤٩٦ والطريف ان يلجأ الرصافي الى المثل العراقي
المستهجن (الصيت للنورة والعمل للزرنين) فيطبقه على المستشار وعلى الوزير
فيقول بتهكم لاذع :

الا ابلغوا عنى الوزير مقالة
اراك بحمام الوزارة نورة
له بينها لوكان يخجل توبين
واما جناب المستشار فزرنين

(١٥) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٠ السنة الثانية ١٩٢٩

علي الخطيب ساخرًا متهمًا وسخر معه الشعب والتاريخ والامم الواعية المستقلة :

وللحليفة أعوان تؤازرهم منا علينا وقد اضحوا لهم خدما
لاينكسون من النكراء هامتهم فلا يرون بها بأسا ولا غمما

ومن اذل نفسه في سبيل مطامعه وغدا مطية للاجنبي يرى خيره في خيره
ضمانا لمصلحته الفردية زاعما ان ذلك في سبيل الشعب ، وما هو الا دمية تؤدي ما
يطلب اليها دون تفكير تنعم بالمظاهر من مال زائل وألقاب كاذبة :

والقابضون زمام الامر اشغلهم عنا المطامع حتى جاوزوا النهم
مستسلمون ضعاف في مراكزهم ماقدموا قدما او اخروا قدما
دمى تحركها ايد مخبأة فتضحك الشعب والتاريخ والامم
ليهلك الشعب مادامت مناصبهم مضونة تقذف الالقاب والنعماء (١٥ب)

وقد انفرد محمد مهدي البصير برأي بالنسبة للاكثرية الساحقة من الشعراء
فهو لم يلق التبعة على الانكليز وحدهم او المستشارين من الانكليز انما القاها على
كاهل الوزارة العراقية . فمن المفروض ان يكون الوزير مالكا زمام امور وزارته
متصرفا بشؤونها قادرا على الهيمنة التامة وبذلك لن يكون للمستشار قيمة في الوزارة
ولن يتدخل في اموره ، والرأي خيالي لايمكن ان ينطبق على وزارة هذا العهد ،
لامور منها ان الذين جاؤا الوزارة هم من ذوي المصالح المشتركة مع الانكليز او
انهم بحاجة الى العون الاقتصادي او من الضعاف الذين خبرهم الانكليز وسبروا
انفسهم ، اذ ليس من المعقول ان يأتي الانكليز بوزير قوي معارض لسياستهم ،
ولكن البصير اراد ان يدفع الوزراء الى العمل ويخلق فيهم القوة والعزة والكرامة
للمصالحة . فاذا اتفق هؤلاء الوزراء - وهذا خيال شاعر - فقد يأخذون الحكم
بايديهم وسيعم اصلاح العراق ، والبصير اخذ يرد على الذين يعترضون عليه
بان المستشار سوف يضطرهم بقوته على الرضوخ الى اوامره ونواهيه ولكن لم
يجد برهانا واحدا على وقوف الوزراء امام رغبات المستشار والحد من رغباته .
والحقيقة ان المثل العامة قد تفسخت ، فلو اجمع ابناء البلد على مقاطعة الوظائف

وصمدوا امام التهديد والسجون والموت لما تمكن الانكليز من تطبيق خططهم الاستعمارية في استقلال العراق . ان اكثر العراقيين مسؤولون امام التاريخ في تشجيع المستعمر في التدخل في امور بلادهم وهم احرى باللوم واجدر بالتقريع ، لانهم لم يستأنفوا نضالهم وضعفت معنوياتهم ، مع نفع زائل ونعيم حائل فقد قال البصير من قصيدة القاها في يوم افتتاح الحزب الوطني ببغداد :

ما رسنا للاستشارة حـدا فلها العذر أن تجوز الحدودا
شغلت مركز القيادة منا اذ رضخنا لها فكنا جنودا
اتقـولون انها اكرهتنا فعملنا ما لانراء سـديدا
شكر الله سعيكم - خبروني كم بذلتم في كبجها مجهودا (١٦)

وقد عكست الجرائد العراقية الحيرة والوجوم اللذين هيمنا على ربوع العراق من الوضع الشاذ في هذه الدولة الجديدة المستقلة وذات السيادة والتي لها برلمان ولكن لايمكن لابنائها ان يديروا دفة الامور فيها . مع ان الوزراء مسؤولون امام البرلمان . فهم لايصدرن امرا الا بموافقة المستشارين وقد قالت جريدة الزمان بصراحة ان البلاد مستعمرة وجاءت بالدليل بقولها (.. يقولون ان البلاد مستقلة وان شؤونها انما تديرها حكومة وطنية .. والله يعلم ان البلاد مستعمرة لا مستقلة ، وكيف لاتكون كذلك وهذه جنود الانكليز فيها وهذي طياراتهم محلقة في سماء العراق صباح مساء .. وكيف تكون مستقلة ، وكلمة الانكليز هي العليا في الصغيرة والكبيرة ..) وتفند الجريدة المزاعم الانكليزية بقولها (.. ومن الخطل في الرأي ان نستمر على التفرير بانفسنا فنزعم محالفة الانكليز لنا انما هي مستندة الى الاخلاص المتبادل ، فالمعروف الذي لايمكن تجاهله ان القوي اذا حالف ضعيفا فهو انما يسعى الى مغنم يلبسه ثوب الحق وينفي عنه تهمة الغصب والاعتداء ، وبغير ذلك لايمكن تعليل هذه ... ولو بحثنا الحالات المتعددة التي سلمت فيها الوزارة العراقية .. لوجدنا ان اساس التسليم للانكليز في هذه البلاد انما يرتكز على الافراط في الحذر لئلا يصطدم هذا

(١٦) جريدة العراق العدد ٢٥٧١ السنة التاسعة ١٩٢٨ وقد اعيد نشرها في الطرائف المصورة العدد الرابع الصادر في الحادي عشر من شهر ايار

سنة ١٩٣٠

الاستقلال المفلوج بسيطرة الانكليز (١٧) .

وهاجم محمد صالح بحرالعلوم كل وزير وكل نائب واعتبره جاسوسا
يخدم الاجنبي وما الراتب الا اجرة عمله هذا فقال :

تجسس البعض منكم بخبرة ومهارة
ونال منا اجورا عن جهده بجدارة
ففي النياحه اجر وآخر في الوزارة (١٨)

والطريف ان يجعل المستشار ابا لهؤلاء وامهم (المس بل) ويحدثنا عن
نتيجة الذين لا يتفقون معهم في الرأي فهي اما السجن ، او النفي او الشنق وبذلك
يظهر لنا عvisية الاجانب العمياء ضد ابناء الوطن الذين لا يوالونهم ولا يرضون
بحكمهم البغيض . . وقد جعل اول العقوبات للوطنيين السجن والنفي والاعتقال
اما اولئك الذين يصرون على موقفهم الوطني فهو الموت :

وحكم من يتوقى طرق الحماية خنق
نفي وحجز وسجن وان اصر فشنق

النواب :

عرت مظاهر الحكم العامة بعض الشعراء لذلك اختلفوا بادية الامر
في معاملة نواب المجلس فحسبهم بعض الشعراء بانهم قادرون على انتشال البلاد
من التأخر ، والسير بها نحو معارج الرقي والتقدم ، ولهم من السلطة ما يقومون
بها اعوجاج امورها ، ويشقفون اودها . لان المجالس النيابية في الدولة المستقلة هي
عمادها وركنها الاشد ، وساعدها الذي تعتمد عليه وقت الشدائد والملمات ، وهي
ذات القول الفصل في القضايا العامة ، في شؤون الدولة . ومتى اتفقت كلمة
النواب في أمر من الامور فما على الدولة الا الانصياع كرها او رضا لرغبتهم ، غير ان
نواب العراق ، وبالاخص ، لم يكونوا يمثلون الشعب العراقي ، فقد اخذوا
يتصلون من التبعة العظمى الملقاة على عواتقهم ، لانهم لم يشعروا بان الشعب قد

(١٧) لاحظ المقال الافتتاحي لجريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(١٨) من مخطوطة بقلم الشاعر في مكتبتي

جاء بهم الى المجلس ، ولم يحسبوا له حسابا في مناقشة الامور ، اسما همهم كان منصبا على ارضاء الوزارة التي جاءت بهم الى المجلس . فلم ينودوا عن مصالح الوطن في احلك الظروف ، وكان اول دليل على ذلك موقفهم من معاهدة ١٩٢٢ فقد كان عدد الموافقين ٣٧ نائبا من مجموع مئة نائب ، ولم توات الشجاعة بعضهم ليحضر الى المجلس ويعارض ويرفض المعاهدة ، وليدخل في نضال جديد ، ولو كان النواب مستندين على القوى الشعبية ما جنبوا وتولاهم الذعر ، فهم بين نارين ، نار الوزارة التي ادخلتهم البرلمان ، وهي تضمن لهم مصالحهم الخاصة ، ونار القوى الشعبية التي ثارت على المعاهدة ، فاذا وافقوا على المعاهدة فسوف يغضب الشعب ويلصق بهم تهمة الخيانة . ولو رفضت المعاهدة لتغير مجرى السياسة في العراق وتغيرت اساليب حكم الشعب العراقي .

ومن الشعراء الذين املوا الخير من النواب وتفاءلوا من وجود المجلس النيابي فاضل الصيدلي وحسين كمال الدين وعبدالرحمن البناء وقد كان تفاؤلهم ذلك بعيدا عن الواقع وممزوجا بالشك فقد رسموا الطرق التي يجب ان تبذل في سبيل الشعب في دك صروح الجهل ، واصلاح الاخلاق الفاسدة المتردية ، والاختذ بيد العامل والفلاح نحو الخير والصلاح فقد خاطب حسين كمال الدين النواب في موشحة له :

أنوابنا هل لكم نهضة ؟	تقومون فيها باصلاحنا
فقد كاد يهلك عمالتنا	واودي الطـواء بفلاحنا
اذا مات فلاحنا جائعا	فلا فخر ان ننجو بارواحنا (١٩)

ورحب فاضل الصيدلي بهم وهاجم سوء الظن الذي يحيق بهم لانهم مقام الخائف الراجي ، والعائد اللاجي ، والمسجير الناجي ، فقال :

(١٩) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٧٢ السنة الثانية ١٩٢٨ ولاحظ قصيدة اخرى بتوقيع (شاعر نجفي) في العدد ٢٦٦ من الجريدة نفسها ويبدو لي انها للشاعر نفسه فهي من نفس الروي

لاصَح سوء الظن فيكم او وهى عزم ولا زلت بكم أقــــدام
ابدوا سراير عزمكم ورجاؤنا ان تكذب الاضغاث والاحلام^(٢٠)

وقال عبدالرحمن البناء ان الشعب يفدى روحه من اجل النواب لانهم مالكو
زمام الامر في العراق ، وسوف يتحدون في سبيل مصالح الشعب ويقضون على
اعداء الشعب فقال :

يا من ملكتم زمام السيف والقلم رقبوا العراق بنشر العلم والعلم
ما اختاركم شعبكم الا لنصرته فأيدوا رأيه حفظا الى الذم
كونوا يدا في مجال الذب واحدة تقضي على كل أفاك ومنقسم
الشعب بالنفس فدآكم وقدمكم الى العلا فأحذروا من زلة القدم^(٢١)

ولما تجلّى للعيان اعمال هؤلاء النواب خلال التجارب القاسية التي مر بها
العراق ، ظهرت خيبة الرجاء وظهر كذب الظنون فاذا بالنواب قانعون بالراتب
وبالمنصب دون العناية بمصلحة الشعب فقال خيرى الهنداوي :

اين العدالة ايها النواب كذب الرجاء وسدت الابواب
قصدتكم الامال وهى ضوامي فاذا الذي قد غرهن مراب
كنا نظن بكم ننال حقوقنا فقطعت فيكم بنا الاسباب
ألهاكم قبض الرواتب يا ترى ام افنتكم هذه الالقاب؟^(٢٢)

والواقع المرير ان جل النواب لم يكونوا راغبين في معارضة الحكومة ولم
تكن لهم الجرأة والشجاعة على الثورة على أي قانون تسنه ، اذ لم تكن هناك احزاب
قوية لها من المنعة ومن القوة ما تسند نوابها فقد مر العراق في دور كانت فيه
احزاب ، ولكنها لم تتغلغل بين افراد الشعب ولم تكتسب يوما من الايام شعبية •

(٢٠) جريدة العراق العدد ٢٤٧٣ السنة التاسعة ١٩٢٨

(٢١) جريدة الاخلاق العدد ٦٧ السنة الثانية ١٩٢٨ ولاحظ العدد ٧٩ السنة

١٩٢٨ قصيدة شاكر اسعد من الهويدر والعدد ٥٩ السنة الاول ١٩٣٨

قصيدة بتوقيع ل.م.ج

(٢٢) مخطوطة ديوان الهنداوي في مكتبتي •

وقد كانت الانتخابات في كثير من الاحيان تجري بدون وجود احزاب في البلد وتدير دفة الانتخابات سلطات الحكومة التي منحت نفسها صلاحيات واسعة لحماية من الشعب فاذا وجدت حزبا بدأ يقوى سارعت الى حله تخلصا من المشكلات التي قد تنجم منه، حتى ان ياسين الهاشمي حل الحزب الذي كان يترأسه بعد ان اصبح رئيسا للوزارة . فكان الشعب بعيدا كل البعد عن الانتخابات ، فمما الشعور العام بان المجالس اداة بيد الحكومة وان النواب يعينون فيها^(٢٣) ولم تكن هذه المجالس تملك السيطرة على الوزارة اذ لم يحدث في تاريخ العراق ان استقالت وزارة لان المجلس قد سحب منها الثقة^(٢٤) .

ولم تكن عيون الشعراء بعيدة عن احوال هؤلاء النواب ، لذلك انصب عليهم سيل من التهكم المرير ، كانصبابه على الوزراء ، فقد قال الجواهري يلذعهم بقاسي الكلم عندما عقدت الجلسة النيابية لتأيين عبدالمحسن السعدون :

ولقد اقول لرافعين أصابعاً	ليست تحسن كأنها أخطأ
رهن الاشارة تخفي او تعلي	وينال منها السلب والايجاب
ماذا نويتم سادتي : هل أنتم	بعد الرئيس - كعهده - اخشاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة	او تجمدون كأنكم انصاب
هل انتم - ان جد أمر ينبغي	توحيد شملكم به - أحزاب ^(٢٥)

وقد سخر علي الشرقي من المجلس ولم ير فيه سوى المظاهر السكاذبة ونرك امره للايام فهي كفيلة بتقدير قيمته ولا ارى الايام بحاجة الى ان تجيب فقد وجدت البرلمان آلة دون شك بيد الحاكمين فقال :

(٢٣) لما انتخب الرصافي نائبا جاءه احد اخوانه ليقدم له التهاني فقال له: اعنك بانتخابك نائبا فضحك الرصافي وقال تقصد بتعييني نائبا .

(٢٤) تحدى احد رؤساء الوزارات النواب قائلا من أراد ان يبرهن على شعبيته فليستقيل من المجلس وانا ابرهن له بانه لن يعود الى المجلس . فسكت النواب .

(٢٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٧ السنة العاشرة ١٩٢٩ وذكرى السعدون

ص ١٢٠

صـوروا مجلسا بها انيقا شيخه واقف ويلقي خطابه
لو سألتكم منه سؤالا دقيقا سوف تعطيكم الليالي جوابه
وكان محمد باقر الشيباني واضحا كل الوضوح بوصف مجلس النواب
بآلة يراد بها اسباغ حق شرعي على القوانين والرغبات التي يريدها المستعمر
فهو دريئة لاعمالهم ومجتأ يصدون به أقوال الشعب ، والحق انه طريق
لاستبعاد الامة فقال في الحفلة التي اقيمت على شرف مستر كراين :

فخذوا من الحكم المشوه صورة ومثالها هذا الزمان الاسود
واقامها العهد (العتيد) حكومة هي طبق ما اتفقوا عليه ومهدوا
وتستروا بالمجلسين فمجلس طوع البنان ومجلس يتجلد
ولم يرض عن الضيم والذل الذي يكتنف العراق ، وقال ان هذا سكوت
الابي الصابر المتفائل المستعد فقال :

اما العراق فلان في تاريخه شرفا يصي . كما يصي . الفرقد
ليس السكوت من الخضوع وانما هذا السكوت تجمع وتحشد (٢٦)

البرلمان والمعاهدة :

تركت المعاهدة الاولى وما يتبعها من احداث آثارا سيئة في نفوس أبناء
الشعب فأضطرب العصر اضطربا واضحا وماج بين قوتين • قوة الشعب التي
يساندها المثقفون والواعون ، وقوة الانتداب ومن سار في ركابه من المتفعين
والانتهازيين • وقد كان الجميع يتوقون الى استقرار الحال ، بعد أن طالت فترة
الاضطراب ، فلانكليز يريدون استقرار الاحوال لتمشية مصالحهم وتحسين
سمعتهم بين العالم المتمدن • ويريد الوطنيون الاستقرار ليسيروا قدما في اصلاح
البلاد اصلاحا عاما يمكنهم من مواصلة الكفاح مرة اخرى • وبين هؤلاء كانت
بعض القوى تؤيد الحكومة الوطنية ، التي تحرص على استبقاء ما سمته المعاهدة
بالاستقلال ، كيلا تتحطم مساعيهم واملا في الحصول على اشياء جديدة من الانكليز
وقد فكر الانكليز في الخروج من هذا المأزق وتفق ذهنهم على شيء جديد هو

عقد معاهدة جديدة يجددون بموجبها علاقتهم بالعراق . . ولادخاله الى عصبة الامم ، دولة مستقلة في الظاهر ، محافظين على مصالحهم الخاصة وبذلك يوهمون الشعب بانتهاء الانتداب عن العراق وابتعاد الاثر الاجنبي فيه . ولما نشرت مسودة المعاهدة في الجرائد لم ير العراقيون فيها تغييرا كبيرا عن المعاهدة السابقة فقد قيدت سيادة البلاد وشتت ضدها معارضة قوية من الاحزاب . ومر العراق في فترة حالكة واحجم السياسة عن تشكيل وزارة توافق على بنود المعاهدة وتعطل تشكيل وزارة جديدة مدة ثلاثة اشهر ولم تجد الدعاية التي شنّها المواليون للاستعمار او تؤثر مساعيهم شيئا فقد اعلنت المعارضة برئاسة ياسين الهاشمي ان المعاهدة قد اعلنت الاحتلال من جديد^(٢٧) اذ نصت على اجراء مشاورات تامة وصريحة في جميع شؤون السياسة الخارجية مما له مساس بمصالح العراق وبريطانيا^(٢٨) وان يقدم العراق جميع ما في وسعه من التسهيلات والمساعدات اللازمة من استخدام السكك والانهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات في حالة الحرب او خطر الحرب^(٢٩) وضمنت بريطانيا لنفسها مكانين لانشاء مطارين جويين داخل الحدود العراقية لتقيم فيهما القوات البريطانية^(٣٠) وواجبت تدريب الجيش العراقي تحت الاشراف البريطاني وشراء اسلحته من بريطانيا اذا تيسرت هذه الاسلحة لديها^(٣١) .

صودق على المعاهدة في ١٦ ت ٢ في جلسة واحدة باغلبية ساحقة . . وبذلك اصبح العراق في وضع جديد اهلّه ليكون عضوا في عصبة الامم^(٣٢) وبدخول

(٢٧) تحرر العراق من الانتداب ص ١٤ ونص المعاهدة في البلاد ٢٠٨/١/٩٣٠

(٢٨) المادة الاولى من المعاهدة

(٢٩) المادة الرابعة من المعاهدة

(٣٠) المادة الخامسة من المعاهدة

(٣١) يلاحظ تعليق خدوري : تحرر العراق من الانتداب ص ٩-١٤ وتعليق

الدكتور زكي صالح مقدمة من تاريخ العراق المعاصر ص ٨٧ و ٨٨ وخطاب

المعارضة الذي القاه ياسين الهاشمي . العراق في دوري الاحتلال والانتداب

ص ٢٢٠ و ٢١٣ وخطاب الحكومة ص ٢١٣

(٣٢) راجع خدوري ص ١٥-٣٧

العراق عصبة الأمم اعتبر دولة مستقلة ذات سيادة • ان الوضع الجديد الذي سيصله العراق سيجعله بصورة رسمية مستقلا ، واعترف به شكليا بأنه دولة مستقلة غير ان هذا الحل لم يرض الذين لمسوا السيطرة البريطانية واضحة ، في تسير دفة أمور الحياة العامة للعراق •• ولم تخف عنهم بنود المعاهدة من قيود قيدت العراق •• فكان رد الفعل عميقا في النفوس وبدأ الوطنيون يهاجمون الحكومة التي غدت آلة طيعة بيد المستعمرين ، كما هاجموا المعاهدة واطهروا ما حاق بالعراق من تأخر وانحطاط • لان الانكليز هم الذين يصرفون اموره حسما تقتضيه مصالحهم •

وقد شاركت الصحافة العراقية في ابراز عيوب المعاهدة الجديدة للشعب ، وظهرت ما فيها من متناقضات غريبة فقد كتبت جريدة المستقبل في افتتاحية لها (ان الاستقلال التام لا يجمع والاحتلال في صعيد واحد ونضرب مثلا بارزا للعيان هو جثوم الطائرات الانكليزية على ارض العراق ••) ثم قالت (•• السماء والارض والحوادث تشهد بان انكلترا مذ عقدت معاهدة ١٩١٥ مع شريف مكة (سجين قبرص) لم تفكر باستقلال البلاد العربية ، كما انها لم يخطر لها ان تترك العراق حرا مستقلا •• ولكن دعاة السوء وسماسرة الاخاديع يزعمون ان الوزارة الحاضرة دخلت المفاوضات مع بريطانيا على أساس الاستقلال التام ••• فما اوقع هذا الزعم وما افضح الدعوة الضعيفة اليه •• (٣٣)

ان الجهود التي بذلت للحيلولة دون المصادقة على المعاهدة ذهبت ادراج الرياح لان الملك فيصل كان راضيا عن المعاهدة خلافا لموقفه في معاهدة ١٩٢٢ فقد اعلن بكل صراحة هذا الرأي وقال (ان العراق حر طليق لاسيد عليه غير ارادته • وحليقتنا بريطانيا ليس لها في هذه البلاد سوى شيء واحد هو هذا الخط الجوي ••)

ولم يكنف فيصل بذلك انما هاجم الذين وقفوا امام المعاهدة وقال (•• وان الذي يؤسف له الا يكون من بين رجال الامة من يدرك حقيقة ما بينته لكم ، ولا

(٣٣) تحرر العراق من الانتداب ص ١٤

يجرؤ على مصارحتكم به اضطررت ان اصارحكم بذاتي (٣٠) غير ان هذا الرأي لم يكن يتفق ورأي زعماء المعارضة لانهم وجدوا المعاهدة جائرة وفاسدة وانها قيدت استقلاله الموهوم وارادوا ان تبدل هذه المعاهدة بمعاهدة اخرى تعطي البلاد استقلالا كاملا لا تشوبه شائبة وان المجلس الذي عقد المعاهدة مجلس غير شرعي ولا يمثل البلاد (٣٤) وان المعاهدة تتضمن الاحتلال الابدي (٣٥) لانها زادت من اغلال العراق وعزلته عن الاقطار العربية (٣٦) ووضعت العراق رسميا تحت حماية بريطانيا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وقضت على الوحدة العربية وثبتت اقدام الصهيونية في فلسطين الشهيدة (٣٧)

ولم يختلف رأي الشعراء عن رأي رجال المعارضة من القوى الوطنية فقد هاجموا المعاهدة والبرلمان الذي صادق عليها واعتبروها معاهدة باطلة لان البرلمان الذي اقراها لا يمثل الاغلبية ، وبرلمان لا يمثل الشعب يجب الا يقر معاهدة تقرر مصير البلاد ، ومستقبلها السياسي ، خاصة وان الكثرة الكاثرة قد قاطعت هذه الانتخابات ، وصفحات الجرائد تطفح باسماء الذين قاطعوها واسماء المحتجين على طريقة الانتخابات وخاصة جرائد المعارضة . فقد قال صالح الجعفري بعدم شرعية البرلمان لان انكثرا اشرقت على الانتخابات وسيرتها نحو الهدف الذي تريده وجاء اعضاؤه وفقا لرغباتها ، وكيف يوثق بمجلس طوع ارادة الانكليز . وقد جاء نوابه حسب رغباتهم خاصة ، وان اغلبية الشعب لم يشترك في هذه الانتخابات ، قال من قصيدة :

(٣٤) لاحظ وثيقة التآخي بين حزبي الاخاء والحزب الوطني في جريدة الاستقلال العدد ١٧٠٣ السنة ١٣ سنة ١٩٣٣

(٣٥) جريدة الزمان الصادرة بدل البلاد ٢٨٤ في ١٧ تشرين الاول ١٩٣٠ ولاحظ آراء حكمة سليمان ومحمد رضا الشبيبي وحمد الباجهجي وباقر الشبيبي ومحمود رامز ، ضد المعاهدة كما دافع عنها نوري السعيد في العدد نفسه والعدد ٢٨٥

(٣٦) الزمان العدد ٢٨٤ لاحظ رأي الكيلاني والهاشمي

(٣٧) المصدر السابق لاحظ رأي مزاحم الباجهجي

ما الانتخاب بمشروع اذا اتفقت
أبرلمان وهذا الشعب قاطعه
ما مثل المجلس المعقود أتمه
خدعتم الشعب بالاشباح ماثلة
كأن لندن مغناطيس مجلسنا
منها القرار ومن ان نفذه
كل البلاد على ان ليس تنتخب
الا القليل ، وقد حفت به الريب
وانما عقدوه وفق ما رغبوا
جوفاء تسترها اثوابها القشب
فحيثما جذبه تلك ينجذب
والامر منها ومنا الطوع والادب (٣٨)

وقد نظم في هذا المعنى جواد السوداني وظهر غضب الشعب على الحاكمين
وشرح طريقة تلقين هؤلاء للدفاع عن مصالح الدخيل فقال :

لم نتخب نحن نوابا نوابينا
لا تعقدوا مجلسا ترضي مبادؤه
رجاله تشبه البيغاء لو نطقت
منهم ، اذا كانت الايعان تعيينا
الفا ، وتعصب من شعبي ملاينا
تلقن الامر (منهم فيه) تلقينا (٣٩)

وقد طعن الشعراء بالانتخابات التي جرت في ظروف شاذة من التهديد
والارهاب ، وبالنواب الذين رضوا ان يمثلوا البلاد في مثل هذه الظروف لانهم
اصبحوا شوكة في قلب الوطن ينغرون في مصالحه وفي استقلاله وفي سمعته ...
وجروه الى الشقاء والفساد : ومثل هذا الرأي جماعة منهم محمود الملاح ، قال
من قصيدة القاها في الحزب الوطني المعارض :

لا أمان في مجلس قائم فو
فيه تغتال للبلاد حياة
أي فضل لفتية مالههم من
ما شقاء البلاد الا من الاز
ضربت في البلاد أطناب ذل
ق ضروب التهديد والارهاب
وتساق البلاد نحو الخراب
هدف غير خدمة الانتداب
ناب ، ويل لمعشر الاذئاب !
فغدوا كالاوتاد للطناب (٤٠)

(٣٨) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٣٩) المصدر السابق العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٠) جريدة الجهاد العدد ٢٤٠ الصادر في ٢٥ آب سنة ١٩٣٠

وقد بذل معروف الرصافي^(٤١) جهدا كبيرا داخل المجلس ضد المعاهدة لانه كان عضوا فيه ، والقي خطابا ندد فيه بنودها قائلا (٠٠ ان المعاهدة كمعاهدة الحمل مع الذئب وما ادري اية قيمة لمعاهدة تقع بين الحمل والذئب ٠٠٠) ثم بين الظروف التي حملت العراقيين على عدم الرغبة في المعاهدة بقوله (٠٠ نحن في عقد هذه المعاهدات لسنا على اختيار بل على اضطرار . كلنا يعلم ان العراق في قبضة بريطانيا الحديدية او النارية وان الانكليز لهم سلطة نافذة قهارة جبارة غدارة ففي هذا الوضع تعقد معاهدة مع الانكليز معاهدة بمعنى انهم يملون ونحن نكتب ٠٠)^(٤٢) ويتجلى ألم الرصافي الواضح في تتابع الصفات التي اسبغها على سلطة الانكليز وقد كان الرصافي ضد كل معاهدة عقدت مع العراق فقد قال عن معاهدة ١٩٢٢ :

والعهد بين الانكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والربال
من ذا رأى ذئب الذئاب معاهدا بصداقة حملا من الاحمال^(٤٣)

وقد طفحت جرائد هذه الفترة بسيل من اسماء الشعراء الذين تقموا على تصديق المعاهدة واخذوا يهاجمونها وينقدون سياسة الحكم القائم آنذاك فمنهم ابراهيم ادهم الزهاوي^(٤٤) وجواد السوداني^(٤٥) ومحمد حبيب العبيدي^(٤٦)

(٤١) بقي الرصافي يندد بالمعاهدة طوال حياته مطالبا باستقلال العراق . لاحظ - آراء الرصافي - جمع سعيد البدري بغداد ١٩٥١ ص ٢٥٢ وما بعدها وعندني قصيدة لمحمد صالح بحر العلوم ضمن مخطوطة شعره يقول فيها :

عهد حزيران وكم ثائر حولي على عهد حزيران
فحمله بالبغي من لندن ووضعني بعقدان
نواب الامة في جانب وأما في الجانب الثاني
وحكم من تزني - وان لم تكن محصنة - عطف على الزاني

(٤٢) جريدة نداء الشعب العدد ٣١٠ صدر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٠
(٤٣) آراء الرصافي للبدري ص ٣١ وادب الرصافي لمصطفى علي ص ١٠٥ وديوان الرصافي ص ٥٠٢

(٤٤) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى سنة ١٩٣١
(٤٥) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠
(٤٦) جريدة البلاد العدد الصادر في ٣ كانون الثاني ١٩٣٠

وعبد الحسين الملا^(٤٧) وبقار الشيبلي^(٤٨) والصافي^(٤٩) وشفيق العاني^(٥٠) وغيرهم كثيرون ممن نشروا في جرائد ومجلات اخرى . وقد اتفقوا جميعا على أمر واحد هو التنديد بالمعاهدة الجائرة وآلمهم ان تكون بلادهم لعبة تستغلها قوات الاجنبي لصالحها ، تهدر مصلحة الشعب الذي ذهب ضحية الوعود الكاذبة ، وضحية الانتهازين من ابنائه والمتفعين من وجود المستعمرين في بلادهم الذين اسلموا الوطن دون ان يردعهم ضمير او يؤنبهم على الخيانة وازع ، فعاثوا في مقدراته دون حسيب او رقيب^(٥١) . وكان من ابناء هذا الوطن الوزراء الذين حصلوا على امتيازاتهم وألقابهم ورواتبهم من كد الشعب وعرقه ودموعه ودمه ولكنهم لم يرفعوا حقوقه وانما فضلوا مصالح الاجنبي الغشوم على مصالحه وعاشوا في العراق ولكنهم يستمدون تعاليمهم من خارج العراق ، فأنقلوا كاهل الشعب وأرهقوه ، ونصبوا من انفسهم قادة للشعب ، وحجبوا الوطنية عن غيرهم واحتكروها لانفسهم دون حياء او خجل فانساق بعض السذج معهم وظنوا ان قولهم الصدق وخالوا ما يدعون هو الصواب فلما تكشف نياتهم وظهر للعيان ما يتوا لهم من أغلال وقيود باسم التحالف وباسم المعاهدة تبه الشعب واتجه نحو الصواب ، وتركهم وحدهم مع اسيادهم ، وقد رأى بعض الشعراء ان خير حل للقضاء على هؤلاء هو ثورة تطيح بهم وباسيادهم وتعيد للشعب حقوقه المهضومة^(٥٢) والشعر العراقي في هذه الفترة كثير ولأخذ مثلا واحدا من شعر أحمد الصافي النجفي وفيه يتجلى مقدار الخسارة الفادحة التي حلت بالعراق

(٤٧) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢١ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٨) جريدة الجهاد العدد ٢٣٩ الصادر في ٢٤ من آب ١٩٣٠

(٤٩) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ من آب ١٩٣٠ وجريدة الاستقلال

العدد ١٥٦ الصادر في ١٦ آذار سنة ١٩٣١ وجريدة صدى الوطن العدد ٣ السنة

الاولى ١٩٣٠

(٥٠) جريدة الاستقلال العدد ١٥٨٩ السنة ١١ ، سنة ١٩٣١

(٥١) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠ قصيدة جواد

السوداني .

(٥٢) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى ١٩٣١ قصيدة ابراهيم ادهم الزهاوي .

من جراء المعاهدة التي عقدها الوزراء من أبناء الشعب الذين حصلوا على كل ما حصلوا
من ثروة باسم هذا الشعب فقال :

سرق الطامع ابهى مجدا	ومضى يعدو فاين الحرس
قد رقدنا املا في حرس	ولقد نمنا ونام الحرس
سهرنا في اول الليل ولما	نهض السارق يسعى نعدوا
قد حصدنا الشوك مما زرعوا	وجنينا المر مما غرسوا

ويصور بسخرية لازعة اولئك الذين ثاروا باسم الشعب وقادوه ، ثم تركوه
لما حصلوا على ما يريدون من مناصب و ثروات ، لانهم يعتمدون على الاجنبي في
جميع آرائهم فليس لهم من رأي انما هم آلات تنفذ رأي الاجنبي فقال :

باسم هذا الشعب نالوا ثروة	ثم باعوا الشعب لما أفلسوا
كرماء لم يردوا طامعا	واجابوا كل من يلتمس

وسخر من المجلس الذي يردد الآراء المستوردة بقوله :

اخذوا رأي شياطين لهم	همسوا في اذنه ما همسوا
ما ارى المجلس الا حاكيا	صوته - عن مجلس - منعكس
ضم آلات يسلك وصلت	فاذا حرك يوما تنبس
ان دعاها لدفاع شعبيها	رجفت ثم اعترها الخرس (٥٣)

لم تتحمل الحكومة معارضة الصحف الشديدة ، والوقوف امام الانتخابات
وعدم تصديق المعاهدة وافزعها النقد الشديد الموجه ضدها لان المعارضة كانت
تستند على الجانب الواضح الصائب جانب الشعب والاكثرية المؤيدة له . وقد كان
مؤيدوا الحكومة اقلية ولكنهم ارادوا ان يحكموا البلد بالارهاب وبالقوة وبالسيطرة
فقد حاولت الحكومة ان تكتم الافواه واسكات كل معارض لسياستها فعطلت جريدة
(الرافدين) و (الاستقلال) وانذرت جريدة (المستقبل) ونفت (فهمي المدرس)

(٥٣) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ اغسطس ١٩٣٠ ونشرت في
الامواج ص ٥٤ وله في الامواج قصائد في الصفحات ٥٠ و ٥٢ و ٥٣

و (رافائيل بطي) الى اربيل^(٥٤) فتارت ضجة في البلاد تطالب الحكومة بالحرية الفكرية وافساح المجال للكتاب للتعبير عن افكارهم لخدمة هذا الوطن واحتجت جريدة المستقبل التي قالت (٥٥ مابال هذه الحكومات القائمة في ظل الوضع الشاذ تضطهد الحرية في بلاد الرافدين وتلاحق الوطنيين بشتى الوسائل وانواع القسوة ؟ ماذا يبرر لتلكم الحكومات ولهذه الحكومة الحاضرة ملاحقتها لحرية الرأي وحرية النشر)^(٥٥)

وسخر صالح الجعفري من هذه التصرفات فقال :

اراهم قيدوا الرأي	فلم سموه لي حرا
وما فائدة الرأي	اذا لم أبدعه جهرا
هل المرء سوى ان ير	تأى النفع او الضرا ^(٥٦)

يمتاز العرب بحب الحرية الفكرية حرية الكلام والتعبير لان حرية التعبير عن الرأي عزيزة في نفوس الاحرار وقد أكد الاسلام على هذه الحرية في أحاديث الرسول وفي سير الخلفاء لذلك كان كبت الحريات الفكرية يبوء بالفشل دائما ونجد المطالبة بالحرية في كثير من دواوين الشعراء ففي ديوان الرصافي عدة قصائد^(٥٧) ولعل اشهرها تلك التي نظمها سنة ١٩٢٢م والتي اخذ هذا العصر يرددها^(٥٨) ورددتها العراق في كل دور من أدوار كبت الحريات والتي غدت اغرودة بضم العراقيين ومضرب الامثال دائما :

(٥٤) جريدة بغداد العدد ٢٦ السنة الاولى ١٩٣٢ وقد اصبح المعتمد العام لحزب الاخاء الوطني ياسين الهاشمي ، اما التهمة التي وجهت للكاتبين فهي (المس بالذات الملكية وقلب نظام الحكم) راجع حاشية مقالات فهمي المدرس ص ١٢٣

(٥٥) جريدة المستقبل العدد الثامن السنة الاولى ١٩٣٠

(٥٦) جريدة النجف العدد ٧٥ السنة الثانية ١٩٢٧

(٥٧) ديوان الرصافي ص ٥٠

(٥٨) أدب الرصافي ص ٧٧

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانباً فالخير الا تفهموا^(٥٩)

ولم تنطرق الى تأييد الحكومة التي عقدت المعاهدة غير قصائد محدودة^(٦٠) فكانت جريدة العراق تعوض عن ذلك بمقالاتها فتهاجم المعارضة وتنتشر بعض الرسائل المفتوحة او البرقيات مثل (اخاديعهم لاتنطلي على الشعب) او (ما هذه المهازل) وتحمل توابع متنوعة مثل (فريق من الشيبة المعتقدة بتلاعبهم) او (فريق من شيبة الحلة)^(٦١) وتسلقهم بافتتاحيات عنيفة مثل (يفترون) و (هل تستمر المعارضة في طغيانها الاثيم) واذا اعتقلت الحكومة المعارضين تقول (الحكومة تقضي على الدسائس والمكائد) و (ماذا يريد المفتونون) و (يغالطون ويموهون)^(٦٢) وكانت جرائد المعارضة ترد عليهم وتنشر اخبار الاجتماعات ونشر الخطب وتعنون مقالاتها بعناوين مثل (الخرس لهذه الافواه) و (يكيّدون للشعب)^(٦٣) كما كانت تنشر اخبار الاضرابات التي يقوم بها الشعب وتعلق عليها فتدعيها للعراق^(٦٤) ومن المقالات التي نشرتها ، مقالة تهاجم فيها المعارضة وتتهمها بانها تعارض للحصول على كراسي الحكم وقالت (ان مناحة المعارضين يوم الجمعة الماضي لم تختلف بشيء عن منحاتهم المعروفة فقد بكوا كثيرا على القضية

(٥٩) ديوان الرصافي ص ٤٤١

(٦٠) مثل عبد الرحمن البناء وعبد المجيد الملا والجواهري

(٦١) جريدة العراق الاعداد ٣٣٣١ و ٣٣٣٢ و ٣٣٣٣ السنة الحادية

عشرة ١٩٣١

(٦٢) جريدة العراق ٣٣٧٣ و ٣٣٧٥ و ٣٣٧٦/١١/١٩٣١

(٦٣) الاخاء الوطني اعداد السنة الاولى وغيرها من جرائد المعارضة الصادرة

١٩٣٠ و ١٩٣١ كالاستقلال ، والثبات والاخبار ، والبلاد .

(٦٤) دراسة هذه الفترة تستحق عناية من احد الباحثين لوجود اشياء طريفة

وجديدة .

المضاعة ، والوطن المحروب ، والحرية المضطهدة ، والصحافة المصفدة ، والآمال
الفاشلة ، وحاولوا استبكاء الجمهور على غير جدوى وكانوا في الحقيقة ينوحون
على كراسي لصقت أعينهم بقوائمها وعلى مناصب ضخمة ، ومراتب جزیلة (٦٥)
وعندما ينشر الجواهري قصيدة يؤيد بها المعارضة تنور الجريدة عليه وتعجب
كيف ينظم قصيدة في تأييد المعارضة وهو الذي أيد الحكومة بالامس وضحي
في سبيلها بوظيفة ، يتهافت عليها المعارضون ثم تنشر له قصيدة هاجم فيها
المعارضة وايد فيها الحكومة من قبل قال فيها ساخرا منهم :

فقد علم الاقوام ان ليس عندكم سوى خطف كرسي ومنضدة قصد
وهيئات هيئات الكراسي ولمسها فمن دونها سد ومن دونكم سد (٦٦)

(٦٥) جريدة العراق ١٩٣١/١٢/٣٤٧٧ المقال الافتتاحي
(٦٦) جريدة العراق العدد ١٩٣١/٢/٣٤٨٧ ولاحظ جريدة الزمان العدد
١٩٢٧/١/٢ ويلاحظ جريدة الاخاء الوطني العدد ١٩٣١/١/٢٤ وجريدة
العراق ١٩٣١/١٢/٣٤١٩

عبدالمحسن السعدون

- ٤ -

لاحظنا الصدام العنيف الذي حدث بين القوى الوطنية والقوى الاجنبية • فلم يكن العراق هادئاً مستقراً وكان الرأي العام مضطرباً ينذر بالعاصفة فقد كانت البلبلة متفشية بين الصفوف والحياة الحزبية مضطربة متفككة • وكان العراق يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من الحقوق وبريطانيا تحاول جاهدة استبقاء سيطرتها بطرق شتى ، وفي مثل هذا الجو المتوتر التائر القلق طلب الى عبدالمحسن أن يؤلف الوزارة لعقد المعاهدة ، فاشترط ان يحصل على وعد صريح بالغناء المعاهدة والاتفاقيات السابقة وأن يدخل العراق عصبة الامم بدون قيد او شرط وان تكون المعاهدة الجديدة على أساس الاستقلال التام • وكانت بريطانيا تبحث عن مخرج تخلص به من التوتر السياسي فظهرت استعدادها لقبول شروط السعدون ، فألفها معتقدا بان بريطانيا سوف تحقق للعراقيين امانهم حتى قال في حفلة اجراء مراسيم تشكيل الوزارة « لقد امعنت أنا وزملائي النظر مليا في جواب الحكومة البريطانية هذا فاقننا بانه محقق لشطر كبير من رغائب الامة العراقية التي لا ترضى عن الاستقلال التام بديلا^(١) » • واعتقد انه سوف يقدم لبلاده ما يريده لها من الاستقلال التام والكرامة • ويبدو ان رجال السياسة قد أدخلوا في

(١) ذكرى السعدون - تأليف علي الشرقي - بغداد ١٩٢٩ ص ٥٦ • لاحظ خطاب السعدون جميعه • وقد اكد هذا المعنى في الخطاب الذي القاه في حزب التقدم وكرر الفقرة نفسها • ذكرى السعدون ص ٦١ وفي الكتاب ترجمة وافية لحياة السعدون •

روعه انه المنقذ الوحيد للعراق من البلبلة والتوتر السياسي وكأني بالسعدون قد وعد بتحقيق هذه الاماني لامته واذا فشل فسوف يؤازره الشعب ويأخذ استقلاله بالقوة وبالتضحية والفداء . ولعل مظاهر الحماس التي رآها على الشعب أججت في قلبه هذه الرغبة تسنده الوعود التي بذلت له بصورة سرية^(٢) فاندفع وصرح بوجوب اخذ الاستقلال بالقوة . ولولا رغبته وما جال وراء الستار لما اندفع هذا الاندفاع حتى ظن ان الاستقلال اصبح ملك يمينه ولكنه اصطدم على صخرة رغبات بريطانيا . وصعب على المرء أن يرى احلامه العراض تتحطم ، ويهوي مابناه بيده فتتبابه المذلة والالم . وقد حدث ذلك للسعدون ، فلم يقدر على اقناع رجال السياسة البريطانيين الذين تقبلوا في السياسة وعاشوا فيها ، وعرفوا خباياها ، ولم يقف الشعب العراقي وراءه نائرا مقاتلا^(٣) لان هناك قوى اخرى غير الشعب تقف صده ، هناك أذئاب المستعمر الذين يملأون بلاده ، وهناك الملك الذي لا يريد أن يفرط بالعرش ، وهناك عقبات اخرى في الشعب العراقي لم يقدرها السعدون حق قدرها وكانت خيبة الامل مريرة في نفس السعدون^(٤) تجلت في الوصية التي تركها عندما انتحر قال فيها :

« اني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقا وشرفا . الامة تنتظر الخدمة والانكليز لا يوافقون ، ليس لي ظهير . العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون عن الاستقلال»^(٥) فوجد السعدون واضحا كل الوضوح

(٢) قال علي الشرقي (لكن المقامات العالية حركت نخوته واخلاصه ،

واستنبضت عرقه الكريم ، وناشدته بالعروبة والوفاء لها) ص ٥٥

(٣) سأل الريحاني عن مدى استجابة اعضاء حزب التقدم لآرائه السياسية فقال : « الاعتقاد رصين والامل وطيد بأن الحزب يكوى بحرارة الاخلاص الذي أحمله ، وغالبا أجد روحي تتوزع عليه ويندفع بقوة الحق الى مشاركتي ، »

(٤) قال السعدون في معرض حديثه مع زميل له « انا مثلي معكم مثل موسى مع أصحابه اذ قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ماذا اكون وحدي وانكم ما فيكم الباسل ٠٠٠ »

(٥) جريدة العراق الاعداد ٢٩٢١ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٢٣ ، من السنة العاشرة

١٩٢٩ كتب السعدون وصيته باللغة التركية وترجمت بعد ذلك .

من انه ورط في تأليف الوزارة وترك وحده في المعركة ، ولم يوفق بين رغبات الشعب العراقي الضعيف العاجز .. البعيد عن الاستقلال والحرية وبين رغبات الانكليز الذين لا يوافقون على منح الاستقلال .

أعد السعدون كل شيء وفكر في كل الاحتمالات ففض المجلس النيابي وجاء بنواب اكثريتهم معه فاستند على قوتهم وصفق له حتى المعارضون عندما عهد الله والوطن على الجهاد والتضحية وقد اعتمد الملك عليه للخروج من المأزق بل أثار نخوته ليدبر دفة البلاد وقد كان السر كلبرت كلايتون المندوب السامي يؤيد المطالب العراقي وقد رأى السعدون في جواب بريطانيا تحقيقا لشرط من رغائب الامة العراقية وقال : « ان الاستقلال اصبح وشيكا وان المعاهدة تنتهي مع الاتفاقيات برمتها وستعقد معاهدة جديدة اساسها الاستقلال التام^(٦) » لكنه باء بالفشل ولم يحصل على شيء . وقد كان السعدون أيا كريم النفس فاسودت الحياة بعينه وسئما بعد أن ضاع منه ما يريد ان يحققه لشعبه واتهم بالخيانة وبأنه خادم الانكليز وعندهم^(٧) مع ان الرجل تحمل مالا يطاق وزج بنفسه في مأزق أراد به خدمة الامة .

لم يمت السعدون دون أن يترك أثرا عميقا وراءه هو وصيته التي هزت الشعب العراقي لانها أطلعته على ضعف الشعب وتخاذله وقت الشدائد وحقيقة الصراع الذي كان ناشبا بين السعدون وبين الانكليز .

والشعب العراقي شعب مستعجل لا ينظر الى الماضي ولا يتعظ .. ينسى بسرعة فهو يلقي كلمات الحمد والثناء على من تملق عواطفه وينسى اساءته سريعا وهو يفضب سريعا وينسى جميع ما يقدم له ويتمسك بآخر غلطة للانسان ويريد أن يتدخل في كل الامور صغيرها وكبيرها وقد كان السعدون كتوما لاسراراه فاتهم بالخيانة ، وكان رزينا فباعده بينه وبين ابناء الشعب ، فاستيقظ الشعب

(٦) لاحظ خطاب السعدون في جلسة حزب التقدم الاولى في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ ذكرى السعدون ص ٥٨ وما بعدها .

(٧) جريدة العراق لاحظ الاعداد التي ذكرت الوصية .

على صوت انتحاره وهاجت عواطفه الطيبة في ضميره ، وخاصة سبب الانتحار كان عدم موافقة الانكليز على اعطاء العراق استقلاله التام . وقد نسي الشعراء جميع حياة السعدون واتخذوا الفرصة نبراسا يهتدون بهديه في شعرهم واصبح السعدون رمزا قوميا كريما ونموذجا صادقا في الوطنية والتضحية ، فانتشرت صورته في كل مكان ورسمت على علب السيكاير وورق لف السيكاير والاواني الفخارية وعلى كثير مما يستعمله الشعب وعلقت على بضائع التجار لتروج . وقد اقيم له تمثال في خير بقاع بغداد واضخم مكان^(٨) وسمي باسمه شارع كبير وحديقة . واول الشعراء الذين أصابتهم الحسرة وامضتهم اللوعة كان معروف الرصافي . فقد كان عبدالمحسن صديقا له يواليه بعطفه ورعايته وجاهه وماله^(٩) وكان الرصافي يمتدح الانكليز الذين استعمروا بلاده فاستحال هذا المقت الى كراهية عميقة ، فقد أجهزوا على صديق عزيز عليه وسند قوي يركن اليه فأهاجت ميتة السعدون كوامن الالم في الرصافي فصبا سبلا من الحمم والقذائف على الانكليز^(١٠) فوصف عظم التضحية التي قام بها السعدون ومقدار خسارة الوطن بهذه التضحية ، ثم هجا الانكليز الذين سببوا هذه الكارثة . واشهر قصائده واطولها الرائية ، وقد بوبها الشاعر ابوابا ، ووضع لها العناوين المتنوعة فوصف اولا منظر الرافدين يوم وفاة السعدون وهما يجريان دما بعد أن أمضتهما الحزن واللوعة ووصف الحزن الذي انتاب الشعر بهذه الكارثة وذكر الميزات التي امتاز بها السعدون والسجايا الكريمة والمزايا العالية التي فضلتها على سواء ، وخير هذه المزايا وأسمائها التضحية الكبرى بنفسه في سبيل الوطن ثم خاطب أهل لندن ما جرته سياستهم من آلام واحزان على العراق ، وفي القسم الاخير قارن بين سعد زغلول وعبدالمحسن السعدون وما قدم كل زعيم لبلاده من تضحيات وخدمات

(٨) غير محله وحرك قليلا حيث وضع في مكانه الحالي بمدخل الشارع المسمى باسمه عندما افتتح الجسر الجديد في الباب الشرقي .

(٩) بشأن صداقة الرصافي والسعدون لاحظ (الرصافي) تأليف مصطفى علي مصر ١٩٤٨ ص ١٩٤

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣١٠ و ٣١٢ و ٣١٦ ولاحظ ذكرى السعدون ص ١٢٧

وفضل السعدون على سعد زغلول لانه كان اكثر تضحية اذ فدى الشعب العراقي
بنفسه والجود بالنفس الاخير أقصى غاية الجود ، ويدخل ضمن موضوعنا القسم
السياسي الرابع الذي خاطب فيه الانكليز بقوله :

يا اهل لندن ما ارضت سياستكم اهل العراقيين لابدوا ولا حضرا
ان انتدابكم في قلب موطننا جرح ندأويه لكن لم يزل غبرا^(١١)

ويشرح اعمالهم التي ارتكبوها في العراق من تقييد حرية الرأي ، ووقوف
في طريق تقدم العراق ، ورقه ، وتفريق لصفوفه ، ليسنى لهم الحكم ثم بثهم
الكراهية والبغضاء بين ابنائه بدل الحب والوئام والعطف لان الاستعمار لا يقدر ان
يعيش الا في الفوضى والاضطراب والبلبلة النفسية والرعب والفرع ثم يذكرهم
بمعاهدتهم مع العراق فيقول :

في كل يوم لنا معكم معاهدة مُرداد منها على اوطاننا خطرا
جفت بها سرحة استقلالنا عطشا حتى اذا ما مسسنا عودها انكسرا

ويصف قسوة قلوب الانكليز في سبيل مصالحهم وبذلهم الوعود السخية
دون ان يفوا بها فيقول :

تقسوا قلوبكم لما نفاوضكم كأننا نحن منكم نقرر الحجر
اما مواعيدكم فهي التي انكشفت عن مين من مان او عن غدر من غدرا

ويقارن بين وطنه الضعيف الواهي القوى وبين قوة الانكليز الجبارة
التي تسيطر على العراق ، ثم يتهددهم تهديد الضعيف الوهن ، فيصف الشعب
بالذبابة التي تزعج الاسد وكان الاجدر بالرصافي ان يتهدد الانكليز بان المستقبل
للشعب الذي سوف يقوى ويشد ساعده ويقضي على قوة الانكليز ولا شك بأن
الرصافي كان قريبا جدا من الواقع الذي بعد عنا اليوم حينما قال :

لا تفخروا ان كسرتم غرب شوكتنا لافخر للصقري أن يقتل النغرا^(١٢)
لاستهينوا بنا من ضعف قوتنا فكم ذبابة غاب أزعجت نمرا

(١١) الجرح الذي اندمل على فساد ثم انفجر .

(١٢) النغرا : بضم الميم وتشديده الفرخ الصغير او البلبل .

وقد أبدى الرصافي تسامحا وتساهلا عندما عرض على الانكليز صداقة
الشعب بعد أن يش من قوة الشعب وعدم قدرته على مقارعة قوة الخصم الجبارة
والكفاح في سبيل الاهداف السامية ولعله كان يأمل ان يحصل باللين وبالتساهل
ما لم يحصل عليه بالكفاح والقتال فقال :

هذي البلاد أغرسوا فيها مودتكم ثم اقطفوا من جناها ودنا ثمرها
نكن لكم حلف صدق في سياستكم نمشي الى الموت من جرائها زمرا
لسنا نقوم اذا ما عاهدوا نكثوا ولو جرى الدم حتى اشبه النهر^(١٣)

وقد رثاه كثير من شعراء هذه الفترة مثل محمد هادي الدفتري^(١٤)
واكرم احمد^(١٥) وعبدالرحمن البناء^(١٦) ومحمد بهجة الاثري^(١٧)
ومحمد حبيب العبيدي^(١٨) وكمال نصره^(١٩) وعبدالكريم العلاف^(٢٠)
وناجي القشطيني^(٢١) وخضر القزويني^(٢٢) ومحمود الملاح^(٢٣)
ومحمد مهدي الجواهري^(٢٤) ومحمد علي اليعقوبي^(٢٥) وأحمد حقي الحلبي^(٢٦)
وغيرهم .

(١٣) ديوان الرصافي ص ٣١٤ وقد نشرت القصيدة في جريدة البلاد في العدد
الصادر في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩

- (١٤) جريدة العراق العدد ٢٩٦٩ السنة العاشرة ١٩٣٠
(١٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٥ صدر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٩
(١٦) جريدة النور العدد ١٣٩ صدر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٩
(١٧) جريدة البلاد العدد ٣٠ في كانون الاول ١٩٢٩
(١٨) جريدة البلاد العدد ١٥ كانون الاول ١٩٢٩
(١٩) جريدة البلاد العدد الصادر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٩
(٢٠) جريدة العراق العدد ٢٩٥٧ الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩
(٢١) مخطوطة شعره في مكتبتي الخاصة
(٢٢) شعراء الغري ج ٢ ص ٣٧٢
(٢٣) ذكرى السعدون ص ١٢٢
(٢٤) ذكرى السعدون ص ١١٥ ، ١١٩
(٢٥) ذكرى السعدون ص ١٢٩
(٢٦) ذكرى السعدون ص ١٣٥ وأخبرني الشاعر بانه نظم قصيدة اخرى .

وقد بدا موقف الزهاوي قلقا حائرا فقد ساهم الشعراء في تأيبن السعدون .
أبقى دون أن ينظم شيئا وأشد ما يخشاه أن يطعن في ولائه للوطن ولا يريد أن
يعيد ما قيل عنه وما يقال أم ينظم ويطعن الانكليز ولا تزال القوى بيدهم والحوار
ملك يمينهم أراد أن يشارك الشعراء كيلا يقال نضبت قريحة الزهاوي وهو
الذي يجب أن يذكر اسمه ويمجد ويقرضه النقاد^(٢٧) . نظم قصيدة واستبعد
مهاجمة الانكليز ، وكان حذرا فآثر أن يسلك اسلم طريق فنظم الوصية وحاول
أن يرسم صورة صادقة مكبرة لها وبذلك يتخلص من مهاجمة الانكليز صراحة
ويرضي الوطنيين ، قال :

ماذا تفيد سلامتي من شرها	اذ كان منه موطني لايسلم
الشعب ذو حرص على استقلاله	لايرضى أحدا سواه يحكم
الشعب يطلب أن أقوم بحقه	والانكليز على التقاضي يرغم
للشعب ابرم ما أراه صالحا	والانكليز يحل ما أنا أبرم
للانكليز في الانتداب سياسة	أما السياسة فهي ليست ترحم ^(٢٨)

وكان علي الشرقي من أقرب الناس اليه واشدهم حسرة على موته حتى
ألف كتابا عنه وعن آل سعدون فانه لم يتهم الانكليز في قتله مع أن السعدون
قال صراحة في وصيته انهم السبب في انتحاره بل لم أجد له قصيدة في تأيبن
السعدون اللهم الا قصيدة واحدة نظمها بمناسبة نصب تمثاله^(٢٩) كانت موحدة
الموضوع لم تخرج عن السعدون نفسه وان حمدنا له هذه الوحدة في المعنى نراه
لم يستغل الفرصة ليؤلب الشعب على المستعمر الجاثم على صدر العراق .

اما الجواهري فقد نظم قصيدتين لام فيهما الشعب وقرعه
كما لام الساسة في الاولى وفي القصيدة الثانية صب جام سخطه على

(٢٧) حدثني احد معاصري الزهاوي ومن المتصلين في جريدة العراق وأظنه
الاستاذ رفائيل بطي ان الزهاوي كان يأتي الى الجريدة ويكتب امام اسمه
الاستاذ الكبير الفيلسوف الى غير ذلك من الالقاب والنعوت

(٢٨) البلاد العدد الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩ وقد نشر في ديوانه
(الاوشال) المطبوع في بغداد ١٩٣٤ ص ٤٤ وله قصيدة اخرى في ص ٤٥

(٢٩) ديوان علي الشرقي ص ٢٠٧

النواب الذين كانوا خشبا مسندة وكان رثاء عبدالمحسن رثاءا عاما لم يأت بجديد فيه ، ووصف وجوم الشعب حول قبره وسماء (ضريح امة يعرب) الذي يبركع عليه التاريخ والجيل (والنخوة والعروبة والشهامة والصرافة) وان (نكله نكل العروبة) وخص الملك فيصل وتوجهه بابيات ومن ثم توجهه الى المعارضين بقوله :

يسألون باي عذر تختفي ؟ من شعبنا وبأي وجه نطلب
واسترجعوا احكامهم مرفوضة ناس بحكمهم عليك تسرعوا

ثم طالبهم بالانتحار ان كانوا مخلصين لبلادهم ليطمئن الشعب اليهم :

قولوا لاشباه الرجال تصنعا الا تكونوا مثله فتقنموا
لاتبرمونا بالتشدد ، شعبكم بسوى انتحاركم له لايقنع
سلفا يقوم بالدم استقلاله فاذا صدقتم بادعاء فادفعوا

وسخر من مجلس النواب وطالب ان تكون محاكمة الخصم بريئة عادلة ليفصح له المجال في الدفاع عن نفسه ولا يضغط على حريته فقال :

لتكن محاكمة الخصوم بريئة في قاعكم وليحسن استجواب
تأبى المروءة ان يقدر خائن أو ان يطول على البريء حساب

ويضعف الجواهري ويلين حينما يريد من الشعب العراقي ان يتروى في قصده ولا يتهور مستعجلا فيقول :

اوحى الزعيم الى الجزيرة كلها ان ليس يدرك بالكلام طلاب
يا هذه الامم الضعاف ترويا لاتنهضي صعدا وانت زغاب
لاتقطعي سببا ولا تهووري نزقا اذا لم تكمل الاسباب
لاتدن من ظفر القوي ونابه ان لم يكن ظفر لديك وناب

لان محاربة الخصوم في غير اوقاتها معناه الخسارة فيجب ان يستعد الشعب فقال :

واذا عتبت على القوي فلا يكن الا باطراف الحراب عتاب (٣٠)

وقد اغتتم محمود الملاح انتحار السعدون فجال جولة سريعة ذكر فيها
فوادح البلاد العربية المتتالية في فلسطين وسوريا ومصر والمغرب ، اذ تن العروبة
من هذه المصائب المتوالية وكأن الشرق براكين هذه المصائب ثم ينظر نظرة الامل
الباسم فيقول :

سينتبه النوام من غفلاتهم قياما فلا يبقى على الارض هاجع
ثم يتطرق الى نكبة العراق وما اصابه ويهاجم الذين عارضوا السعدون في
سياسته واضطروه الى الانتحار ، يقول :

اراد اناس ان يجاروه في العلا وكيف يجاري الجون صفراء فافع^(٣١)
ضحية قوم مادروا كنه فضله ولا عرفوا سر الذي هو شائع
ورب كريم ضاع بين معاشر كعقد نفيس فهو في الفحم ضائع

ويتحدى اولئك الذين انتحلوا الوطنية بالانتحار ، والملاح مسلم متدين
يعرف جيدا ان الانتحار اثم لا يرضاه الشرع لذلك استرجع فقال :

فمن يتحل من بعد ذا وطنية ولا ينتحر فهو الكذوب المخادع
وليس مرامي ان تضحي خلائق ولكن مرامي ان تضحي المنافع
قياس صحيح لا ينافيه منطق وان خالفني في القياس المنازع

ويطلب من الشعب العربي أن يتحمل كل جفوة حتى يتم له الامر ويصبح
قويا :

فياشعب قحطان احتمل كل جفوة الى ان تماشي جانبيك المدافع
وحتى ترى في ساحتيك فيالق ينادون لا استقلال الا المعامع

ويريد الملاح ان يسمع رمزي مكدونلد رد فعل المصاب الذي حل بالعراق
فيقول :

دوت طلقة ليلا باآفاق دجلة فيا (مكدونلد) هل لها انت سامع؟
تعملل منها راكد وتحركت شجون وهاجت بالنيام المضاجع

وطلقة نار في مخارم شاهق سيلقى صداها شاسع ثم شاسع
رأيت رخيصة كل ما العرب قدموا وهذا دم غال فهل انت قانع

وفي القصيدة الثفانة سريعة الى ما حل بالعراق من انتهازية فأثرى فيها
الانتهازي والاجنبي ، اما ابناء البلاد الذين يتعففون عن الاثراء العاجل فقد اصابهم
الطوى فقال :

تأثل ملكا فوقها كل ناكث وصار له فيها قرى ومزارع
وأثرى باموال البلاد اجانب ومات مدينا ربهن المدافع^(٣٢)

ولم يكن انتحار السعدون عائقا عن انجاز ما صممت عليه الحكومة البريطانية
ووافق عليه الساسة في العراق اذ سارت المعاهدة في طريقها وعقدت في ١٦ من
تشرين الاول سنة ١٩٣٠م وبعدها ادخل العراق في عصبة الامم عضوا مستقلا .
وقد اقامت الحكومة العراقية مهرجانات رسمية خرجت فيها المدارس تشدد
ان العراق أصبح مستقلا وأذكر ونحن طلاب في المدرسة الابتدائية ان خرجنا
وطفنا في المدينة نشدد نشيدا منه :

بمثل اليوم يا عرب دعاء المجد قد وثبوا
خيولا فوقها وثبوا فقالوا منه ما رغبوا
غير ان النبأ لم يهز شعور الشعراء في العراق اذ لم اعثر على شاعر نظم في هذه
المناسبة غير حسين بستانه قال فيها :

بغداد وافتك البشائر فابسمي وترنحي مسرورة وترنمي
ولتلبسي للمهرجان مطارفا ولتخلعي ثوب الحداد الاسحم^(٣٣)

وبعد دخول العراق عصبة الامم ساد العراق هدوء سياسي نسبي فقد حل
محل النظام القديم نظام جديد حاول السيطرة على العراق سيطرة تامة بكل
الوسائل لكي يخلق له وحدة اقليمية جديدة . وحدثت بعض الثورات الداخلية
والرجات مثل ثورات العشائر في الشمال والجنوب وثورة الآثوريين غير ان الحكومات

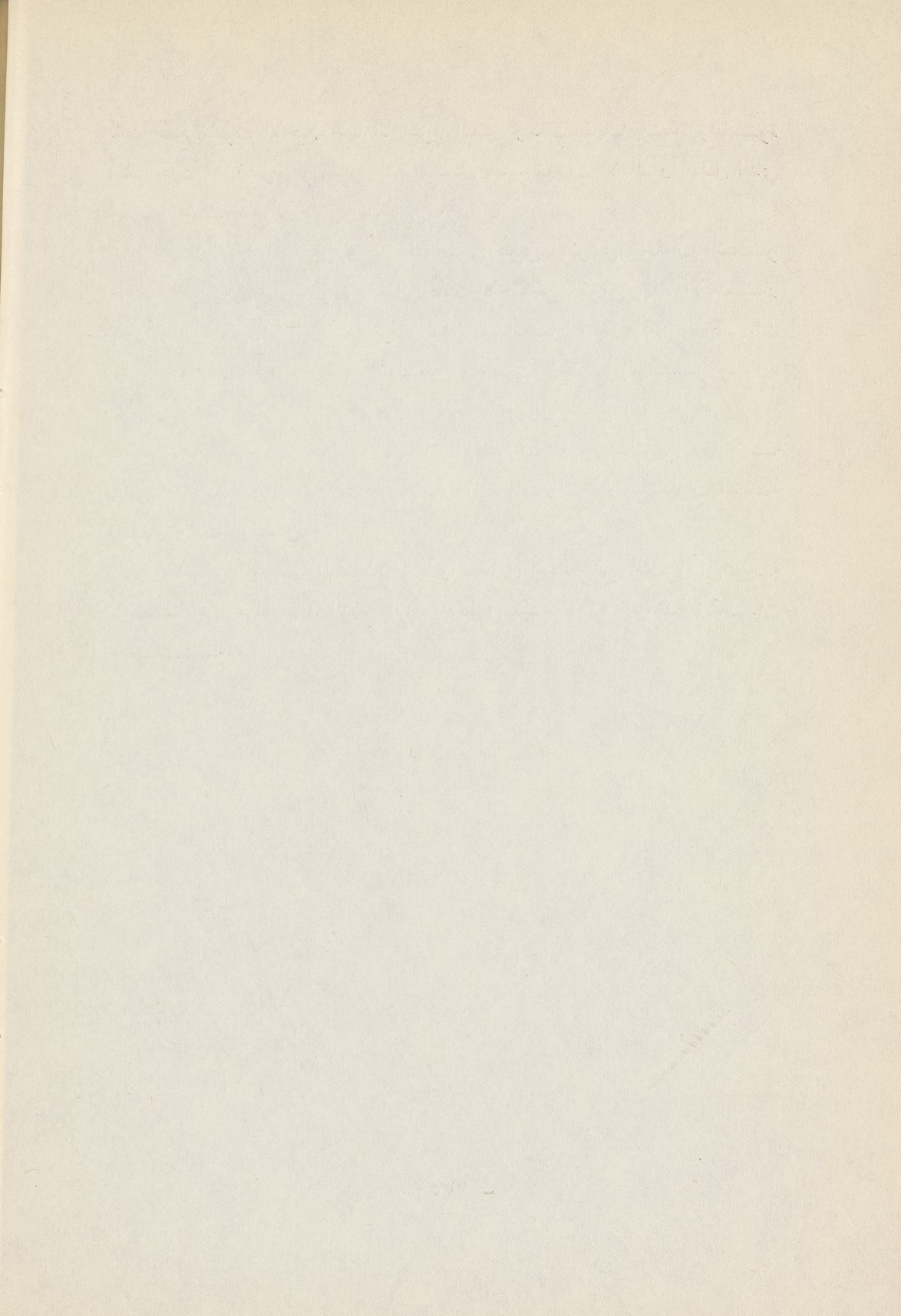
(٣٢) ذكرى السعدون ص ١٢٢

(٣٣) جريدة العراق العدد ٣٨١٠ السنة الثالثة عشرة ١٩٣٣م

كانت تمنع تسرب الاخبار عنها الا النزر اليسير وكانت تقابلها بالشدة والقسوة
لذلك خلت هذ الفترة من شعر منشور يمثل هذه الثورات الا النزر القليل الذي
لا يمكننا اعتباره ظاهرة جديرة بالدرس •

غير ان الاحداث العربية كان لها صدى عميق الاثر في اتجاهات الشعر
العراقي جديرة بالدراسة فهي تمثل جانب الاحساس القومي بهذه الاقطار
وقد كانت الاستجابة لمشكلات العرب اعمق من الاستجابة لغيرها من الاحداث
فنحن نجد آثارا ظاهرة واضحة لفلسطين وتونس والجزائر ومصر وسوريا
والاردن وعدن اكثر من غيرها • ومع ذلك فلم يخل الشعر العراقي من روح
انسانية عالية فقد كانت حوادث الاستقلال والثورات على المستعمرين تجد لها
صدى فقد استجاب للمشكلات الاسلامية والمشكلات الشرقية والمشكلات العالمية
كاليونان والهند والصين •

والاستقرار النسبي العام كان سببا واضحا في اتجاه بعض الشعراء الى الوجهة
الاجتماعية • وبذلك نجد الشعر التزم جانبا في صميم حياته الداخلية الاحداث
الاجتماعية •



الفصل الخامس

اثر الحياة الاجتماعية في الشعر

- ١ - مشكلات الحياة الاجتماعية
التعليم ، الطب ، بؤادر الاصلاح في العهد العثماني ،
سبب التأخر الاجتماعي في رأي الشعراء
- ٢ - مشكلة المرأة
السفور ، الحجاب ، التعليم ، حقوق المرأة ،
- ٣ - الفلاح والاقطاع
الفقر ، والمرض ، والجهل ، الدخل ، السكن ، الاقطاع
التعليم معالجة مشكلاته
- ٤ - مشكلة الجهل
في ادوار الحكم ، نسبة التعليم معالجة الشعراء
- ٥ - مشكلة الفقر
اثرها في المدن ، اثر الدين الاسلامي في معالجتها

THE HISTORY OF THE

- 1. The first part of the history is the history of the world from the beginning of the world to the present time.
- 2. The second part of the history is the history of the world from the present time to the end of the world.
- 3. The third part of the history is the history of the world from the end of the world to the beginning of the world.
- 4. The fourth part of the history is the history of the world from the beginning of the world to the end of the world.
- 5. The fifth part of the history is the history of the world from the end of the world to the beginning of the world.
- 6. The sixth part of the history is the history of the world from the beginning of the world to the end of the world.
- 7. The seventh part of the history is the history of the world from the end of the world to the beginning of the world.
- 8. The eighth part of the history is the history of the world from the beginning of the world to the end of the world.
- 9. The ninth part of the history is the history of the world from the end of the world to the beginning of the world.
- 10. The tenth part of the history is the history of the world from the beginning of the world to the end of the world.

مشكلات الحياة الاجتماعية

(١)

لاحظنا من الفصول المتقدمة اثر الحياة السياسية في الشعر ، وكيف استحوذت مشكلاتها على جزء كبير من تفكير الناس ، وشغلتهم عن معالجة المشكلات الاجتماعية . ومع هذا فقد كان هناك من يحس بضرورة اصلاح الحياة الاجتماعية وينعى على الناس هذا الاستغراق في السياسة والانصراف عن المجتمع ، فقد كتب الشيخ علي الشرقي ، يصف هذه الحالة بمقال منه (. . فلا نرى في الامة الا سياسيا وسياسة حتى كأن الجمهور العراقي كله طائفة سياسية ، فالسياسة في الجوامع والمخادع والمقاهي والاسواق والطرق والمدارس وغرف المحاماة والشركات العسكرية . فالبحال والفلاح ورجال العلم ورجال الدين والمحامون والضباط ورجال المال والحوزية وسواق السيارات كلهم ، سياسيون ، وكل العراق موجات سياسية وقد عمّ الطوفان السياسي حتى حانوت الخباز . . (١)) لان مشكلات الحياة السياسية كانت أشد بروزا للعيان ، وأكثر تماسا بحياة الشعب بعد الاحتلال الانكليزي ، فقد أثرت تأثيرا كبيرا في حياته اليومية في رزقه وعواطفه ومشاعره . وهدد الطمأنينة في نفسه فقد شعر ان كرامته قد هدرت ، وامانيه العزيزة قد جرحت ، فهو عرضة للسجن والنفي والتشريد ، والتعذيب ، دون ان يعرف سببا لما ينزل به . فالمحتل بعيد عنه في الدين واللغة والتاريخ والتقاليد ، وكان هذا المحتل قويا ضاريا تؤثر قواه المادية والمعنوية في حياته ، وتسيطر عليها ، فيجب ان يكرس جزءا كبيرا من نضاله ليعيد الهدوء

الى قلبه ، والامان والحرية والدعة لوطنه ، ويتخلص من الجنود الذين
يسرحون على ارضه ، والطائرات التي تثر في سمائه ، ومن موظفيه الذين
يتحكمون في مصيره وحياته ، فاتجاه الشعب نحو السياسة كان ضرورة حتمية
للتخلص من المستعمر ، الذي يقف حائلا دون اي اصلاح جذري . . فلا غرو
ان 'عزي كل تأخر للمستعمر . . ومشكلات العراق الاجتماعية لاختلفت عن
مشكلات البلدان المتأخرة الاخرى فهي الفقر ، والمرض ، والجهل ، ومشكلة
الاقطاع والفلاح ، والمرأة ، ولا تزال هذه المشكلات قائمة حتى الان ، برغم ما
بدل في اصلاح بعضها ، ولكنها لم تصل الى ما يهدف اليه العالم الاجتماعي بعد ،
فقد كان لتوالي الغزوات على العراق اثر كبير عميق الاثر في تأخر العراق
الاجتماعي . فالمستعمر تركيا كان ام فارسيا ام انكليزيا لم يكن يهمه غير
استمرار حكمه فلم يعن بمشكلات البلد الداخلية ففي القرن التاسع عشر لم يكن في
العراق غير مستشفى واحد ، ومن الطريف ان تكون مؤهلات مدير المستشفى
البراعة في لعب الشطرنج ، فهو لاعب شطرنج ماهر لم يكن الوالي بقادر على
الاستغناء عنه فأعطاه هذا العمل ليكون الى جانبه . وقد بقيت حالة العراق متأخرة
حتى بعد الحرب العظمى الاولى فقد بدىء بانشاء اول مستشفى ، عام ١٩٢٨^(٢)
وبقيت اكرية الشعب فترة طويلة تحت سيطرة المشعوذين والدجالين من محترفي
الطب ، وغالبا ما تؤدي معالجتهم الى عمى العيون ، وجلد الابدان وموت المريض
يضاف الى ذلك كله ما يصفه بعض الشيوخ من ذوي الطرق الذين يداوون
المريض بالادعية والطلاسم والبصق في الماء^(٣) ولما انتشر الوعي الطبي اخذت
المستشفيات تنتشر في ربوع العراق حتى بلغت ٨٩ مستشفى^(٤) . وقد بقيت حالة
التعليم متأخرة في العهد التركي ولم تؤثر دعوات الاصلاح لانها كانت محدودة

(٢) مجلة عالم الغد العدد ٧ السنة الاولى مقال للدكتور معمر خالد الشايبندر

(٣) لا تزال هذه المداواة لدى كثير من ابناء الشعب في القرى والارياف وهناك
من يثق بالطب القديم حتى في المدن وبين المثقفين . وقد قتل أحد الشيوخ
في لواء ديالى قبل سنوات احد المرضى بالاعصاب لاستخراج الروح الشريرة
من بدنه فأدى ذلك الى سجنه .

(٤) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي سنة ١٩٥٢ بغداد ١٩٥٥ ص ٣٦

الانثر ويساير اصلاح الفساد الاداري والخلقي ، وتحت ستار الدين الاسلامي خوفا من أذى الوالي الذي يعد النصيحة انتقاصا لكرامته حتى جاء دستور ١٩٠٨ فارتفعت اصوات الناس عالية تطالب بالاصلاح ، وتجرات بعض الجرائد على السخرية من المرتشين والمستغلين^(٥) . واخذت بعض الجرائد تنشر بعض الرسائل المفتوحة تشكو ماحل بالبلاد من تأخر شمل جميع نواحيها^(٦) . وقد كان لتدفق جرائد سورية ومصر وتركيا ، وما تحمل في طياتها من انباء التقدم والازدهار أثر في يقظة الفكر وازدهاره .

وعندما فتح الانكليز بغداد نشطت سياسة التعليم بتأسيس دائرة المعارف فقد وصل عدد المدارس في نيسان عام ١٩٢٠ الى تسعين مدرسة^(٧) . وازداد نشاط فتح المدارس عندما تولى العراقيون الاشراف على سياسة المعارف حتى بلغ عدد المدارس التابعة لوزارة المعارف عام (١٩٥٣-١٩٥٤) مايلي :

نوع الدراسة	العدد
-------------	-------

المدارس الابتدائية على اختلاف انواعها	١٤٥١
المدارس الثانوية والمهنية	١٤٣ ^(٨)

واذا قورن هذا العدد بمساحة العراق ، وبعدد نفوسه ، فهو عدد ضئيل .
 ثم ان اكثرية هذا المدارس مركزة في المدن ، اما القرى والارياف فهي محرومة من التعليم ، ففي العراق ١٦٠٨ مدرسة تابعة لوزارة المعارف من مختلف درجاتها ولا يوجد في القرى التي تحوي اكثرية السكان غير ٥٧٤ مدرسة^(٩) ولم ترتفع نسبة التعليم في العراق عن ٨٪ (سنة ١٩٤٩) وكانت اعلى نسبة للتعليم

(٥) يلاحظ الفصل الاول

(٦) جريدة الرقيب العدد ١١٤ السنة الاولى

(٧)

Henry A. Foster, The Making of Modern Iraq (London 1936) P. P. 15,20.

ولكن تقرير وزارة المعارف ينص على وجود ٨٨ مدرسة

(٨) التقرير السنوي ص ٧

(٩) المصدر السابق

في لواء بغداد قد وصلت الى ١٨٪ وهو اللواء الوحيد الذي حصل على هذه النسبة المئوية . وقد تدنت في بعض الاولوية الى ٣٪ والاحصاء التالي يعطينا فكرة عامة عن التعليم في العراق عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ :

نوع الدراسة	عدد المدارس	عدد الطلاب
الذكور الاناث المختلط المجموع		
الدراسة الابتدائية الرسمية	١٠٩٤ ٢٥٦ ١٠١ ١٤٥١	٢٥٨٣٣٣
الدراسة الابتدائية الاهلية	٠٠٣٥ ٠٠٣ ٠٩٣	٠٢٠٢٦١
الدراسة الابتدائية الاجنبية	٠٠٠٥ ٠٠٠ ٠٠٥	٠٠١٧٨٤
المجموع	١١٣٤ ٦٢٩ ١٤٦ ١٥٤٩	٢٨٠٣٧٨
الثانوية على اختلاف انواعها	٠١٤٧ ٥٠ — ١٩٧	٠٤٦٤٦٣
المدارس المهنية على اختلاف انواعها	٠٠٠٨ ٠٢ ١ ٠١١	١٨٧٤
دور المعلمين	٢ ١ — ٣	٨٦٣
المعاهد العالية	٣ ١ ٨ ١٢	٥٢٥٥
المجموع العام لجميع المدارس والدورات	١٢٩٧ ٣٢٥ ١٥٨ ١٧٨٠	٣٣٥٧١٤ ^(١)

وقد أيقظ فتح الانكليز بمظاهره المادية الفكر العراقي برؤيته مستوى عاليا من الحياة لم يره عند جنود الدولة العثمانية كالنظافة والاناقة وكفاية في المال . وكانت مجالا واسعا للمقارنة بين الجيشين وتمنى المثقفون ان ترتفع حالة الشعب المادية وان ينتبه على صوت سنابك خيل المحتل ووطء احذيته على ارض الوطن . .

اما الادب فقد تغير مجراه العام ورافده الذي كان يتسرب فيه ، فابتعد عن خدمة السلطان والوالي والحكومة واتجه للشعب وخدمته ، واصبحت للشعب منزلة محترمة وبدأ الشعراء وقادة الرأي في معالجة مشكلاته الاجتماعية

(١٠) التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣ - ١٩٥٤ بغداد ١٩٥٥ ص ٦

والسياسية لرفع شأنه وخلق شعب قوي صحيح غني مثقف • وقد كانت هذه المشكلات الاجتماعية متشابكة مع المشكلات السياسية • وكان الشعب جاهلاً مريضاً فقيراً • والشعب الضعيف المتأخر ، المتخاذل لا يقدر على اصلاح نفسه لان قوة الشعب تأتي من قوة افراده ومتى قدر الضعيف الواهن على المقاومة والنضال لاستخلاص حقه •• والمؤلم ان هذا الشعب يملك ارضا تفيض بالخيرات خصبة تتدفق فيها الانهار وتضيق خيراتہ ويذهب مأؤه عبثاً •• لان المستعمر الدخيل حال دون استغلال هذه الثروات • قال الصافي النجفي مستكراً ذلك بقوله :

للمفرات يسيل عذبا سائغا	عجبا ، وورد بنى الفرات أجاج
الفقر احرق في بنيه وانما	ماء الفرات العسجد الوهاج
جاءته (حوت البحر) ظامئة له	أو ما كفها بحرها العجاج
قد شب فيها نفطنا نارا فهل	يطفي لظاها مأوها الثجج
والنقط يجري في العراق ومالنا	ليلا سوى ضوء النجوم سراج

ويتهمكم على الاستعمار الذي كبل الشعب ويقول انه مطلق السراح يفعل ما يشاء بحرية تامة بينما هيمنت رقابته على كل صغيرة وكبيرة ليسيره حسب ما يريد ويهوى :

قد اقلوه من القيود بمرهق	واحاط فيه من العداة سياج
زعموه مختارا وقد وضعت له	تحت الصوارم والمدى اوداج
ايكون ذا رشد بعقد عقودهم	وبغير ذاك لقيم يحتاج ؟
نم الخداع بما تكن صدورهم	ان الخداع لدى اللبيب زجاج
اسروا العراق وكم فدينا انفسا	عنه ، فهل لأسيرنا افراج ؟

ويبعث الامل في نفس الشعب ، ويدله على الطريق السوي في سبيل حقه بالمطالبة المدخفة وبالشجاعة والاقدام ويضرب له الامثلة من عبر الايام التي حطمت العروش وسحقت التيجان لان الشعب لم يكن ركيزتها فقال :

لا تياسن من الدجاج فانما	سبل الحياة شجاعة ولجاج
لاتياسوا فالحادثات بمرصد	ولكم هوى عرش و'حطم' تاج

وكان التأخر والانحطاط مهيمنين على ربوع الراق وليس هناك من يصلحه
 لان المتحكمين في مصير الشعب هم الدخلاء والانتهازيون وخشى الشعراء ان
 يصرحوا بذلك خوف اذى السلطان ومكره ، وبطش القوة وقساوتها فانصرفوا
 الى تفرغ الشعب الذي تحمل الذل صابراً ومائماً واسترد حقه ، واصلاح امره بقوته .
 فعندما جاء امين الريحاني الى بغداد عام ١٩٢٢ ، كان الامل يملأ قلبه من ذكريات
 بغداد في عهدها الذهبي الزاهر ايام كانت مشرق الامل للعالم في الحضارة
 والرقى والتقدم وقد صدمه واقعا المريع الحاضر فنظم الرصافي قصيدة يرحب
 به ويعتذر اليه عما حاق بوطنه فقال :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى	ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفوا .. فذاك النجم اصبح آفلا	والقوم محتربون بعد افوله
اما الحيا فذايك الحيا	لكل مسيل الماء غير مسيله
وربعه ذاك الربيع وان شكا	من جهل ساكنه اشتداد محوله

وكانت نفس الرصافي تفيض حسرة وهو يعدد مصائب العراق التي تدمي
 القلوب اسى وتملاً القلوب لوعة فقد اصبح القطر الذي كان يدوي صيته ويزهو
 برفيه وحضارته وعماراته في مباءة للاختلاف والتنازع ووكرا للتناذب والتناحر
 والبغضاء والشقاق . فالجار يخشى من جاره ، والصديق يشك في اعز اصدقائه
 واهليه ، فقد اختلف ابناء الوطن الواحد واصبحوا كتلا وجماعات فالنصراني
 يشك في سلامة نية المسلم ، والمسلم لا يطمئن للنصراني ، وقد بلغت الفوضى حدا
 لم يبلغه قطر من اقطار المعمورة فقد انتهكت حرمة العلماء والاساتذة ولم تبق
 لهم كرامة او قيمة وخشى العلماء الافذاذ واصحاب الرأي فيه ابداء آرائهم لفساد الاحوال
 وتدنيها كيلا يتهموهم بالمروق والكفر وبالخروج عن تعاليم الدين .. انه لوضع
 مؤلم وآلم منه الاعتراف به .. لكن مما يخفف عن النفس احزانها وعن النفس
 شجونها وشجوها ومن القلب لوعته واساه أن يسجل الشاعر ما يحتبس في
 صدره ويجد تعليلا لهذا الامر كله يقدمه للريحاني ، هو ان العراق لا يتصرف
 حسب اهواء ابنائه ورغباتهم ، انما هي توصيات العميل المستوردة وشعب هيمن

عليه المستعمر لن ينال الخير والرفاهية فقال :

من اين يرجى للعراق تقدم وسيل ممتلكيه غير سبيله
لاخير في وطن يكون السيف عن د جباهه ، والمال عند بخيله
والرأي عند طريده ، والعلم عن د غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلما ، وذل كثيره لقليله^(١٢)

وقد كانت آراء الرصافي سائدة بين شعراء هذه الفترة مثل عبدالحسين الملا^(١٣) وعلي الشيرقي^(١٤) وصالح الجعفري^(١٥) وعبدالحسين الازري^(١٦) ومهدي الجواهري^(١٧) فكلهم يرجع سبب تأخر العراق الى المستعمر الذي رتع بخيرات الوطن ، وتصرف بجميع مقدراته دون ان يحس بمايعانيه ابناءؤه من الشقاء ، فقال كمال نصره بصراحة تامة يصف فوز الاجنبي وتنعمه بالعراق :

بلادي بها فاز الغريب بقصده فما خاته جد ولا عز مطلب
له راتب ضخم وعيش مرفه وامر مطاع واحتكام ومنصب
وان له عند الحكومة حرمة وقدرا تسامي وهو منها مقرب
أفي الحق ان نشقى ويسعد غيرنا ويغصب منها الحق والرزق يسلب^(١٨)

وصور علي الخطيب آلام الشعب العميقة تحت وطأة الدلاء والمستعمرين الذين اكتسحوا ارضه ونعموا بخيراته دون ان يصلحوا من امره ويرفعوا من مستواه عندما اختلطوا به ، وهز قلبه اينه وبلواه فقال :

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤١٥-٤١٧ . سمعت ان الملك فيصل لما سمع (والحكم عند دخيله) ترك محل الاحتفال احتجاجا
(١٣) جريدة النهضة العراقية العدد ١١٦ و١٢٦ السنة الاولى والعدد ٢٨٢ السنة الثانية من سنة ١٩٢٨

(١٤) المصدر السابق العدد ١٤ السنة الاولى ١٩٢٧
(١٥) النجف العدد ٤ و٧٥ السنة الثانية سنة ١٩٢٧
(١٦) جريدة النهضة العراقية ١٩٢٨/١/٩٧ والزمان ١٩٢٨/١/٣٩
(١٧) المصدر السابق العدد ٢٦٠/١/٩٢٨ وجريدة المفيد العدد ٢٥٧/٢/١٩٢٤
(١٨) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٨٢ السنة الثانية ١٩٢٨

فخالط الشعب واسمع ما يئن به وافصح مجالك للمظلوم بالكلم^(١٩)

واقى بعض الشعراء تبعة تأخر العراق على ابناء الشعب ، الذين شاركوا
المستعمر في حكمه فقال (ميمون بن قيس) - ولعله خيرى الهنداوي - يخاطب
الوطن :

حتى بنوك مع الدخيل عليك متحدي الايادي

ويصم ابناء الوطن بالخور والضعف ، لانهم لم يقاوموا المستعمر واذناب
المستعمر الذين عميت قلوبهم عن مصالح وطنهم ، ونفذوا رغبات الدخيل دون
تفكير ، فهم المسؤولون عن كل ما حل بالبلاد من فساد وفوضى ، فقال :
هم علة الوطن العزيز وهم جرائم الفساد^(٢٠)

وقد أكد هذا المعنى محمود الملاح في شعره ، ومن طريف شعره بيت
قال فيه :

الخير في هذي البلاد مقسم بين المسائر من (سمث) و(كوك)

ويرجوك الشاعر ان تتلمس الواقع بنفسك في الاسواق بالاحتكاك بابناء الشعب
وتسقط حالته الاقتصادية والعلمية .. وما وصلت اليه من التدني والتأخر فيقول :

انزل الى الاسواق تلق متاجرا اربابها في رثة الصعلوك
العامل المسكين يبذل جهده ويعيش عيش البائس المنهوك
والعلم في اوطاننا متقهقر مغمورة ارجاؤه بالنوك^(٢١)

اما مصطفى جواد فقد حار في امره واندesh من تصرفات الدخيل الذي

(١٩) جريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(٢٠) مجلة المعرض العدد المزدوج ٩ و ١٠ السنة الثانية ١٩٢٧

(٢١) جريدة البلاد العدد ١١٠ / السنة الاولى / ١٩٣٠ وجريدة النهضة العراقية

العدد ٢٩٧ السنة الثانية ١٩٢٩ له قصيدة اخرى

(٢٢) جريدة النهضة العراقية العدد ١٣١ السنة الاولى ١٩٢٨ وله قصيدة في

العدد ٦٨ من السنة نفسها .

ظن نفسه صاحب الدار ولم يرع لرب البيت حرمة • فقد تتمم بالخيرات وترك الفضلات لاصحاب النعم الذين هم احق بها منه ولم ير سيلا الى التخلص منه بغير الطرد والضرب والصفق فقال :

فاعجب بضيف صار للدار صاحباً وتعسا له قد باء بالطرد والصفق (٢٢)

وقد وجه الصافي التجفي لومه للشعب لانه هو الذى خلق الحكومات ولو كان الشعب عادلا لما جاءت الا حكومة عادلة ترحمه وترأف به • ولكن متى كان الشعب ظالما كانت الحكومات التي تحكمه ظالمة مثله فقال :

دافع الشعب بالحكومة ان يظلمك وادفع بالشعب ظلم الحكومة واحذر الكل فالحكومة بنت الشد عب خلقا والشعب ام ظلومة

ثم يعزو تكوين الحكومات الظالمة الى ظلم الشعب وعدم نضجه فيقول :
ان ظلم الشعوب سوى الحكومات واشى لنا الطقوس القديمة
فنى الشعب للحكومة لا يحى تاج لو كان ذا قلوب وحيمة
فالحكومات مثل اشواك سم انبتتها ارض الشعوب الوخيمة

ونصح الشعب باصلاح خلقه حتى يمكن ان تلغى الحكومات فقال :
اصلحوا خلقكم لتلغى الحكوما توعيشوا ذوي قلوب سليمة (٢٣)

وهذه القاعدة صحيحة متى كان الشعب قادرا على ان ينتخب حكومته من صميم ابنائه اما الحكومات العراقية فلم تكن تختار الا بارشاد من حكومة بريطانيا وليس للشعب اى رأي في اختيارها •• ولكن يأسه من اصلاح الحالة العامة دفعه لالقاء اللوم على الشعب •• بعد ان رأى عدم عناية الحكومة الحاكمة باموره وعدم ثورة الشعب على الحكومة الظالمة الاجنبية •

مشكلة المرأة

(٢)

من الفترات الحالكة التي مرت بها المرأة في العراق هي فترة القرن التاسع عشر^(١) واولئل القرن العشرين فقد كانت محجبة لايسمح لها بالخروج من الدار الا في النهار وتحت مراقبة شديدة ، وقلما كنا نرى امرأة مسلمة تمر في السوق بل ان مجرد سماع العراقيين ذلك يهز اعصابهم ويخيفهم^(٢) واذا ارادت الخروج كانت تسدل عليها العباءة السوداء او العباءتين وتبرقع ببرقع اسود لا يرى منه شيء وعليها ان تمر في الدروب الضيقة والازقة المتعرجة وتتجنب المحلات العامة والمقاهي واذا لم يكن غير طريق واحد كانت امهاتنا يطلبن الينا ان نسبقهن الى المحل الذي سنزوره كيلا يعرف الرجال من مصاحبتنا لهن هويتهم وقد يبلغ التعصب بالرجل ان يمنع زوجه الخروج من البيت لاي سبب وقد سمعت احد الشيوخ قبل سنوات يتحدث مفاخرا بان زوجته لم تر عتبة الباب وخير وصف لحالتهن قول محمد بسيم الذويب :

ظلموك ، سجنوك زوجوك شر زوج في الوجـود
قائلا زوجي لا تخـرج الا يوم تدعوها اللـحـود^(٣)
ولايزال بعض الرجال يخجل من ذكر اسم الام او الزوجة او الاخت

(١) الشعر العراقي في القرن التاسع ص ٢٤

(٢)

Foster, H., The Making of Modern Iraq (London 1938) P. 217.

(٣) مجموعة خطية بقلم الشاعر في مكتبتي الخاصة ويلاحظ ديوان الزهاوي ص ٢١٦

امام الغرباء ، ولما انبثق القرن العشرون ودوى صوت قاسم امين في مصر تردد صدى صوته في العراق ، فقد طالب بوجوب تعليم الفتاة وتخفيف الحجاب او رفعه عنها واعطاءها حقوقها الاجتماعية ، وحريتها الطبيعية مستندا الى تعاليم الدين الاسلامي التي تمنح المرأة مثل هذه الحقوق^(٤) وقد ساعد على نشر هذه الآراء عناية الجرائد المصرية بها والرد عليها ونشر اخبار المؤيدين لها • وكانت هذه الجرائد تصل العراق^(٥) وتؤثر في القراء فكان منهم المستحسن والمهاجم وقد انقسم الرأي كاتقسامه في مصر ، فنادى بعض القوم بوجوب تعليم المرأة واعطاءها حريتها ، واعتبارها انسانا لها ما للرجل من حقوق وواجبات ، وانساح المجال لها لتكون عضوا عاملا لبناء المجتمع في العراق واتخذ الدين الاسلامي وتعاليمه سندا لهذه الآراء وضرب الامثلة الحية من تاريخ العرب • فقد حاربت النساء مع الرسول وظهرن سفارات معه وذقن آلام الاسر والتعذيب كالرجال •

اما الذين كانوا يقفون امام التيار فاكثرهم من رجال الدين الذين يرون في سفور المرأة واختلاطها بالرجال خطرا سيكلف المجتمع مشكلات خطيرة وعدوا السفور مخالفا لتعاليم الدين الاسلامي ، وقالوا بان السفور يقود الناس الى المجون وان اباحة النظر للمرأة سيهدم القيم الاجتماعية ، وقد اتهم دعاة السفور بأنهم دعاة فساد يريدون التمتع بالمرأة دون قيد او شرط وهذه امور لا تقرها التقاليد العربية ، ودعاة السفور كفار ، وذكروا في دفاعهم فوائد الحجاب فهو يصون المرأة من الفجور ويكسر حدة الشهوة الجنسية^(٦) وغير ذلك من الحجج كانت دعوة السفور دعوة جديدة هاجمت معايير المجتمع العراقي التي اصطلاح

(٤) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر للدكتور محمد حسين (القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ص ٢٧٧ خير من كتب في هذا الموضوع ولاحظ الاتجاهات الادبية

تأليف انيس المقدسي ج ٢ ص ٤٨

(٥) كان عدد ما يرد الى العراق اسبوعيا نحو خمسة آلاف نسخة بضمنها الجرائد غير العربية يلاحظ مقال عن الصحافة في جريدة البلاد الصادر في ٢ شباط ١٩٣٥ ومقال عن (اثر الصحافة المصرية) في (دار السلام) العدد

١٩١٨/١/٨

(٦) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى ١٣٢٨ هـ

عليها وارتضاها لذلك كان من الصعب عليه ان يتخلى عنها بسرعة لانها دعوة لم يألفها من قبل ، واهتز لها واضطرب وعاش في دوامة من الحيرة والقلق لانه كان بين نارين : العقل ومتطلبات الواقع من تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وبين التقاليد والتربية الاجتماعية التي ألفتها الفرد . ومشكلة المرأة مشكلة حساسة في المجتمع العراقي الذي يرى أي خدش في كرامتها خدشا لكرامته ولكرامة الاسرة كلها . والاسرة العراقية متماسكة كل التماسك فأى عار يصيب امرأة من الاسرة فهو يصيب الاسرة كلها ، ويمنع المجتمع العراقي المرأة التحدث مع الرجل الغريب فكيف بالخروج معه ومخالطته والعمل معه . لذلك فقد وجدنا حتى الداعين الى السفور أرادوه بشروط كيلا يؤذوا مشاعرهم الاجتماعية التي نشأوا عليها فقد طالبوا بتعليم المرأة ومراقبتها وان يكون سفورها محددا بالوجه متعللين بالخوف من نكسة تصيب المرأة وطالب قسم بتعليم المرأة اولا ثم سفورها حتى تتمكن من المحافظة على نفسها من الرجال .

وقد كان على رأس المناصرين لحركة تحرير المرأة الرصافي والزهاوى فقد نظم الرصافي قصيدته الثائية عام ١٩٠٩ وقد آزرته جريدة الرقيب ومما قالته (ان حالة المرأة في مدينة بغداد حالة يستحي القلم من تحريرها لانه لا يوجد بينهم واحدة من عشرة آلاف من تحسن القراءة ، والسبب الاعظم هو تعصب ساداتنا علماء الدين ضد تعليمهن (٧)) وقد كان لهذه القصيدة اثر كبير في الحياة الاجتماعية العربية فقد تناقلتها الجرائد السورية وبادر بعض الشعراء يرد عليها مفندا آراءها محرما تعليم المرأة لعدم قدرتها على التعلم ولانها ممن

(٧) جريدة الرقيب العدد ٧٤ السنة الاولى ١٩٠٩ العدد الصادر في ٦ (ذي الحجة ١٣٢٧ هـ)

(٨) المصدر السابق

(٩) حدثني المرحوم الاستاذ خيرى الهنداوى ان المرحوم يوسف العطار - من ابرز رجال الدين آنذاك - استغل قصيدة الدفاع عن السفور عندما هجاه الرصافي فذهب الى الملك علي وكان يؤثر رجال الدين واقنعه بكفـ الرصافي وطلب اليه معاقبته بقطع راتب قدره ٥٠٠ روبية كان يتقاضاه بتأثير اخيه الملك فيصل بعد ان اقسم عليه بقطعه

سقط المتاع^(٨) وقد استمرت هذه الدعوة طويلا ولم تنته . مع ان المرأة قد حصلت على كثير من حقوقها ، وقد جرت بعض المتاعب على الرصافي ، وديوان الرصافي يفتح بمؤازرة المرأة حتى انه افرد لها بابا اسماء (النسائيات) اضافة الى وجود بعض قصائد فيه^(١١) وقد بحث الرصافي جميع مشكلات المرأة الاجتماعية فكان اجتماعيا وخيرا بهذه المشكلات ، ولم يكتف بمشكلة المرأة في العراق ، انما ساهم في البحث عن مشكلتها في الشرق ، فذكر غمط الرجل لحقوقها واحتقاره لها وجهلها الذي جر الى ذل الشرقيين وشقائهم^(١٢) ولما ارسل قصيدته الى صاحبة مجلة (الخدور) شكها لها سوء حالة المرأة في العراق كثيرا وشبه المرأة كالنخلة اذا لم تكن قوية فلن يكون ثمرها يانعا طيبا^(١٣) وبحث في مشكلة حرية الزواج التي اشترطها الدين الاسلامي والتقاليد العربية الاصيلية ولم يمنحها المجتمع لها منذ حبسها عن الرجل ، فمنعها من اختيار شريك حياتها فلا يراها الا ليلة البناء وقد يكون عجوزا اشيب اغرى اسرتها بالمال او بالجاء او كان للأسرة مصالح في هذا الزواج فقال :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم ——— اذ أكرهوك على الزواج بأشياء^(١٤)

والطامة الكبرى ان تمنع حتى من ابداء رأيها بهذا الزواج لان رفض المرأة يعد عارا عليها وعلى أسرتها . وقد تحدثت مع احد ابناء الجيل الذي سبقني بهذا الامر فقال بصلف وكبرياء ، لم تأتأ البنت التي تجرؤ على رفض رغبة اهلها . لذلك هاجم الرصافي هؤلاء وتساءل كيف تحب الزوجة زوجها اذا زفت اليه غصبا ولن يسود الوثام والسعادة بين الاسر الا بافساح المجال امام تعليمها وسفورها حتى تختار من تريد فتملأ بيت الشرقي بالسعادة فقال :

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣٣٢-٣٤٥

(١١) ديوان الرصافي ص ٥٤ و ١٥٦

(١٢) ديوان الرصافي ص ٣٣٢

(١٣) المصدر السابق ص ٣٣٤

(١٤) المصدر نفسه ص ٣٣٦

هل يعلم الشرقي ان حياته تعلو اذا ربى البنات وهذا
وقضى لها بالحق دون تحكم فيها وعلمها العلوم وأدباً^(١٥)

ويتخذ من ظهور كتاب (السفور والحجاب) لآنسة نظيرة زين الدين
سبباً يتحدى به الرجال - الذين يناوئون السفور - ان كان بينهم رجل يحاكي
المؤلفة ذكاء وعلماً وأدباً^(١٦) وهي نموذج رائع على قدرة المرأة المسلمة على
التعلم وعلى الحرية^(١٧) وقد افرد للمرأة المسلمة قصيدة وصف فيها جهلها
وبؤسها مع ان الاسلام يفرض تعليمها • ولعل التأثية هي الجامعة لكل رأي في
سفور المرأة فقد حشد فيها الأدلة والبراهين والشواهد لتأييد رأيه في سفور
المرأة واعتبرها المدرسة الاولى التي يجب ان يعنى بها لينشأ الطفل مهذباً مثقفاً
ويحزنه انحطاط المرأة المسلمة فيخاطب ام المؤمنين عائشة زوج النبي ويشكو
اليها ماحق بالمرأة ، ويرد على المدعين بان الدين الاسلامي منع تعليم المرأة فقال :

وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الاسلام كذباً تزول الشم منه مزلزلات

ويقرع المسلمين الذين لم يلتزموا بتعاليم الدين الاسلامي لانصرافهم عنه
فظنوا ان منع المرأة من حريتها من صلب الدين ولم يقتدوا برسول الله ولا بنسائه
وعناية السيدة عائشة بالعلم فقال :

(١٥) القصيدة نفسها

(١٦) ديوان الرصافي ص ٣٣٤

(١٧) السفور والحجاب محاضرات ومناظرات تأليف الانسة نظيرة زين الدين
بيروت ١٩٢٨ لاحظ الصفحات ١٤٨ و ٢٧٥ و ٢٨٠ بشأن شعراء العراق
وكتابه • وقد اثنى الكاتبة على الرصافي وعلقت على شعره واستحسنته
ص ١٤٨ وقد جاء في الكتاب على حرية السفور وحرية العمل في الاسلام
وناقشت آراء مستحسني الحجاب واستندت الى القرآن والحديث واخبار
العرب وشعر شوقي واسماعيل صبري والرصافي والزهاوي وحافظ واعلام
الاصلاح الديني مثل الافغاني ومحمد عبده وبرهنت على القابلية الكبيرة
في تعاليم الدين الاسلامي على السفور وحرية المرأة وحقوقها •

ليس العلم في الاسلام فرضا على أبنائه وعلى البنات
وكانت أمنا في العلم بحرا تحل لسائلها المشكلات (١٨)

وقال ان تعاليم الدين قد نصت على تعليم المرأة واعطائها حقوقها وفي التاريخ
العربي خير برهان ويشير الى حياة المرأة البدوية الحاضرة ولا يكتفي بذلك
بل يلقي قصيدة يدعو فيها الى رأيه في احد الاحتفالات يندد فيها بجماعة
الحجاب ويهاجم المحافظين والمتعصبين فيقول :

الاما لاهل الشرق في برحاء يعيشون في ذل به وشقاء
لقد حكموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الاقياد للاسراء

وفي القصيدة يقول :

الم ترهم امسوا عبيدا لانهم على الذل شبوا في جحور اماء
اقول لاهل الشرق قول مؤنب وان كان قولي مسخط السفهاء
الا ان داء الشرق من كبرائه فبعداً لهم في الشرق من كبراء (١٩)

ويلاقي الرصافي حملة عنيفة من الحجابيين ويسمونه المارق والتافه الذي
خرق العادات وغير ذلك من النعوت مثل قول ابراهيم الرحيمي :

تجاهلت في كل الامور سفاهة وما انت الا تافه الرأي جاهل
خرقت بنظم الشعر عادتنا التي بها تحمد العقبي وترضى الاوائل (٢٠)

ومن الشعراء المشهورين الذين هاجموا الرصافي ، محمد السماوي ولم
أطلع على قصيدته غير انني وجدت قصيدة لخيري الهنداوي يرد بها على السماوي
الذي قال بان المرأة ناقصة عقل ودين ولايجوز ان تمنح الحرية لانها لانحسن
استعمالها (بنفس البحر والروي) :

(١٨) ديوان الرصافي ص ٣٣٩-٣٤١ وقد القى هذه القصيدة عام ١٩٢٢

(١٩) ديوان الرصافي ص ٣٤٤

(٢٠) الناشئة الجديدة العدد ١٧ السنة الاولى ١٩٢٢

تقول بنقصهن اذا فلم لا تكمل بالعلوم الناقصات
 وهل عدت سكينه حين تبدو وتنتقد الكلام من السراة (٢١)
 وهل عدت صفيه يوم قامت لقتل العلج كالتبرجات (٢٢)

ورد على قصيدته الهمزية عبدالحسين الازري فخطب فيها بنت بغداد
 (كريمة الزوراء) وحذرهما من شاعر خيالي بعيد عن واقع الحياة هو الرصافي ،
 ووقف موقفا وسطا فهو ما اراد ان تسفر الفتاة فقال :

أولم يروا ان الفتاة بطبعها كالماء لم يحفظ بغير اناء
 من يكفل الفتيات بعد ظهورها مما يجيش بخاطر السفهاء
 ومن الذي ينهى الفتى بشبابه عن خدع كل خريدة حسناء

ولكنه ارادها ان تتعلم وتتشف على شريطة الاحتفاظ بالنقاب حتى لا تختلط
 بالرجال فقال :

ليس الحجاب بمانع تهذيها فاعلم لم يرفع على الازياء
 اولم يسغ تعليمهن بدون أن يملأن بالاعطاف عين الرائي

لان السفور يملأ قلوب الرجال عشقا وفتنة ، وعلى ابناء الوطن الحذر من
 دعاة السفور لانهم كاللصوص يريدون ان يعيشوا بالوطن فسادا فقال متسائلا : =

ماذا يريك من حجاب ساتر جيد المهاة وطلعة الذلفاء
 ماذا يريك من ازار مانع وزر الفؤاد وضلة الاهواء

ويقول صراحة ان اجتماع الفتاة بالفتى مجلبة للهوى :
 هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو اصدقتك ضمائر الجلساء (٢٣)

(١١) السراة المتبرجة

(٢٢) ديوان خيرى الهنداوي (المخطوط)

(٢٣) الادب المصري ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ وقد جمع مصطفى عبدالجبار القاضي
 (مختارات في الحجاب والسفور) وطبعها في بغداد سنة ١٩٢٤ واعاد نشي
 هذه القصيدة وقال في مقدمة لها (وحرى بكل اديب او اديبة يحبان العفة
 والفضيلة ان يجعلوا هذه المنظومة دستوراً لتعاليم الفتاة الشرقية) ص ١٣٠

ولعل أعنف رد على الرصافي هورد صديقه محمد بهجة الاثري فقد هاجمه عند ما نظم قصيدته العينية^(٢٥) فقال ان الرصافي طالب خلاعة وانه جاهل ثم رماء بالكفر والضلال والمروق ومن الطريف ان ينشر الرد في جريدة الرصافي (الامل) ويرد عليه الرصافي ردا لطيفا هادئا ويعذره فيما ذهب اليه ، لانه حماس الشباب دفعه الى مقال وختم مقاله بالرجاء له بالخير^(٢٥) وقد صدق جانب كبير من رجاء الرصافي فقد وجدت في مجموعة شعر الاثري الخطية قصيدتين احدهما نشرت في مجلة الرسالة العدد ١٣٣ وصف ماتعانيه المرأة من مشاق وعذاب ووصف في الثانية الرجل الذي اذا بشر بالانثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) وان لم يكن الاثري فيهما من دعاة السفور فان فيهما دعوة الى انصاف المرأة قال :

عجبت للمرأة وكـ دأية للعجب
ان بشروه بانثى بيت صريع الغضب

وكان الزهاوي مندفعاً في تأييد حقوق المرأة وسفورها فقد قال عنه رفائيل بطي انه نشر مقالا في جريدة المؤيد الاسبوعية المصرية في عددها ٦١٣٨ بعنوان (المرأة والدفاع عنها) ولم يكن المسلمون على استعداد لتقبل هذه الآراء فقامت ضجة هاج لها المسلمون واشاعوا بان الشاعر تحامل على الدين الاسلامي في مقاله وذهبوا متجهمين الى والي بغداد العثماني وطالب احد المبعوثين^(٢٦) والي بغداد عزل الشاعر من وظيفته فاجيب الى ما طلب ولزم الزهاوي داره خوفا من اذى الناس^(٢٨) ولنعد نتلمس بعض الحقائق ونر الجوى الذي احاط بالزهاوي فنقرأ مقاله في جريدة الرقيب والذي وجهه الى « ناظم الحكومة في بغداد » فقد قال فيه « ١٠٠ اسمع ان أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد - هذا البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقى - اخذ يدير رحي فتنة ، فقام يحرض الجاهلین على

(٢٤) ديوان الرصافي ص ٣٣٤

(٢٥) جريدة الامل العدد ٦٣ السنة الاولى ١٩٢٣

(٢٦) السيد مصطفى الواعظ

(٢٨) الادب العصري ج ١ ص ٩ ويلاحظ المقال في عدد (المؤيد) المرقم ٦١٣٨

الصادر في السابع من اغسطس ١٩١٠

الايقاع بي باسم الدين البريء من الظلم جزاء مقالة اجتماعية نشرت بامضائي في المؤيد الاسبوعي - كما في تنوير الافكار - دفاعا عن المرأة .. ثم اخذ يشكك بكتاب المقال وشخصيته فقال «...» وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها لم يتعين بعد اكتابها أنا؟ أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق؟ والذي ارجو من الحكومة الدستورية ان لا تقتص من الصابغين اكفهم بدمي اذا كان مايريده المحرضون - اظنهم اكثر من واحد - بل تعني بتعليمهم وانقاذهم من الجهل لثلاث تمتد ايديهم في المستقبل الى منكذ آخر مثلي يتمنى في كتاباته اصلاحا للامة اجتماعيا ..»^(٢٩) وقد نظم الزهاوي قصة ذكر فيها ان الناس تجمهموا ثم جاءوه غضابا صاخين وكان منظرهم مضحكا كما وصفه الزهاوي فهذا سائر على مهل وذاك يحبو وذاك يعدو وذاك يقفز^(٣٠) وكأنهم ذاهبون الى دعوة فرح لا الى الانتقام من شخص كافر ملحد، وقد كرر الزهاوي هذا المعنى في قصيدة اخرى وعزا تجمهر الناس الى احد رجال الدين الذي اوغر صدورهم بانه زنديق ومن يفنك به يدخل الجنة^(٣١).

هذه ثلاثة مراجع ذكرت تألب الناس على الزهاوي وتظاهرهم ضده للفتك به وقتله وهدر دمه ولتناقش هذه المصادر وقضية المظاهرة ضد الزهاوي :

المصدر الاول رفايل بطي وقد اخذ معلوماته من الزهاوي مباشرة وقد صاغ الزهاوي ما اراد واسبغ على نفسه ما اشتهى وهو لا يخرج عما نظمه الزهاوي المصدر الثاني ما كتبه الزهاوي في جريدة الرقيب وفيه يعبر عما حدث له من آلام شاكية للوالي طالبا حمايته متبرئا من اقواله وليس في النص شيء عن تجمهر الناس وقيام مظاهرة وانما هناك من يحرض الناس للايقاع به .. وهذا كثيرا ما يحدث .. فالمصدر الاول والاخير عن قيام مظاهرة ضد الزهاوي هو الزهاوي في شعره ونثره .. وليس من المعقول ان تحدث مظاهرة ضد الزهاوي ولا تقف بجانبه جريدة الرقيب وتسندة كما ساندت الرصافي . لذلك فانا في شك

(٢٩) جريدة الرقيب العدد ١٧٢ السنة الاولى ٧ شوال ١٣٢٨هـ

(٣٠) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ٣٠٧ الى ٣٠٩

(٣١) نفس المصدر ص ٩٠ الى ١٩٣

مريب من حدوث مثل هذا الامر وكل ما حدث للزهاوى ارسال كلمة تهديد مغفلة التوقيع (٣٢) فصور خياله حدوث مظاهرة تريد الفتك به فنظم قصيدة رسم ماتخيله فيها واستحلى الامر وكرره واعتقد هو بصحته وقد يرد قائل لم يعزله ناظم باشا من منصبه والجواب عنه بان الزهاوي كتب المقال ولم يتفق مع رأي ناظم باشا وربما استرضى بعض رجال الدين وقد كان ضد الزهاوي لانه كان يكره الاتحاديين الذين كان الزهاوي منهم ولكن لم تحدث مظاهرة ضد الزهاوي .. ولو كان الرأي الى نشر شعره ثم ان الرقيب آزرته بمقال نشر في ٦ ذى الحجة ١٣٢٧ ونشر الزهاوي قصيدته ثم كلمته الموجهة الى ناظم باشا في ٧ شوال ١٣٢٨ وهناك فرق زمني بين نشر القصيدتين ولعل ما اثار رجال الدين على الزهاوي هو تطرفه في الدعوة الذي لم تؤد الى مظاهرة .

الزهاوي بطبعه خائف شكاء بكاء يهول الامر لابرار نفسه بصورة البطل لكي يغطي على خوفه وهو مريض سقيم اذا اصيب بألم صرخ وجأ وبكى واشتكى فيقول :

اشكو الى اي هذي الناس مظلمتي وقد درى باضطهادي الترك والعرب (٣٣)

وفي قصيدة اخرى يصف جزعه وكأنه طفل يبكي فيقول :

لي تحت استار الدجّة رنة مشفوعة بتهدي وزفيري
مرفوعة لخفي سمع راحم مدفوعة من قلبي المكسور (٣٤)

بل يتصاغر في هذه القصيدة حتى يصف نفسه بالعصفور الذي تهاجمه الغربان والنسور فيهرب متواريا خائفا في جحر جدار ومن كانت هذه صفاته لاشك بانه يحاول ان يجعل من نفسه بطلا بعد فوات الاوان ويسبغ على نفسه صفات الزعامة والاصلاح ولو كان وجود المظاهرة حقيقة وان الوالي عزله بسبب مطالبته في الاصلاح فلم لم يذكر ذلك في قصيدته التي سب بها ناظم باشا بعد

(٣٢) حقيقة الزهاوى للعبیدی ص ٦٠

(٣٣) ديوان الزهاوى ٣٠٦-٣٠٧

(٣٤) المصدر السابق ١٠٩

عزله وكان سبب نكته (٣٥) . . وتظهر اخلاق الزهاوي جلية في شعره فقد وجدناه
يئن ويبكي ويزفر طول الليل ويذرف الدمع السخين خوفا وهلما ، اما الرصافي
فقد كان معتزا بنفسه وبكرامته ويفخر بما يصيبه من الالم ويتحمله ولا اشك في
ان الرصافي كان يتألم ويبكي ويهلع شأن كل انسان ولكن الرصافي لم يحاول
ان يرسم في شعره شخصيته قلقة خائفة .

ولست انكر فضل الزهاوي على تحرير المرأة وصدق دعوته ونضاله في
سبيلها ، فشعره يطفح بالامثلة الحسنة ولكن لم يكن مركز الآراء موحد الموضوع
عميق الفكرة فهو يطالب بحرية المرأة وسفورها واعطائها المركز اللائق بها ولكنه
يعالج بنفس القصيدة مشكلات اخرى ولا ينسى ان يحشر نفسه ، فمن شعره في
مهاجمة الحجاب يخاطب فيه الفتاة :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا	واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريد	ث فقد كان حارسا كذابا
مزقيه وبعد ذلك ايضا	مزقيه حتى يكون هبابا
وانزعيه بقوة وطئيه	واجعلي في فم الحنيق ترابا

ويهاجم دعاة الحجاب ويرد عليهم فيقول :

زعموا ان في السفور سقوطا	في المهاوي وان فيه ضرابا
واذا ما طالبتهم بدليل	يثبت الدعوى اوسعوك سبابا
كذبوا فالسفور عنوان طهر	ليس يلقي معرة وارتيابا (٣٦)

ويتلخص رأي الزهاوي في السفور بقوله :

قال هل بالسفور نفع يرجي	قلت خير من الحجاب السفور
انما في الحجاب شلل لشعب	وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو الى الحضارة شعب	منه نصف عن نصفه مستور (٣٧)

(٣٥) المصدر السابق ص ٧٣ وقد فرقها في الديوان حسب موضوعاتها في

الصفحات ١٩٠ و ١٩٣ و ٢٧٦ و ٣٠٧

(٣٦) الباب ص ٣٣٥-٣٣٩

(٣٧) الاوشال ص ٣٣٥-٣٣٩

وقد عالج الزهاوي في شعره مكانة المرأة وبحث ماتعانيه من سوء المعاملة وتطرق الى تعليمها وعكس لنا احساسه الشخصية اكثر مما عكس لنا مجتمعه فقد كان الزهاوي مريضاً مصاباً بالاوجاع والاسقام ولا يحنو عليه ويرأف به سوى زوجه وكان صدى هذه العناية عميقاً في نفسه فاراد ان تعامل المرأة معاملة مثلى ولم يكن له من شفيع اليها غير لسانه فاطال فيها القول واشاد في شعره في الدفاع عنها وطالب بمعاملتها برقة وحنان ولم يكتف بذلك بل هاجم الرجال وقال انهم قساة غلاظ القلوب مع ان الرجل في كل زمان ومكان يذوب رقة مع المرأة ويعاملها معاملة تختلف عن معاملة الرجال وخاصة في المجتمع العراقي ، ولم يكتف بذلك بل بالغ في اوصاف المرأة فوصفها بالربيع والازاهير ، وان صوتها الموسيقى الرائقة وهي التي ترعى زوجها بقلب محب عميق الحب ولولا وجودها لما طابت الحياة وانه عبد مطيع لها ، ثم يجمل سعادته النفسية بان تطيعه زوجه وان يطيعها فقال :

سعادة المرأة زوج يطيعها وتطيع (٣٨)

فيسعدته هو ان يطيع زوجه ثم استدرك و اضاف ان تطيعه لاستكمال البيت . وقد كان الزهاوي يعطي زوجه كل الاهمية في شعره وكأنني به كان ينظم وامامه زوجته وقد نسي فضل الام التي لاتقل قيمة في اهميتها عن الزوجة ولعل حرصه على رضا زوجه هو الذي دعاه الى ذلك . وقد كرر هذه المعاني كثيراً في شعره واكد على ضراوة الرجل وصبر المرأة كما بحث مشكلات المجتمع كالطلاق وزواج الفتاة بمجوز^(٣٩) وبانسان تكرهه او برجل سيء الخلق شرس الطباع^(٤٠) وقد طالب الزهاوي بمساواة المرأة بالرجل واتخذ من الغرب نموذجاً لهذه المساواة فقال :

للمرأة اليوم في مجلس القضاء محل
للمرأة اليوم في البرلمان عقد وحل

(٣٨) ديوان الزهاوي ص ٣١٠-٣١١

(٣٩) المصدر السابق الصفحات ٣٨ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٦٨-٧٣ والاول شال ص ٧١

(٤٠) ديوان الزهاوي ص ٣١٠ و ٣١٤

للمرأة اليوم في استكشاف الحقائق شغل^(٤١)

ورأى صورة الاسرة السعيدة الناجحة هي في اوربا ، والبيت يقطر سعادة
وهنا حين يمرح فيه الاطفال ، فقال :

بيت نظيف واولاد قد ازدهروا كأنهم زهر في الروض ينتقل
والبيت فيه نظام حين تبصره وانه لنظام مابه خلل
تبقى المودة حتى الموت بينما فما هنالك شأن ولا ملل^(٤٢)

وكما هوجم الرصافي فقد هوجم الزهاوي واتهم بالاحاد والكفر والزندقة^(٤٣)
وكان مركز دعاة السفور بغداد لانها اكثر تأثرا بالحضارة والحركة ومركز
الثقافة^(٤٤)

اما دعاة الحجاب فقد قاوموا الدعوة الى السفور منذ ظهورها في يومها الاول
وبقى هؤلاء صامدون يحاربون الدعوة للسفور وحرية المرأة وتعليمها ومن ثم
بدأوا يتساهلون ويعلمون المرأة فقد تغيرت الاحوال العامة ودخلت الحضارة في
الشرق وتطورت المجتمعات الشرقية بصورة عامة واخذت تنخر في القوى المحافظة
يوما بعد يوم وقد كان من اشد المعارضين للسفور رجال الدين ومن اقواهم
اسلوبا الشيخ جواد الشبيبي فقد وضع مشكلة السفور في مصاف مشكلات الوطن
وخطوبه الجسام التي اقلقت باله وأرقته فهي مشكلة لاتقل قيمة في نظره عن
الاستعمار وفساد الحكم وفقر العمال وقد وصف السفارات بانهن داعيات الى
الخلاعة وان السفور منعه الرسول والقرآن ، وسفور الوجه يكشف حمرة
الخدود وزهو الوجوه وقد تشدد الشيخ جواد في رسمه للطريق الامثل الذي
يجب ان تحتذيه في الكلام واللبس ولو عدنا باذهاننا الى العصر الذي عاش فيه
الشبيبي لوجدنا مقدار اهمية هذه القصيدة فقد كانت الهوة سحيقة بين حياة الرجل

(٤١) المصدر السابق ص ٣١١

(٤٢) الاوشال ص ٧٠

(٤٣) لاحظ قصيدة محمد رشيد الشيخ داود مدرّس جامع الحيدر خانة في (النجف)

العدد ٥٤ السنة الثانية الصادر في ٥ ايلول ١٩٢٦

(٤٤) توجد اشارة للسفور في شعر الصافي النجفي في ديوانه الامواج ص ٧٩

وحياة المرأة ولكل من حياته ما يختلف عن غيره ولعل وجود (الحريم)
و (الديوه خانه) يعطينا فكرة واضحة عن هذين العالمين اللذين ابتعد بعضهما عن بعض
ولم يكن يطلب دعاة السفور الا كشف الوجه والاحتفاظ بالعباءة او العباءتين ••
فلا نعجب ان قاوم المحافظون السفوريين ، وفي قصيدة (الجواد) نموذج رائع
لما كان يفكر به آباؤنا ، قال :

منع السفور كتابنا ونبينا	فاستنطقى الاثار والايات
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت	لنناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتم في البراقع خفية	من ان تمس حصانة الخفريات
واليوم فتحها الصبا فتساقطت	بعواطف الاحاظ والقبيلات
صوني جمالك بالبراقع انها	ستر الحسان ومظهر الحسنات

ويمنع الفتاة من ان ترفع صوتها لان الجهر بالصوت ليس للفتاة انما للفتى
المحاج او الخطيب ويوصي الفتاة في ملابسها فيقول :

وضعي الصدار على الترائب انه	حق عليك فحق نهديك ناتي
وتماثلي في البيت صورة دمية	مكونة الاعضاء في الجبرات (٤٥)

وقد كانت اكثر الصحف تؤيد الدعوة الى الحجاب فاذا قرأنا الجرائد التي
صدرت بعد عام ١٩٢٢ نراها تحمل علم الثورة على السفور ومن هذه الجرائد
والمجلات : تنوير الافكار والرشاد والمفيد والبدائع • اما الجرائد التي كانت تؤازر
حركة السفور فكانت اولها جريدة العراق والصحيفة والعالم العربي ويلي • وقد
كان انصار الحجاب توفيق الفكيكي وجميل المدرس و خليل اسماعيل ومصطفى
عزة عبدالسلام ومحمد بهجة الاثري والملا عبود الكرخي وعبدالرحمن البناء
وحسين الظريفي وغيرهم • وكان من دعاة السفور حسين الرحال ورزوق غنام
ومصطفى علي وعوني بكر صدقي ورفائيل بطي ومصطفى عبدالجبار القاضي

(٤٥) ديوان الشاعر المخطوط في مكتبة الشاعر محمود الحبوبى

وغيرهم^(٤٦) وقد كان كل مطبوع ينشر ما يراه ملائماً لخطته فكانت مجلة تنوير الافكار تقول ان الحجاب مشروع وتذكر منافع الحجاب للفتاة والمجتمع^(٤٧) وتهاجم مجلة الرشاد رزوق غنام لانه طالب بارسال الفتاة الى اوربا لكي تتعلم اسوة بالرجل فترد المجلة قائلة ان ارسال البنات الى اوربا معناه ارسالهن للتمرين على الخلاعة والفساد^(٤٨) وتنتشر قصيدة للبناء يهاجم بها السفوريين بقصيدتين ويعتبر كشف الوجه امرا لا تقره الشريعة الاسلامية ، وخشى على نفسه من الفتنة والغواية والانصياع لداعي الهوى ولم يخف على المرأة من الفساد والتهتك واعتبر دعوة السفور شرك لاصطياد الضعاف للتمتع بالمرأة ، لذلك خاطب المرأة بقوله :

وجوه الغايات بلا نقاب تصيد الصيد في شرك العيون
اذا برزت فتاة الخدر حسرى تقود ذوي العقول الى الجنون^(٤٩)

نم يحذر الفتاة من الفتاخ المنصوبة لها وفي القصيدة الثانية يظهر ألمه واضحا واعتبر السفور فتنة وشرا وشبه المرأة بالزهر في كمها فاذا تفتحت قطفت او كالجوزة يراد كسر قشرها لتأكل ويبدو تمسكه بالحجاب قوله عن لسان الفتاة :

برقعي وسط محيطي شرفي لم اُحْد عنه ولو ذقت العذابا

ولم يكتف بهذا انما خاطب العراقيين بقوله :

ايها القوم اصلحوا انفسكم خاب من رام سفور اوجه خابا^(٥٠)

(٤٦) لاحظ (مختارات في الحجاب والسفور) جمعها مصطفى عبد الجبار ففيها نماذج فريدة مما نشر وقيل عن السفور والحجاب حتى ١٩٢٤ (بغداد ١٩٢٤) وقد كتب الصديق الاستاذ خيرى العمرى مقالات ممتعة عن هذه المشكلة نشرت في ملحق جريدة الشعب الذي كان يصدر باسم (عدد الاسبوع) في الاعداد ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ صدرت عام ١٩٥٨

(٤٧) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى الصادر في ١٩٢٨

(٤٨) مجلة الرشاد العدد ٨١ السنة الثانية الصادر في ٣١ تموز ١٩٢٨

(٤٩) مجلة تنوير الافكار العدد ١٠ السنة الاولى ١٩٢٩

(٥٠) المفيد العدد ٢٧٠ السنة الثانية ١٩٢٤ ونشرت في الديوان ص ١٦٥ ج ٢

ونشرت في مختارات من الحجاب والسفور ص ١٢٠

وقد كانت جرائد دعاة السفور تناضل في الذود عن كيان السفور وتحسينه وتنشر اخبار نساء العالم وتذكر تقدمهن في حركة الاصلاح في تركيا وما تحوزه في امريكا واوروبا من المناصب بغاوين ضخمة لتدل على مكانة المرأة وقدرتها وتصف حالة المرأة الاجتماعية وتبحث في انجع الطرق لاصلاحها والدعوة الى السفور لانه التجديد والبناء غير ان اكثر هذه الجرائد لم يكتب لها الاستمرار ولعل اختصاصها الزائد بالمرأة وعدم وجود المناصرين لها هما اللذان قضيا عليها لان الشعب العراقي آنذاك شعب جاهل تؤثر فيه الخرافات ويسير دون تفكير مع الذين يراهم زعماء .

ومن الطريف أن يشارك الشعر العامي في هذه الدعوة ، فقد هاجم الملا عبود الكرخي دعاة السفور بقصيدتين عنوان الاولى (بعدا ثم بعدا ياسفوريين) والثانية عنوانها (حرية النسوان وفتاة غسان)^(٥١) وكانت الدعوة الى تعليم المرأة تسير جنباً الى جنب مع الدعوة الى السفور ، فقد اتفق اكثر العراقيين بعد تشكيل الحكم الوطني على ضرورة تعليمها سواء منهم من يدعو الى السفور ومن يدعو الى الحجاب فقد كان الانسان لا يجزؤ على الدعوة الى تعليمها خوف ان تؤدي معرفتها بالكتابة الى فساد اخلاقها . ولما احتل الانكليز العراق فكروا في انشاء مدارس للبنات اسوة بمدارس البنين ولكنها لم تفاجيء الناس بفتحها وانما اعلنت نظارة المعارف في ١٩١٩ اعلاناً في الجرائد قدمت له بمقدمة قالت فيها (ان الهيئة الاجتماعية لكل أمة تتقدم برجالها ونسائها معا فلا يصلح الرجل وحده اذا لم يستعن بالمرأة التي هي اساس العائلة وسعادة الامة فالمرأة الجاهلة لاتعرف شيئاً من مطالب هذا العصر ، عصر الحضارة والعلم ولقد اسهب علماء التربية والاجتماع في ابحاثهم عن ضرورة تربية المرأة تربية صحيحة لانها محور سعادة العائلة ٥٠)^(٥٢) ثم ذكرت الدروس التي ستدرس وقد سار تعليم المرأة سيرا بطيئاً فلم تؤسس في سنة ١٩٢٠-١٩٢١ غير ثلاث مدارس بينما كان عدد مدارس البنين ٨٥ مدرسة

(٥١) مختارات في الحجاب والسفور ص ١٢٣-١٢٨

(٥٢) جريدة العرب العدد ٧٠١ السنة الثالثة ١٩١٩

ووصل في السنة الثانية الى ٢٧ مدرسة حتى وصل العدد عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ الى ٢٥٦ مدرسة ابتدائية وتأخرت مدارس البنات الثانوية حتى عام ١٩٥٣-١٩٥٤ (٥٣) وقد كان لدعوة الجرائد الى نشر التعليم بصورة عامة ودعوة السفور عامل حسن الاثر وقد آزر الدعوة كثير من الشعراء ولم يقدر المعارضون على وقف عجلة الزمن والتقدم وقد اكتسحهم سيل المدنية ، فانتشرت المدارس وشاركت المرأة الرجل في الحياة العامة وفي كل الكليات عدا (الشرطة والجيش والشرطة) وقد برزت في الحياة الاجتماعية برغم حملات الصحف التي كانت تثيرها النسوة ليسمعن صوتهن ويثبتن وجودهن •

الفلاح والاقطاع

- ٣ -

حالة الفلاح العراقي تدعو الى الالم والحسرة الموجهة فلم يصبه أي تطور اجتماعي ملموس طوال هذه الفترة لان اكثرية مالكي الارض او المهيمنين عليها هم من رؤساء العشائر الذين يستخدمون ابناء العشيرة لمنافعهم الخاصة وقد فقد الفلاح الضمان الذي يحميه من الرئيس الذي كان يعطيه ايام الدولة العثمانية^(١) بعض الدخل ليعيش عليه لانه كان يعتبره فردا من افراد العشيرة وعليه ان يضمن له شيئا من المورد • غير ان هؤلاء الشيوخ اخذوا يستولون على الارض ويسجلونها بأسمائهم بعد ان كانت تسجل باسم العشيرة وتبقى باسم الدولة وقد ساعد قانون تسوية الاراضي الشيوخ على استملاك الاراضي وسجلها باسمائهم وحول ابناء العشيرة الى فلاحين ليس لهم غير جزء من الانتاج ، فتحول ابن العشيرة الذي كان له ارض يملكها الى اجير يتقاضى أجرته كمية محدودة من الانتاج • مع انه يقوم بكل ماتحتاجه الارض من حرث وبذر وعناية طول الموسم الزراعي، ثم يحصد الانتاج فيأتي شيخ القبيلة ويأخذ اكثره • ولم تجده^(٢)

(١) كانت الارض في العهد العثماني ملك السلطان ولما خسرت تركيا الحرب ودخل العراق تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي ثم الحكم الوطني أصبحت الارض ملكا للدولة وكانت تؤجرها لشيخ العشائر وقد كان يدخل في الاستئجار عدة عوامل كنفوذ الشيخ وعدد افراد العشيرة ومقدار خطره •

(٢) Land Reform & Development in the Middel East P. P. 135, 136, 137.

عوامل الرفاه المتيسرة في العراق من وفرة المياه وخصوبة الارض وتدفق النفط في رفع مستواه واسعاده^(٣) فمايزال الجوع القاتل ، والمرض الفتاك والجهل المطبق تبث به فيعيش في فقر لم ير الغرب مثله^(٤) وكثيرا ما اضطر الى ترك الارض التي بذل جهدا في شق ترعها لانه عاجز عن شراء البذور اللازمة^(٥) لها لتحكم رجال الاقطاع والمرايين في موارده^(٦)

وقد ساعد ضعف الحكومات المركزية المتوالية في العراق على توسيع نفوذ الاقطاع اذ اخذ كل اقطاعي يوسع اراضيه دون حسيب او رقيب^(٧) بطرق شتى مرة باغراق الفلاح بالديون واخرى يأخذ الاراضي بنفوذه وقوته حتى غدا الفلاح اجيرا مستمرا يشتغل عند الملاك والشيوخ لاستحالة تسديد ديونه من الحصة الضئيلة التي يتسلمها من الحاصل ، فهو لا يأخذ الا حصصا تتراوح بين ٤٠٪ - ٥٠٪ وقد لا يتجاوز حقه من الانتاج ٢٥٪^(٨) وقد قدرت الباحثة الانكليزية دورين وارنر دخل الفلاح العراقي بين خمسة باونات وخمسين باونا^(٩) ومن هذا المبلغ يصرف لطعامه ولشرابه وكسوته له ولاسرتة . فلانجب اذا سادت الامراض بين الفلاحين وتفشى سوء التغذية بينهم اذ قلما يأكل الفلاح طعاما يسمن من جوع او يغذي حاجة الجسم المجهود الضرورية ،

(٣) المصدر السابق

(٤) مقدمة كتاب وارنر Land & Povtrty in the Middle East.

ونظرات في اصلاح الريف - عبدالرزاق الحسني ص ٢٦ و ٢٨

(بيروت ١٩٥٤) ومجلة عالم الغد مقال باقر الدجيلي

(٥) راجع الاسباب الموجبة لسن قانون استثمار اراضي الدجيلية

(٦) الملكية الصغيرة في العراق - بغداد ١٩٥٣ الصفحات ١ و ٢ و ٧٥

(٧) لبحث مشكلة الاقطاع في العراق يراجع الاقطاع والديوان في العراق

لعبدالرزاق الظاهر . ونظرات في اصلاح الريف لعبدالرزاق الهلالي .

والاقطاع في العراق لابراهيم كبه .

(٨) نظرات في اصلاح الريف (بيروت ١٩٥٤) ص ٢٦ و ٢٨ وعالم الغد

العدد ٢٣ / ١ مقال لباقر الدجيلي

ويتبلغ بالخبز وحده في اكثر الاحيان اما اللحم فلا يفكر فيه يوما من الايام لانه لن يجده الا على موائد الشيخ الاقطاعي الذي يقيم الحفلات لذوي السلطة ويعطي الفضلات للفلاحين الذين ينتظرون فروغهم من الاكل بصبر زائد .

وليس للفلاح قانون يحميه من الاقطاعي فهو يطرده متى اراد ويلاحقه بلديون التي اخذها الياكل بها وليعيش وقد حكمت بعض القوانين عليه بالبقاء في خدمة الاقطاعي حتى يسدد ديونه ولا يجوز ممالك آخر ان يستخدمه مادام مدينا بمبلغ للمالك غيره^(١٠) ومن هجر القرية تخلصا من هذا الشرق فالسلطات تلاحقه وتحجز اجرتة اليومية لتسديد ديون الاقطاعي^(١١) اما الماء النقي فهو من الكماليات التي لم يفكر فيها الفلاح فقد اعتاد على الماء يشربه من الانهار مباشرة يحمله في جرار وحباب لخزنه لا لتصفيته ويسكن في بيوت مبنية من الطين وسقوفها من الجريد ومن جذوع النخل ويعيش مع حيواناته في حجرة واحدة لانوافذ لها لانه يخشى البرد القارس اذا فتح نافذة ، وفي بعض المناطق من جنوبي العراق يسكن الفلاح في صرائف معمولة من الحصر والباريات وقد يقترش الارض او يبني له دكة من الطين مرتفعة عن الارض قليلا^(١٢) وقد انتشرت هذه الصرائف حوالي بغداد هربا من جحيم الاقطاع واما في الكسب من العاصمة بما يقوم به الفلاح من اعمال في مختلف مناحي الحياة ، وقد حاولت بعض الحكومات العراقية اصلاح حال الفلاح العراقي بتشييد بعض القرى الحديثة لرفع مستوى حياة الفلاح وتشجيع الملكية الصغيرة في مشروع الدجيلة^(١٣) غير ان الاقطاعيين وكبار الملاكين كانوا يقاومون هذه الاصلاحات بقوة خوفا من ان يتنبه الفلاح ويحد من سلطانهم ، وقد ساعد على مؤازرتهم ، تشابك مصالح رجال الحكم مع مصالح الاقطاع^(١٤) لذلك

(٩) الارض والفقر لاحظ المقدمة .

(١٠) قانون حقوق ووجبات الزراعة رقم ٨ لسنة ١٩٣٣

(١١) المادة ١٦ب من القانون المار الذكر

(١٢) الملكية الصغيرة في العراق ص ٢٦ و٧٨ ومقدمة الارض والفقر

(١٣) قانون تشييد القرى الحديثة رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٦

(١٤) الارض والفقر ص ١١٩ ونظرات في اصلاح الريف ص ٤٢ و٤٦

لم ينفذ قانون تشييد القرى بالرغم من مرور عشرين سنة على تشريعه^(١٥) لعدم وجود قوة تضطر الحكومة الى العمل به والحد من شهوات هؤلاء ولن تحد من اطماعهم وسلطانهم غير صدق النية والقوة^(١٦)

اما التعليم بين الفلاحين فمتأخر جدا وشيوخ القبائل يكافحونه مكافحة جبارة فهم يرتعبون من تعليم الفلاح خوفا من ان يشعر بالغبن الواقع عليه من قبلهم • ومما يؤسف له ان يساعد الاقطاع وشيوخ القبائل موظفو الدولة ليحصلوا على رضا الشيوخ وهداياهم وكثيرا ما هددت ارواح المعلمين وسرقت امتعتهم حتى جزعوا وتركوا العمل من بين ظهرائينهم ، ولاننس معاملة المعلم بالاحتقار والازدراء وعدم حمايته من موظفي الادارة ورد الاذى عنه وكثيرا ما يتعاملون عما يصيبه ويلقون اللوم على المعلم نفسه^(١٧) •

هذه حال الفلاح العراقي العامة انعكست في الشعر العربي في العراق وقد حاول الشعراء اسعاده لانه جزء من هذا الشعب الكبير • والملاحظ ان شعراء الفرات ولاسيما النجف هم اكثر عناية بمشكلات الفلاح لاحتكاكهم المباشر به ولان اكثرية الشعراء هم من طبقة فقيرة لهم صلات وثيقة به ويقابل هذا الامر شعراء المدن الذين عنوا عناية خاصة بالفقر والفقراء ومشكلاتهم • ولعل ابرز شاعر عالج مشكلة الفلاح بعمق وبأخلاص هو محمد صالح بحر العلوم فقد اهدى ديوانه العواطف الى الفلاح قائلا :

تقبل أيها الفلاح مني	عواطف يستبان بها شعوري
ولا تحزن اذا لم تلق ثوبا	يقيك ، وثوب غيرك من حرير
فشان الدهر لم يعرف ضعيفا	ولم يألّف مجازاة الفقير

وقد فاض الديوان بوصف حالة الفلاح عامة وما اصابه من بؤس وشقاء

(١٥) وقت كتابة هذا البحث كان اغسطس ١٩٥٦

(١٦) حدثت ثورة ١٤ تموز الخالدة من هذه الشهوات وحدث سلطانهم

(١٧) قضى الكاتب بعض سني حياته معلما في قرى ديالى وتلمس مشكلات الفلاح بنفسه •

وجهل واستغلال ومرض وتأخر وانحطاط في حياته ففي احدى قصائده سمي
 الفلاح (الحي المقبور)^(١٨) وصف بها ما يعانيه الفلاح من آلام وكيف استغله
 اصحاب القصور ولم يعطوه ما يقابل اجره وكده انما كان جزاءه الحرمان
 والجوع فهو يأكل اردأ الاطعمة ويتحمل برد الشتاء وزمهريره ، وحر الصيف
 ورمضاه صابرا على عيشه مع الحيوانات وبعد ان أتم وصفه حفز الفلاح
 واثاره على اولئك الذين تأمروا على قتله البطيء لان قلوبهم خالية من الشعور
 ونفوسهم مجردة من الاحاسيس والعواطف ، مبتعدة عن الانسانية والرحمة .
 وفي قصيدة اخرى يحيي الثورة ويسمي الثورة العراقية ثورة الفلاح^(١٩) اعترافا
 بما بذله من جهد فقد ضحى بروحه وبماله وحارب المحتلين لكي يجليهم عن
 ارضه بعزيمة لم تعرف الكلل وقوة لم تعرف التواني والملل ، وناضل بصبر
 ماعرف المهادنة حتى انتصر على الدخيل واذله . لكن عاد الى الكوخ المتهدم ، يعيش
 مع السوائم فقد اذله السادة وهدر كرامته الحاكمون فقد غنموا الهناء وعاد هو
 يجرر رجله للشقاء . وفي قصيدة ثالثة سماها (الفلاح) استعرض مشكلات
 الفلاح العامة وقارن بين حياته وحياة اولى الترف والنعيم الذين سرقوا كده
 وتعبه وقد القى هذه القصيدة في النجف وكان من جرائها ان حكم المجلس
 العرفي العسكري عليه بالسجن المؤبد سنة ١٩٣٥ ، خاطب الفلاح بها قائلا :

انت يا فلاح عانيت البلاء واجتني غيرك اثمار التعب
 تسهر الليل لجعل الاغنياء بارتياح وهناء وطرب

وفيها يقارن بين النعيم الذي يرفل فيه اصحاب القصور وبؤس الفلاح
 الذي يزرع تحت وطأته مع ان هذا النعيم هو من عمل الفلاح ومن كده وهو
 اجدر به واخرى بالانتفاع منه فقال :

كم نعيم احرزته فئسة هو من دونك بؤس فاتك
 وقصور سلبتها سلطة منك بالجهور وانت المالك

(١٨) العواطف (النجف ١٩٢٧) ص ٢٠-٣٢

(١٩) نفس المصدر ٨٩-٩٥

ومصاييح علتها بهجة هي لولاك ظلام حالك
أبهذا الوضع تحيا أمة وبها الظلم وباء هالك

غير ان هؤلاء المتعمين لا يعرفون له حقا فيجب ان يفرضه عليهم ويأخذه
منهم ، فقد سرقوا هذا الحق منه فيجب ان يترك المنجل جانبا ويفرض قوته
عليهم لانهم قوم لا يعرفون غير القوة قال :

حلقت آهات شكواك على جاحدي فضلك ليلا في السما
فأستحالت شهبها ترعى الملا وترى من لايراعي الذمما
فاترك الزرع ونح المنجلا عنك حينا واملا الأرض دما
وبحد السيف حاسب دولا بينها حقك اضحي مغنما (٢٠)

وليس في الديوان حلول لمشكلات الفلاح ، او تركيز على فكرة محدودة
للاصلاح انها عواطف نائرة اتقدت عندما رأى حالة الفلاح المتردية فأراد ان
يصلحها . . . باسعاد الفلاح ورفع مستوى حياته وليس من عمل الشاعر ان يقدم
مشايير اصلاحية انما عليه ابراز الحالة السيئة لينبه الشعور وقد كان محمد
صالح بحر العلوم عميق الشعور صادق الاحساس فاندفع بشعوره واحساسه
بالمطالبة بالاصلاح وتغيير الاوضاع السيئة التي يئن منها العراق . والشاعر
عنيف في المطالبة صريح في الدعوة الى الثورة وتحطيم كل ما يقف امام رغبات
النسب لذلك لم تكن دعوته في يوم من الايام تلاقى بالقبول من الحاكمين فقد
قضى جل حياته سجينا معذبا منكلا به اشد التنكيل حتى ابتلى بأمراض وأسقام
واصيبت اعصابه بالامراض ، ولكنه لايزال يناضل بصبر وجلد وعزيمة ومضاء
ولايزال مودعا في السجن من جراء المطالبة المستمرة في سبيل الاصلاح التي
تبلورت آراؤه اخيرا (١٩٥٦) ولعل مايرعب قلوب الحاكمين منه الثورة العارمة التي
تكشف شعره ، فهو يقول :

يا ابنة الريف اجمعي لي خطبا وخذي من زفراتي ضرما

واحرقي كل ظلوم غاشم يجد اللذة في ان يظلم
واتركي الرحمة فالناس هنا همج يحتقرون الرحما (٢١)

والشاعر النجفي الثاني الذي عالج مشكلة الفلاح هو محمد مهدي
الجواهري ، فقد عالجها بهدوء وسكون ووصف المشكلات وحذر مما تؤول اليه
مثل هذه المشكلات فالترف العاطر والبطر المترف والهناء المغرور الى جانب
الجوع الكافر والعري المخزي والمرض الفتاك والفاقة المهلكة امور ستؤدي
بالبلاد الى اسوأ النتائج وافطع العواقب ، فسيأتي اليوم الذي يستفيق فيه هؤلاء
الفلاحون الفقراء الجياع المذبون بسياط الجشع ، ويقف متسائلا كيف ترضى
دولة تحترم نفسها ان يكون شعبها متأخرا الى درجة الفلاح العراقي فقال :

الا قوة تستطيع دفع المظالم وانعاش مخلوق على الذل نائم
الا عين تلقي على الشعب هاويا الى حماة الادقاع نظرة راحم
وهل ما يرجى المصلحون يرونه مواجهة ام تلك اضغاث حالم
تالت يد الاقطاع حتى تعطلت عن البت في احكامها يد حاكم

ويتحدث عن الارض التي هي ملك الجميع فيقول :

هي الارض لم يخصص لها الله مالكا يصرفها مستهترا بالجرائم

ويصف حالة الفلاح وكوخه المظلم وجوعه ويسثير همم ذوي النخوة
والضمير بقوله :

حنايا من الاكواخ تلقي ظلالها على مثل جب باهت النور قائم
تلوت سياط فوق ظهر مكرم من اللؤم مأخوذ بسوط الألائم
وبات بطون ساغات على طوى واتخمت الاخرى بطيب المطاعم
اهدى رعايا أمة قد تهيأت لتستقبل الدنيا بعزم المهاجم ؟

وحاول اقناع الحاكمين بالمنطق والحجة بوجوب مساعدتهم ورفع مستوى

حياتهم ليكون شعبهم قويا يدافع عنهم يوم الكريهة ، اذ كيف يحمي الضعيف وطنه وهو الهزيل الخاوي وهل يرضى اولو الامر ان تكون الرعايا جياعا عراة مهتمدين ، فقال :

أمن ساعد رخو هزيل وكاهل عجزوز نريد الملك ثبت الدعائم^(٢٢)

ويضرب الامثلة على تردي الحالة العامة والى اين وصلت من التدهور والانحطاط فقال :

ومروا بانحاء العراق مضاعة وزوروا قرى موبوءة وبقاعا
تروا ما يثير الصابرين اقله عراة حفاة صاغرين جياعا
وان شبابا يرقب الموت جائعا متى اسطاع عن حوض البلاد دفاعا^(٢٣)

وقد ادرك الجواهري اثر الاقطاع في تأخير الفلاح ، واثار الاقطاع في الدولة ، عندما اصبح بمقتضاه شيخ القبيلة صاحب الملك والاقطاعي الكبير واصبح ابناء القبائل والفلاحون لا يملكون المأوى ، فوصف الحالة التي شملت الفلاحين بعد الازمة الاقتصادية^(٢٤) التي اجتاحت العراق وصفا رائعا فريدا ، قال :

جل معي جولة تريك احتقار الشعب والجهل والشقاء جماعا
تجد الكوخ خاليا من حطام الدهر والبيت خاويا يتداعى
واستمع لاتجد سوى نبضات القلب دقت خوف الحساب ارتياحا
فلقد اقبلت جباة تسوم الحي عنفا ومهنة واتضاعا
ان هذا الفلاح لم يبق الا العرض منه يجله ان يباعا^(٢٤)

وقد عالج علي الشرقي مشكلة الفلاح واهتم بها اهتماما كبيرا واعتبرها من المشكلات الجديرة بالاهتمام فهي ليست مشكلة الفلاح انما هي مشكلة

(٢٢) ديوان الجواهري ص ١٩ ج ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٣) لاحظ قصيدته عقابيل ص ١٤٥ ج ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٤) نفس المصدر ص ١٦٢ ج ١ . وقد نشرت في جريدة الاخاء الوطني العدد

١٩٣١/١/١٨

الشعب جميعه والفلاح عنوان رقي الامة ومظهر من ابرز مظاهر حضارتها
وركيزة من ركائز التقدم اذ ليست المدنية الحقيقية هي المتركة في المدن الكبرى
انما يقاس تقدم الشعب بقراه واريافه ، فقال :

ان تفتش عن ارياح بلاد فتفقد شؤونها والنواحي
واذا ارتاحت البلاد تبدت في قراها علائم الارياح

ووصف مايعانيه الفلاح العراقي من حرمان من خبراته التي يكسبها
سبلها ولكنه لايفوز الا بما يسد الرمق فهو يعيش في جنة ولكن حياته العذاب
والآلام وقد وصف قرى الفلاحين بقري النمل ، وهو وصف جميل فقال :

ما لهذا الفلاح في الارض روح أهو من معشر بلا أرواح ؟
هو في جنة ينال عذابا وهو تحت الاشجار اجرد ضاح
وقرى النمل لهف نفسى أثرى من قراه الا من الانراح

ويشير مشكلة من المشكلات التي كان يشن منها الفلاح العراقي طويلا هي
فرض الضرائب الثقيلة التي ارهقته حتى اضطر الى الدين فزادت ديونه عبثا
جديدا على اعبائه واخذ يضمحل شيئا فشيئا ويقتل بغير سلاح ، وهل هناك انفذ
من الفقر سلاحا لذا فقد غدا قلبه الجريح يتنزى الما ويفيض حسرة ولوعة
وكيف لايطفح هذا القلب بالحسرة والحيوانات والبهائم راضية سعيدة فقد
أكلت وشبعت • اما الفلاح وهو الانسان ذو المواهب الفذة والقيمة الغالبة ، فقد
حرم حتى من ضروريات الحياة ولم يظفر بال العناية اللازمة ، فقال :

يا ضعيفا ارى الولاة عليه اعرضت من نصائح النصاح
لم يفده سلاحه فهو ليث قتلوه صبوا بغير سلاح
لو نفذنا لقلب ذاك المعنى لوجدناه متخفا بالجراح
خص من نهره ومن شاطئيه بخسيس المرعى وبالضحضاح
في مروج من حولها قد تناغت كل صداحة الى صداح

يا ربوعا حيوانها يتغنى بسرور واهلها في نياح^(٢٥)

وقد وصف اناث الكوخ الفلاح عندما فاض نهر الفرات ، فقال :

طافت حنايا الكوخ فوق خصاصه الـ غرقى وعام البيت بالاخشاب
ولقد نظرت اناثه الطافي فلم ابصر سوى حصر وجرد ثياب^(٢٦)

والشعر النجفي في الفلاح كثير وكله عاليج مشكلات الفلاح ومن الشعراء
حسين كمال الدين^(٢٧) ومحمود الجبوبي^(٢٨) ومحمد رضا
المظفري^(٢٩) ومحمد جواد السوداني^(٣٠) كما عالجه من العمارة حسين
الحاج وهج^(٣١) ومن كربلاء عباس حلمي^(٣٢) ولعل قصيدة احمد الصافي
هي القصيدة التي حوت جميع المعاني التي تطرق لها الشعراء وهي رائعة الفلاح
بحق ، فقد افتتح بها ديوانه (الامواج) وخاطب فيها الفلاح طالبا منه ان يترفق
بنفسه ولا يحملها كل هذا التعب لان جميع سعيه ذاهب الى غيره ولا يعود عليه
الا بالفقر المدقع والعيش الحثير والبيت المظلم الداكن الذي يطير اذا هبت الرياح

(٢٥) جريدة العراق العدد ١٨٩٨/٧/٢٦ ونشرت في ديوان علي الشرقي ص ١٦٣
ولاحظ من السنة نفسها العديدين ١٩٦٨ والعدد ١٩٨١ ومن الديوان
ص ١٠٢ و ١٠٩

(٢٦) ديوان علي الشرقي ٢٠٣ ولاحظ ص ١٢٨
(٢٧) النهضة العراقية العدد ١٩٢٨/٢/٢٧٢ ولاحظ قصيدة هادي الشماح
العراق ٣٨٣٧/١٣/٣٤

(٢٨) ديوان الجبوبي ص ٢٨ ج ١ النجف ١٩٤٨

(٢٩) الادب الجديد ص ١٣٠ النجف ؟

(٣٠) النهضة العراقية العدد ١٩٢٩/٢/٣٢٥ ولاحظ العدد ١٩٢٨/٢/٢٨١

(٣١) النهضة العراقية ١٩٢٨/٢/٢٥٤ وقصيدة ابن الفرات العدد ١٩٢٩/٢/٤٠٣
ومن طريف قول حسين الحاج وهج :

تخذنا من نبات الارض قوتا ولم نشبع بمكسبنا البطونا

جهدنا زارعين بكل آن فلسنا في المزارع ناجحينا

بدلنا النفس في جد وجهد وعند الحاصلات (مفلسينا)

(٣٢) العراق ١٩٢٦/٧/١٨٦١

عليه ، فقال :

رفقا بنفسك ايها الفلاح	تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة	وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذي الجراح براحتيك عميقة	ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم	ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفتك ان همت عين السما	ويطير كوخك ان تهب رياح

وبالرغم من هذا العناء والعيش الذليل في الكوخ الحقير فان الاقطاعيين لم يتركوا له حتى حرّيته فقد اثقلوه بالديون بعد أن أخذوا حصة الاسد من الانتاج الذي اذاب لاجله قلبه ودمه ، وعرقه فجاءه الطامعون يستغلون هذا الريح دون رحمة :

هذي ديونك لم يسدد بعضها	عجزا فكيف تسدد الارباح
بنضون وجهك للمشقة اسطر	وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لأثنا	فيزان منها للغنى وشاح
أُتصدّ جيش الطامعين ولم يكن	لك في الدفاع سوى الصياح سلاح؟

ومتى سمع القوي الطامع الصياح والبكاء فهو في شغل شاغل عنه في لذاته وشهواته ، يستبق الكأس المترعة والحان المغرية في قصر يفيض بالنور المشرق ويتلأأ بالسعادة الهانية ويطلق بجمال الرياش وغالي الاثاث وبديع الثياب والستائر . ومتى استمع مستغل جشع الى صوت ضعيف معذب احرق به البؤس واضناه المرض واقعده الفقر وان كان هذا الضعف هو الحق الصريح لذلك وجدنا النجفي يشور ثورة عارمة بعد ان استحال الاصلاح في ظل السلم والمنطق وطلب من الفلاح ان يترك العمل الذي لا يعود نفعه عليه ويعيث بالزرع فسادا لانه لا يتنفع بحاصله ويهلك الضرع الذي يدر على المالكين الخير ، فقال الشاعر والالم المرير واليأس الحزين في شعره :

يا غارس التمر المؤمل نفعه	دعه فان ثماره الاتراح
أقلعه فالثمر اللذيذ محرم	للفارسين وللقوي مباح

وستبقى مشكلة الفلاح الذي لم يطرأ على مستوى حياته الاجتماعية اي
تقدم محسوس ان بقيت سلطة كبار الملاك مهيمنة على دفعه امور الدولة في
العراق (٣٣) .

(٣٣) اصدرت حكومة الثورة في العراق قانون الاصلاح الزراعي لتوزيع الاراضي
على الفلاحين للقضاء على الاقطاع

مشكلة الفقر

- ٤ -

ان مشكلة الفقر من المشاكل المتمركزة في مدن العراق فهي مثل مشكلة الفلاح في الريف • يعيش اغلبية الشعب العراقي في فاقة لامثيل لها في العالم لظلمدن فهم محتاجون الى الطعام الضروري بل المسكن والملبس • وبيوت الفقراء قذرة ، يعيش الفقراء جماعات متكئة في غرف غير صحية مظلمة فاذا أمطرت السماء امتلأت الدور بالاوحال والاطيان • وقد لا يغير الفقراء ملابسهم حتى تبل واكثرهم يستعمل ما يرد من اوربا من الثياب المستعملة ، ولولا النوم في الهواء الطلق وحرارة الصيف التي تستمر حوالي ستة اشهر فقتل كثيرا من الامراض وتغذي الجسم بالشمس ، لبلغت نسبة الوفيات عددا هائلا • وغالبا ما يموت المريض دون ان يرى الطبيب ، اما للضعف المادي او لعدم العناية فيترك المريض للقضاء والقدر ، ولا يزال هؤلاء يطبّبون مرضاهم بالتعاويد والطلاسم والادعية • ونسبة وفيات الاطفال مرتفعة جدا^(١) واكثر الاطفال يموتون من سوء التغذية واكثر الوالدين مصابون بامراض معدية ويرزحون تحت وطأة الملاريا والبلهارزيا والانكلستوما ، واذا استثنينا المدن الكبيرة فلا تزال بعض اقضية العراق لاتعرف المياه المعقمة ولا الكهرباء فهم يشربون الماء بعد تصفيته في الحجاب ويستعينون في المدن بالاضاءة البدائية اقتصادا في نفقات ايصال النور الكهربائي الى بيوتهم •

(١) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي ١٩٥٢ اصدرته وزارة الصحة العراقية
(بغداد ١٩٥٥) الصفحات ١٥ و ١٢٧ و ١٢٩

وجل الشعراء كانوا من الطبقة المتوسطة او الفقيرة ، فقد كان شعورهم عميقا واحساسهم صادقا • وعلى رأس الشعراء الذين عالجوا مشكلة الفقر كان الرصافي ، الذي عاش في محيط فقير ، فالقرء غول محلته الاولى هي النبع العذب الذي تدفقت فيه اشعاره واصفة عذاب الانسانية وأنيها • فقد عكس لنا صورة حية صادقة من حياة هؤلاء الفقراء •• وديوان الرصافي فياض بوصف الفقر والفقراء تارة في صورة اليتيم في ايام العيد الذي لا يملك مايملكه ابناء الاغنياء من غالي الثياب ونفيسها ، وهو يرى اترابه يرفلون بالملابس الزاهية الجديدة فيعود الى أمه حزين القلب كسير الفؤاد هضم الآمال^(٢) • ومرة يصور الفقير الذي يموت جوعا ومرضا ، لانه لا يملك اجر الطبيب^(٣) وآونة يصف أرملة تريد الغذاء لولدها^(٤) وقد عالج الرصافي هذه المشكلات معالجة دقيقة ونظمها على شكل قصص مبرزا كل العواطف والاحاسيس ، والقصة اشد اثرا في النفوس ثم يمزج القصة بالدعوة الى الاصلاح ويرسم سبل الاصلاح شأن الاجتماعي الماهر الخبير • وقد كانت اكثر قصص الرصافي واقعية مستمدة من الحياة • فقد سئل مرة لماذا نظم (اليتيم في العيد) فقال خرجت لصديق لسي بائع تبغ امام جامع الحيدرخانه ليلة عيد الاضحى وبينما كنت جالسا في حائوته اشارت اليه امرأة متحجبة بدا فقرها من عباءتها ان ينزل فتهامسا وانصرفت فسألت صديقي عن خطبها فقال انها أرملة تعيل يتيمين وجاءت بصحن لترهنه لقاء أربعة قروش لانهما جائعان فلحققتها مسرعا وسلمت لها اثني عشر قرشا وهي جميع ما املكه فاخذت المبلغ بتردد وخوف ثم ناولتني الصحن قائلة: الله يرضى عنك ، خذ الصحن • فرفضت ذلك وعدت الى بيتي والدمع ينهمر من عيني راسما للبشرية المعذبة صورة حقيقية من صور (اليتيم في العيد) • وسرد قصص الرصافي كثيرة وسأخذ صورتين من الصور التي رسمها الرصافي • فمن هذه الصور صورة فقير جائع ليس له من يساعده في مرضه غير اخت يعيلها غير ان

(٢) الديوان ٥٨

(٣) ديوان الرصافي ٩٤

(٤) ” ” ٢٠٤

المرض حال دون ذلك فاشتد به الجوع والمرض ، وعندما طلب الخبز للأكل
قدمت له الماء لعدم وجود كسرة خبز في البيت :

رام خبزاً والجوع اذكى الاورا في حشاه فعلته اصطبازا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء اورا
يطفىء الجوع ذاكيا في التهاب

انها صورة رائعة للفقر في أجسم مظاهره ، عندما يدهم الانسان الجوع
والمرض والعوز ، فما كان من اخته المسكينة الا الاستعانة بالجيران ، ولكن هل
يساعدها الجيران ويحسنون اليها كل يوم واذا أمدوها بالطعام فمن اين الطبيب
المداوي • ويصور الرصافي المريض وهو يشرف على الموت بعد ان اتحد المرض
والجوع عليه وجلست اخته القاصرة عن عمل اي شيء وهى ترى معيها يزحف
الموت نحوه وتصاب ببلية اخرى بعد موته هو بقاؤه بدون كفن او دفن حتى
يحسن احد الاغنياء الى الميت بالكفن • فيؤنب الرصافي الاغنياء فيقول :

ايها الاغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما قد رحمت
سهر البائسون جوعاً ونمت بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب
كم بذلتكم اموالكم في المـلاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الآله ايها الموسرون بعض انتباه
افتدرون انكم في تباب^(٥)

ويعالج الرصافي مشاكل العراق الاجتماعية متأثراً بالدين وانصلحت معالجته في
العصر الاسلامي فلا تصلح لعصره فالناس غدوا لا يخافون الحساب ولا يرهبون
سوء المصير ، فالقليل منهم يبذل في سبيل الله ومرضاته ، وجلهم منصرف الى
نفسه اذ لم يبق مـر القرون المثل الفاضلة فيعتمد على احساس الناس واحسانهم
وانصافهم للفقراء وشعورهم بآلام الفقير املا برحمتهم للارامل^(٦) لان الاحسان

(٥) ديوان الرصافي ١٠٢

(٦) ، ٢٠٦

الى الفقراء حلو جميل يقيد النفوس بالحب ويطلق الالسنه بالثناء والحمدويكون الفوز المبين للرجل المحسن^(٧) ولم يكن الرصافي نائرا في شعره الاجتماعي كثورته في شعره السياسي ولعل نظرية القضاء والقدر هي التي أثرت في تفكيره فهو يطالب بالاصلاح ولكنه يطالب الاغنياء بمساعدة الفقراء وهذا شيء غير واقعي لان الاغنياء اذا لم تكن هناك قوة تجبرهم لايحسنون ولن يوجدوا *

اما الزهاوي فعلى كثرة ما نظم من الشعر وما طبع من الدواوين فلم يعن العناية الكافية بالفقر وكأني به لا يحس ولا يشعر بالآلامه * وله بعض قصائد نظمها قبل الاحتلال الانكليزي عالج فيها مشكلة ارملة جندي مات زوجها وخلف لها رابنا تقاعديا لايفي بحاجتها وكانت قد اصيبت بالسل وذهبت وهي مريضة تطلب من المسؤولين استعجال دفع الراتب التقاعدي ، بعد ان تخلى عنها الاهل والاصدقاء لفقرها * ويصف في القصيدة قسوة موظفي الحكومة العثمانية وستمهم المراجعين لقضاياهم^(٨) ولم يعالج الزهاوي مشكلة الفقر كأنها مشكلة اجتماعية انما كأنها مشكلة فردية قد تكون له صلة بها وآلمه ان تكون زوجة ضابط فقيرة بعد غنى وذليلة بعد عز ويبعد في قصته هذه عن المشكلة الاجتماعية ويبحث في اشياء بعيدة عن الموضوع ويضرب الحكم والامثال في غير حاجة لها * وفي القصة موضوع من ارق المواضيع الانسانية وهو موضوع الامومة وجوع الطفل وقد تطرق لها الزهاوي ولكنه لم ينجح في ابرازها باطار عاطفي رقيق فيصور اختلاج العواطف الرقيقة مع انه وصل الى كبد الموضوع وتلمسه فافلت من يده ، واخيرا تضطر امرأة الضابط الى الاستجداء وطلب الرحمة من الناس لكي تغذي ولدها الجائع في البيت ، وهذه نقطة انسانية اخرى تعالج بارع العواطف واسماها وهي نقطة حساسة في الشعور الانساني غير انها افلتت منه مرة اخرى * واجدر نقطة التفت اليها الزهاوي وبحثها بحثا وافيا هي لقاء اللوم على كاهل الحكومة التي لم ترع حقوق الجنود * ولو كان الزهاوي يملك الشعور الاجتماعي العام لالتقى جميع تبعات الفقر على الحكومة ، ورسم بعض

(٧) ديوان الرصافي ٢٢١

(٨) ديوان الزهاوي ٢٤٧

طرق الإصلاح التي يراها كما فعل الرصافي واخيرا ختم القصة واصفا آلام
الاستجداء والاستجداء وحده مشكلة اجتماعية نتيجة للفقر ، قال :
عليها ثياب رثة ومـلاءة كأحشائها في كل حين تبزل
تكفكف دمعاً بالبنان وكلما مشت خطوة او خطوتين تمهل
تمدّ يمينا للسؤال ضعيفة وتخجل منهم حينما هي تسأل
أرملة الجندي لا تخجلي فمن حقوق العلى ان الحكومة تخجل^(٩)

ولابد لي أن اشير الى محاضرات الزميل الكريم الدكتور ناصر الحاني التي
القاهها عن (جميل صدقي الزهاوي عام ١٩٥٤) والتي افرد جانباً منها في اثر
الفقر والمرض والفلاح في شعره واعتبره ذا قيمة اجتماعية اذ لم يكن الزهاوي
يكترث كثيراً بالطبقة الفقيرة وينصرف الى مشكلاتهم كما انصرف اليها الرصافي
والبناء وغيرهما ، فقد كان في سعة من العيش • اما الاشارات العابرة التي تمر
في شعره فليست لها القدرة على جعله من الشعراء الاجتماعيين •

ولعل البناء اكثر احتكاكاً من غيره من الشعراء بالطبقة الفقيرة ، فقد كان
بناءً ولا بد انه اشتغل كثيراً اجيراً يحمل الطين (طياناً) وذاق صنوف العذاب
والارهاق الذي يقاسيه العمال الصغار في العراق من جور البنائين ومساعدتهم
وتحكم اصحاب المال • وطبقة البنائين دائماً في العراق من افقر الطبقات • ويبدأ
البناء حياته طياناً وكلما طالت به الايام وابدى براعة وذكاء ووجد استاذاً يرعاه
ويقدمه تقدم في الصنعة حتى يتقنها فيكون بناءً مستقلاً بذاته • وقد ظهرت آثار
هذه البيئة في شعر البناء واضحة المعالم صادقة الصور ولو اتيح للبناء الوقت الكافي
لدراسة اساليب اللغة العربية وتمكن من السيطرة عليها لاصبح من خيرة شعراء
العراق فهو شاعر بالفطرة ، ذو ملكة متأججة ، وعاطفة دافقة ، ولكن العاطفة
والفطرة جانب من جوانب الاداء واذا لم يملك الشاعر لغة سليمة واتساعاً في
مفردات اللغة وعلماً بأساليب الشعراء فالاداة تكون ضعيفة وهذا ماحدث للبناء •
فقد كان عليه ان يكد ويكدح ليكسب قوته ويعيش ولكن العاطفة المتدفقة كانت

تسيطر عليه والملكة كانت تدفعه لان ينظم شعره خلال مراقبة العمال فقد رآه الاستاذ الاثري يوما واقفا يدير امور العمل والعمال ويديه صفيحة من الطابوق الاصفر يدون فيها شعره^(١٠) وبالرغم من ان شعره لم يكن متين الاسلوب رائع الديباجة الا انه رسم لنا خير الصور الواقعية واصدقها عن حياة الفقير في العراق ، فقد وصف امرأة فقيرة انهك جسمها الذل تعيش في كوخ مهدم وابنها الطاوي الجائع يطلب الطعام وهي تعلله ولكن لا تقدر على اطعامه فقد نضب الحليب في ثديها لانها جائعة مثله وقد عالج مشكلة الطفل الجائع الرصافي في الارملة المرضعة فوفق وعالجها الزهاوي في قصيدة أرملة الجندی فأخفق وعالجها البناء فخانته التعبير وبقيت صورة بدائية تتدفق منها الحياة ، قال البناء :

رأيت فتاة انهك الذل جسمها يحيط بها كوخ هناك مهدم

ووصف الطفل الجائع وكيف تعلله امة الجائعة :

تعالج طفلا يشتكي شدة الطوى وتحنو عليه والمدامع تسجم
وتعطيه ثديا اذهب الجوع دره فينظرها تبكي عليه فيغم
تعلله واليأس ملء جفونها يكلم عنها وهي لا تكلم^(١١)

انها أم جائعة معها ولدها جائع وهي موزعة الاحاسيس بين نفسها وولدها • ويتطرق البناء الى مشكلة مؤلة في العراق هي مشكلة معاملة الموظفين للفقراء واحتقارهم وكان الموظفين من عالم غير عالم الشعب وكثير من هؤلاء كانوا من نفس الطبقة •

وقد لاحظنا ان اكثرية الذين عالجوا مشكلة الفقر كانوا يحملون عواطف كريمة ، يريدون ان يحصل الفقير على حظ وافر من الغذاء والكساء والا يستغل ولا 'يستثمر' ، غير ان هذه العواطف كانت عواطف ذاتية تمثل حالة

(١٠) لاحظ مقدمة ديوانه الثاني

(١١) ديوان البناء الثاني

مر الشاعر بها ف شعر بشعور الآخرين ، فكان من ذلك ان شعر بالرحمة والحنان
فجاء شعره مطالباً الاغنياء بالاحسان الى الفقراء والرحمة بهم مع ان حق الحياة
الكريمة حق طبيعي لكل انسان في كل بلد متقدم وكان الاولى ان يطالب
الشعراء بتغيير نظام الشعب الاجتماعي ليشمل العدل الاجتماعي الجميع ، غير ان
الظروف التي نظم فيها الشعراء بها شعرهم كان شعرهم متأثراً بمثل محدودة الفكرة
لعدم تبلور الفكرة الاشتراكية وظهور المطالبة بحقوق الشعب واخذ العالم هذا
الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية ، فمن امثلة العطف على الفقراء قول محمد
الهاشمي :

سألني نظرة ملأت حناناً على البؤساء من طرف خشوع
يعيش الاغنياء على رخاء ونحن نعيش في بؤس وجوع

والقصيدة وصف حالة الفقير ومسكنه القذر واطفاله العراة النائمين على
الارض الجائعين بالليل يقضون ليلهم بالدموع والحسرات^(١٢) . وكما اوصى
الازري الناس بالاحسان الى الفقراء او اليتامى لان الله اوصى بهم فقال :
لو تنطق الاموات عن حال الاولى ذهبوا ضحايا ذلة وخمول
لبكيت من ألم المصيبة رحمة وكفاك مجملها على التفصيل
اني لاشعر في اليتيم اذا بكى خوف الاسير وذلة المعلوم
والله اوصى في اليتيم عباده في محكم القرآن والتنزيل^(١٣)

وتردي حالة العراق وانتشار الفقر بين ابناء الشعب اثار الشعراء فسرت
في شعرهم روح النقمة والثورة على سوء الوضع الاجتماعي فأخذوا يشنون
حملة شعواء على الترف الذي يرفل فيه الاغنياء ، بينما الفقير المدقع يصل
بالفقراء الى الجوع المهلك واخذوا يقارنون بين حياة الترف والفقير التعس
ولم يكن يخلو شعر شاعر من العطف على الفقراء . قال الجواهري :
ألم تر ان الشعب جل حقوقه هي اليوم للافراد ممتلكات

(١٢) الادب العصري ٢٠ و ٢١ ج ٢

(١٣) الادب العصري ص ٦٦ و ٦٧ ج ٢

وطالب بالعدل بين الفقراء والاغنياء فقال :

ولو كان حكم عادل لتهدمت على أهلها هايتكم الشرفات

فيصف بيوت الفقراء فيقول :

بيوت على أبوابها البؤس طافح وداخلهن الانس والشهوات^(١٤)

وفي قصيدة اخرى يفضل الفقير على الغني ويدعو الى احترامه وتقديره^(١٥) وبحث مشكلات المجتمع العراقي بحاجة الى دراسة وحدها ولكننا نوجز فنقول بأن الشعراء عالجوها بروح مخلصه ومنهم : محمد بهجة الاثري^(١٦) ومحمود الجبوبي^(١٧) وابراهيم الباجه جي^(١٨) وجواد الشبيبي^(١٩) وكاظم الدجيلي^(٢٠) وعلي الشرقي^(٢١) والشبيبي^(٢٢) والزهاوي^(٢٣) ومحمد صالح بحر العلوم الذي وصف حال الفقير وما يقاسيه ووصف رب القصر وما يرفل فيه من النعيم والقي تبعه ذلك بصراحة على الحكومة والبرلمان الذي لا يجدي الفقراء نفعا ، فعليهم ان يخرجوا الاخشاب المسندة ، فقال :

فالظلم منتشر والعدل مندرس	والزيف متبع والحق مهتضم
حكومة صوت من يشكو ظلامته	لها يتعده عن سمعها الصمم
ومجلس فيه اخشاب مسندة	بلا حراك فاين النفط والضرر ^(٢٤)

(١٤) الديوان الثاني بغداد ٩٥٠ ص ١٦١-١٦٥ العراق العدد ٢٥٨٥/١٠/٢٩

(١٥) العراق العدد ٨١٢ السنة الثامنة ١٩٢٣

(١٦) مجموعته الخطية

(١٧) الغري العدد المزدوج ٢٩ و ٩٤٨/٩/٢٠

(١٨) العراق العدد ١٢٣٦/٥/٢٤

(١٩) ديوان الشيخ جواد المخطوط

(٢٠) دار السلام الاعداد ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩١٩/٢/٢٠

(٢١) ديوان الشرقي ص ١٨٨

(٢٢) ديوان الشبيبي ص ١٠٩

(٢٣) الباب ص ١٢١

(٢٤) العواطف ص ١١٨

وبعد الحرب العظمى الثانية تبلورت 'مثل الرحمة بالفقير والعطف والاحسان الى الفقراء ، فقد اخذ المفكرون يطالبون بالمساواة واتاحة العيش الشريف للشعب اجمع لان الشعب هو صاحب الحق وان الظروف الشاذة التي مرت بالعراق هي التي خلقت طبقة من الاغنياء استغلت الاكثرية بطرق متنوعة ويجب ان يعود الحق الى اهله وان ينال هؤلاء قسطا وافرا من الرفاه والسعادة وكان من طليعة هؤلاء المفكرين جماعة عادت من اوربا واخذوا يقارنون بين حالة الشعب السيئة وحالة اوربا وما حصلت عليه الشعوب من هناء وسعادة ورفاء وقد تبعهم جل الشعراء الشباب والطبقة الواعية المثقفة في البلد .

وختاما يا قارئ العزيز

هذه جولة سريعة قدمتها لك عن الشعر العربي في العراق في تياراته السياسية والاجتماعية وقد ذكرت لك اهم هذه التيارات التي هيمنت على الشعر العربي ، واثرت تأثيرها العميق في توجيهه . . وهو بحاجة الى دراسة أكثر تفصيلا واتساعا من كتابي هذا فقد كنت مضطرا الى العناية بالاتجاهات أكثر من عنايتي بالشعراء أنفسهم وقد سرت والتاريخ في دراستي هذه لتكون على بينة من أمر وطنك ولتعلم مقدار تأثير التاريخ في حياتك وشعبك وأثر الادب في تاريخك . . وقيمة احساس الشعراء الغالية واخلاصهم العميق لتربة هذا الوطن .

ومعذرة مما وقعت فيه من أخطاء ولكل عالم كبوة فكيف بي وأنا طالب بحث مستجد فخذ بيدي وعاوني على الصواب . . ولك من الله العلي الكبير والتاريخ القاسي في عدله المنصف في حكمه ومنى أجزل الثواب .

يوسف عز الدين السيد أحمد

المصادر (*)

- | | |
|---|---|
| <p>انستاس ماري الكرملی
نعمان خیرالدین الآلوسی

عبدالفتاح الشواف
محمد الباقر الحلی
خیری الهنداوی
انستاس الكرملی
مصطفی جواد
محمد بسیم الذویب
محمد صالح بحر العلوم
حسن الجواهری
ناجی القشطینی
خضر القزوینی
محمد بهجة الاثري
معروف عبدالغني الرصافي
عباس البغدادي
یوسف عزالدین

یاسین العمري
عیسی عبدالقادر</p> | <p>١ - المخطوطات
١ - امثال بغداد والموصل
٢ - الاصابة في منع النساء
من الكتابة
٣ - حديقة الورود
٤ - مجموعة الاشعار والخطب
٦ - ديوان الهنداوي
٧ - ديوان التفات
٨ - الشعور المنسجم
٩ - مجموعة شعر
١٠ - »
١١ - »
١٢ - »
١٣ - »
١٤ - ديوان الاثري
١٥ - مذكرات الرصافي
١٦ - نيل المراد
١٧ - العراق في القرن التاسع
عشر
١٨ - غاية المرام
١٩ - قصائد من شعر</p> |
|---|---|

(*) هذه المصادر التي امکن الاستفادة منها مباشرة وهناك مصادر اخرى لم اذكرها لان فائدتها لم تكن مباشرة .

٢ - الكتب المطبوعة

القاهرة ١٩٤٠ م	مصطفى علي	ادب الرصافي
القاهرة ١٣٤٥ هـ	محمد بهجة الاثري	اعلام العراق
جزءان القاهرة ١٩٢٣	رفائيل بطني	الادب العصري
بغداد	خالص حمادي	الاخبار في سير الرجال
النجف	محمد جمال الهاشمي	الادب الجديد
جزءان القاهرة ٥٤ و ٥٦	الدكتور محمد حسين	الاتجاهات الوطنية
ج ١ بيروت	انيس المقدسي	الاتجاهات الادبية
مصر ١٩٥٤	التيارات الادبية الحديثة في العراق جميل سعيد	التيارات الادبية الحديثة في العراق
ج ٢ » ١٩٥٢	» »	الاتجاهات الجديدة
دمشق ١٩٣٢	احمد الصافي النجفي	الامواج
بغداد ١٩٣٤	جميل صدقي الزهاوي	الاشغال
بغداد ١٩٥١	سعيد البدري	آراء الرصافي
بيروت ١٩٤٩	العراق ترجمة جعفر الخياط	اربعة قرون من تاريخ
بغداد ١٩٥٦	ظافر الآلوسي	امثال واقوال بغدادية
مصر ١٩٢٢	سعد ميخائيل	ادب العصر
بغداد ١٩٥٧	ابراهيم كبه	الاقطاع في العراق
النجف ١٩٣٥	عبدالرزاق الحسيني	تاريخ الصحافة العراقية
بغداد ١٩٢٢	يوسف غنيمه	تجارة العراق
بغداد ١٩٣٥	مجيد خدوري	تحرر العراق من الانتداب
١٩٣٥ »	عبدالقادر الخطيبي الشهرستاني	تذكرة الشعراء
القاهرة ١٩٤٥	احمد الشايب	تاريخ الشعر السياسي
١٣١٦ هـ »	عبد الباقي العمري	الترياق الفاروقي
بغداد	محمد مهدي البصير	تاريخ القضية العراقية
جزءان بغداد ٩٢٥ و ٩٢٤	تاريخ مقدرات العراق السياسية أمين العمري (١)	تاريخ مقدرات العراق السياسية
بغداد ١٩٤٦	(فوستر) ترجمة عبد المسيح جويده	تكوين العراق الحديث
» ١٩٢٦	احمد فهمي	تقرير حول العراق
صيدا ١٩٣٦	عبدالرزاق الحسيني	الثورة العراقية
١٩٣٤	امين سعيد	العربية الكبرى

(١) كتب المؤلف عليه اسم اخيه محمد طاهر العمري لانه كان موظفا عنده
الف الكتاب .

ثورة العرب مقدماتها اسبابها نتائجها		
١٩١٦	احد اعضاء الجمعيات العربية مصر	
جنايات الانكليز على البشر		
١٩١٦	بيروت محمد حبيب العبيدي	وعلى المسلمين خاصة
الحقائق الناصعة في الثورة العراقية		
١٩٥٣	مجلدان بغداد فريق مزهر الفرعون	
١٩٣٦	بغداد طه الهاشمي	حرب العراق
حبس الاعتصام ووجوب		
١٩١٦	بيروت محمد حبيب العبيدي	الخلافة في دين الاسلام
١٩٤٧	بغداد مهدي العبيدي	حقيقة الزهاوي
١٩٤٨	»	حالة العراق الصحية في ربع قرن
١٩٥٣	مصر دراسات في الشعر العربي المعاصر شوقي ضيف	
١٩٤٩	ثلاثة اجزاء بغداد ديوان كاظم آل نوح	
عبد المحسن الكاظمي المجموعة الاولى دمشق		ديوان الكاظمي
٩٤٨	الثانية القاهرة	» »
١٩٤٧	القاهرة معروف الرصافي	» الرصافي
١٩٤٠	» محمد رضا الشبيبي	» الشبيبي
١٩٤٨	النجف صالح التميمي	» التميمي
١٩٢٨	بغداد محمد مهدي	» الجواهري
٥٣ و ٥٠ و ٤٨	بغداد ثلاثة اجزاء	» »
١٩٣٢	بغداد عبد الرحمن البناء	ديوان البناء
١٩٠٨	مطبعة الاخبار البستاني	الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده سليمان البستاني
١٩٣٣	بغداد محمد عبد الحسين	ذكرى فيصل الاول
١٩٣٣	» عبد الرزاق أمين	ذكرى الخالصي
١٩٢٥	» عبد الرحمن البناء	» استقلال العراق
١٩٢٩	» علي الشرقي	» السعدون
١٩٣٠	» طه الراوي	» يوسف السويدي
١٩٤٨	القاهرة مصطفى علي	الرصافي
١٩٥٠	بغداد نعمان ماهر وسعيد البديري	الرصافي في اعوامه الاخيرة
١٩٤٨	الموصل مصطفى الواعظ	البروض الازهر
١٩٣٩	بغداد ابراهيم منيب الباجه جي	زنانق الحقل

١٩٥٠	بغداد	عباس علي	زعيم الثورة العراقية
١٩٢٩	القاهرة	رفائيل بطي	سحر الشعر
١٩٤٩	»	مظفر حسين النجميل	سياسة العراق التحررية
١٩٤٩	بغداد	محمد علي كمال الدين	سعد صالح
١٩٥٥	القاهرة	رفائيل بطي	الصحافة في العراق
١٣٤٠هـ	بغداد	محمد مهدي البصير	الشذرات
١٩٥٤-١٢	جالنجف	علي الخاقاني	شعراء الغري
١٩٥١-٥	جالنجف	»	» الحللة
١٩٥٨	بغداد	الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين	الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين
١٩٤٤	مصر	شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ثعلب	شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ثعلب
١٣٠٤هـ	الاستانة	عبد الغفار الاخرس	الطراز الانفس
١٩٣٦	بغداد	متى عقراوي	العراق الحديث
١٩٣٧	النجف	محمد صالح بحر العلوم	العواطف
بغداد		على هامش الثورة العراقية فراتي	على هامش الثورة العراقية
		العراق في دورى الاحتلال والانتداب	العراق في دورى الاحتلال والانتداب
١٩٣٥	صيدا	عبد الرزاق الحسنى	عبد الرزاق الحسنى
١٩٣٥	بغداد	عبد الفتاح ابراهيم	على طريق الهند
١٩٣٥	بغداد	علي الشرقي	عواطف وعواصف
١٣٥٩ هـ	الموصل	ياسين العمري	غرائب الاثر
١٣٢٧هـ	بغداد	ابو الشاء الالكوسي	» الاغتراب
١٩٥٢	بغداد	سليمان فيضى	في غمرة النضال
١٩٠٥	القاهرة	جميل صدقي الزهاوي	الفجر الصادق
١٩٤٥	بغداد	فيصل بن الحسين في خطبه واقواله مديرية الدعاية العامة	فيصل بن الحسين في خطبه واقواله مديرية الدعاية العامة
١٩٥٤	بغداد	طلعة الشيباني	القوى المؤثرة في الدساتير
١٩٢٨	»	جميل صدقي الزهاوي	اللباب
١٩٣٣	»	محمد صالح السهروردي جزءان	لب الالباب
١٣٢٨هـ	بيروت	جميل صدقي الزهاوي	الكلم المنظوم
١٩٥٤	بغداد	محاضرات عن جميل الزهاوي ناصر الحاني	محاضرات عن جميل الزهاوي ناصر الحاني
١٩٥٦	بغداد	المعدان او سكان الاهوار (تسكرك) ترجمة باقر الدجيلي	المعدان او سكان الاهوار (تسكرك) ترجمة باقر الدجيلي
١٩٥٤	»	مشروع اصلاح القرى في العراق محمود نديم اسماعيل	مشروع اصلاح القرى في العراق محمود نديم اسماعيل
١٩٣٦	»	مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى تحسين العسكري	مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى تحسين العسكري

١٩٤٦	بغداد	مقدمة في كيان العراق الاقتصادي هاشم جواد
١٩٣١	جا ١	مقالات فهمي المدرس
١٩٣٤	القاهرة	مذكراتي في نصف قرن احمد شفيق باشا
١٩٥٣	بغداد	مقدمة في دراسة العراق المعاصر زكي صالح
		مجموعة امثال الموصل القس الفونس شوريز
١٩٤٧	القاهرة	معروف الرصافي احمد بدوي طبانة
١٩٠٩	مصر	المعلوم والمجهول ولي الدين يكن
	مصر معهد الدراسات العربية العالية	محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال عبد الرحمن البراز
١٩٥٥	بغداد	مشكلة الموصل فاضل حسين
١٩٢٤	بغداد	مختارات في السفور والحجاب مصطفى عبد الجبار القاضي
١٩٤٠	بغداد	النظام السياسي في العراق محمد عزيز
١٩٣٦	»	» النقدي في العراق عبد الرحمن الجليلي
١٩٥٤	لبنان	نظرات في اصلاح الريف عبد الرزاق الهاللي
		الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية
١٩٥٤	بغداد	علي البارزكان

٣ - المصادر الرسمية

١٩٥٣	بغداد	الملكية الصغيرة في العراق حسن محمد علي
١٩٢٤	»	مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي وزارة الداخلية
١٩٥٠	»	الاصلاح الزراعي واعداد الاراضي وزارة الاعمار
١٩٥٤	»	تقدم العراق الاقتصادي البنك الدولي للانشاء والاعمار
١٩٣٠	»	معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا مطبعة الحكومة
١٩٥٥	بغداد	نشرة الاحصاء الصحي والحياتي وزارة الصحة
١٩٥٥	بغداد	التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣-١٩٥٤

الجرائد والمجلات

١٩٣٤	عبد الله حافظ	الاخاء الوطني
١٩٣١	علي جودة الايوبي	»
١٩٣٧-١٩٣٦	محمد مهدي الجواهري	الانقلاب
١٩٢٨-١٩٢٦	عبد الرحمن البناء	الاخلاق (مجلة)

١٩٢٣	معروف الرصافي	الامل
١٩٣٧-١٩٣٥	كامل الجادرجي	الاهالي
١٩٤٠-١٩٢٦	عبدالفور البديري	الاستقلال
١٩٢٧-٩٢٧	عبدالرحمن السيد	الاخاء
١٩٢٧-١٩٢٥	عبدالجليل آل جميل	الارشاد (مجلة)
١٩٤٠-١٩٢٩	رفائيل بطّي	البلاد
١٩٣٣-١٩٣١	عبدالرحمن البناء	بغداد
١٩١٠	عبدالهادي الاعظمي	تنوير الافكار
١٩٢٩-١٩٢٨	سلمان الشيخ داود	التقدم
١٩٢٧ نجف	عبدالمولى الطريحي	الحيرة (مجلة)
١٩٣٧-١٩٣٦	مكي الجميل	الحارس
١٩٢٥ و ١٩٢٤	رفائيل بطّي وعبدالجليل رزق الله	الحرية (مجلة)
١٩٢٢-١٩٢١	داود السعدي	دجلة (مجلة)
١٩٢٠-١٩١٨	انستاس ماري الكرملّي	دار السلام
١٩٠٩ (١٣٢٨ هـ)	عبداللطيف ثنيان	الرقيب
١٩١٠ البصرة	يوسف السامرائي	الرشاد
١٩٤٠-١٩٣٧	محمد مهدي الجواهري	الرأي العام
١٩٢٧	ابراهيم صالح شكر	الزمان
١٩٤٠-١٩٣٧	توفيق السمعاني	»
١٩٢٢	عبدالاحد حبوش	الزنبقة (مجلة)
١٩٢٥	يوسف غنيمه	السياسة
١٩٢٥-١٩٢٤	خلف شوقي الداودي	شط لعرب
١٩٣٠	عبدالرزاق الحصان	صدى العهد
١٩٣١	عبدالهادي الجلبّي	»
١٩١٤-١٩٠٩	داود صليوا	صدى بابل
١٣٣٤-١٣٣١ هـ	عطاء الخطيب	صدى الاسلام
١٩١٢	عبدالله الزهير	الدستور
١٩٢٥	حسين الرجال	الصحيفة
١٩٣٦-١٩٣٤	توفيق السمعاني	الطريق
١٩١٨-١٩١٨	مجلة رسمية	العالم الاسلامي
١٩٢٠-١٧	جريدة رسمية	العرب
١٩٢٣-٢٢	حسن الفصيصة	العاصمة

١٩٤٦-١٩٢٠	رزوق غنام	العراق
١٩٣٩-١٩٣٨	يونس بحري	العقاب
١٩٤٧-٢٩	عبدالرضا شيخ العراقين	الغري (مجلة)
١٩٢٢-١٩٢١	عبداللطيف الفلاح	الفلاح
١٩٢٦-١٩٢٥	عبدالرزاق الحسيني	الفضيلة
١٩١٤-١٩١١	انستاس الكرملي	لغة العرب (مجلة)
١٩٣٢-١٩٢٦	» »	»
١٩٢٢-١٩٢١	ابراهيم حلمي العمر	لسان العرب
١٣٣٨-١٣٣٧ هـ	علي رضا انغزالي	البيان (مجلة)
١٩٢٤-١٩٢٣	بولينا حسون	ليلي (مجلة)
١٨٢٩ و ٢١ و ٢٥	محمد الحسيني	المرشد (مجلة)
١٩٢٥-١٩٢٤	ابراهيم حلمي العمر	المفيد
١٩٣٠-١٩٢٩	ابراهيم صالح شكر	المستقبل
١٩٢٦-٢٥	احمد عزة الاعظمي ونوري الاورفلي	المعرض
١٩١٠ القاهرة	احمد ماضي وعلي يوسف	المؤيد
١٩٢٨-١٩٢٠	مجلة رسمية وصدرت جريدة	الموصل
١٩١٢-٩٠٢ القاهرة	محمد رشيد رضا	النار
١٩١١-٩١٠ مصر	محمد كرد علي	المقتبس (مجلة)
١٣٤٥-٤٤ نجف	يوسف رجب	النجف
١٩٣٢-٢٩	عبدالرحمن البناء	النور
١٩٣٠-١٩٢٧	حزب النهضة العراقية	النهضة العراقية
١٩٢٩-١٩٢٦	حزب الشعب	نداء الشعب
١٩٣٠	ياسين الهاشمي	» »
١٩٢١	ابراهيم صالح شكر	الناشئة
١٩٢٥-١٩٢٢	» » »	الناشئة الجديدة
١٩٢٥-٢٢	محمد الهاشمي	اليقين

(1) ENGLISH BOOKS

- BELL, Lady Florence. Letters of Gertrude Bell. Vol. 2 London 1927.
- Miss Gertrude Bell. Review of the Civil Administration of Mesopotamia. London 1920.
- Civil Administration of Mesopotamia. London 1920.

- | | |
|----------------------|--|
| Churchill, Winston. | The Second World War. Vol. 3 London, 1950. |
| Foster, Henry. | The Making of Modern Iraq. London 1936. |
| Haldane, Sir Aylmer. | The Insurrection in Mesopotamia. 1920. London, 1922. |
| George Antonius. | The Arab Awakening. London 1938. |
| Ireland, P. | Iraq. A Study in Political Development. New York, 1936. |
| Longrigg, S. H. | Iraq. 1900 - 1950. London, 1953.
Four Centuries of Modern Iraq. London. 1925. |
| Muir, R. | Political Consequences of the Great War. London, 1932. |
| Toynbee, A. | Turkey, London. 1926. |
| Wilson, Sir. A. T. | Mesopotamia. London, 1943. |

(2) *OFFICIAL REPORTS.*

Report by H. M. Government in U. K. of G. B. and Northern Ireland to Council of the League of Nations on The Administration of Iraq for the year 1928 and Colonial No. 44. H. M. Stationery Office, London, 1929.

League of Nations, Question of Frontier Between Turkey and Iraq C. 400 M. 47. 1925.

The Official Story of the Persia and Iraq Command 1941 - 46. H. M. Stationery Office.

Anglo - Iraq - Treaty. Baghdad. 1929.

Encyclopaedia Britannica. XIIIth edition. Vol. 2.

ملحق رقم (١)

(مقتطفات من معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا العظمى الموقع عليها في ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠)

أ - من المقدمة

ولما كانت حكومة جلالة (بريطانيا ٠٠٠٠٠) قد اعلنت الحكومة العراقية بلا قيد ولا شرط في ١٤ ايلول ١٩٢٩ انها مستعدة لعرض ترشيح العراق لدخول عصبة الامم سنة ١٩٣٢ واعدت لمجلس العصبة في ١٤ كانون الاول ١٩٢٩ ان هذه هي نيتها ولما كانت المسؤوليات الانتدابية التي قبلها صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ستنتهي من تلقاء نفسها عند ادخال العراق عصبة الامم ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك بريطانيا يريان ان الصلات التي ستقوم بينهما بصفة كونهما ملكين مستقلين ينبغي تحديدها بعقد معاهدة تحالف وصدقة • فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام تصبح نافذة المفعول عند دخول العراق عصبة الامم ••

ب - من المادة الرابعة

ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محقق تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات •

ج - من المادة الخامسة

يتعهد جلالة ملك العراق بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة او في جوارها موقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات •

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية ، في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآتفة الذكر وفقا لاحكام ملحق هذه المعاهدة على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالا ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق •

معجم الاعلام

لم نذكر في هذا المعجم (العراق • الاسلام • الاتراك • العرب) وغير ذلك من الكلمات التي ترد كثيرا •

- أ -

- ٩٦ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٩٠ -
الاتحاد والترقي (= الاتحاديون):
٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٤٤ - ٤٦ -
٤٧ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٩ - ٧٠ - ١٣١ -
١٤١ -
الاثري ، محمد بهجة : ٢٣٠ -
٢٥٧ - ٢٦٣ - ٢٨٤ - ٢٨٦ -
احمد ، اكرم : ٢٣٠ -
الاحمدية (جامع) : ١٥٢ - ١٥٣ -
الاخاء العربي (جمعية) : ١٣٩ -
الاخاء الوطني (جمعية) : ١٣٩ -
الاخاء الوطني (حزب) : ٢١٧ - ٢٢٢ -
ادرنة : ٦٢ - ٦٥ -
الادريسي : ٤٩ -
اربيل : ٢٢٢ -
الارخبيل (جزر) : ٦٢ -
الازري ، (عبدالحسين) : ٣٣ - ٢٥٦ -
الاستانة : ١٣ - ١٤ - ١٧ - ١٩ -
- الائتلاف (حزب) : ٣٣ -
آل نوح ، كاظم : ٨٠ - ٩٧ -
١٠٠ - ١٠١ -
الآلوسي ، نعمان : ١٧ -
ابراهيم ، حافظ : ٢٥٤ -
آبري : ٦ -
ابو تمام : ١١٣ -
ابو التمن ، جعفر : ١٤٩ -
ابو الجون ، شعلان : ١٥٩ - ١٦٣ -
١٨٩ -
ابو الحسن ، السيد : ١٨٦ -
ابو دلالة : ١٢٦ -
ابو زيد (الدكتور حكمة) : ٦ -
ابن ابي سلمى ، زهير بن : ١٢١ -
ابو طيخ ، عبدالمحسن : ١٨٦ - ١٨٩ -
ابو القاسم (الكاشاني) : ١٤٩ -
ابو المحاسن ، محمد حسن : ٨١ -

- ٣٩ - ٥٠ - ٦٢ - ٦٤ - ٧٦ - ٧٩ -
 ٨٠ - ٨٩ - ١٠٥ - ١٧٩ - ١٤١
 اسعد ، شاکر : ٢١٢
 اسماعيل (موظف عراقي) : ١٠١
 اسماعيل ، خليل : ٢٦٣
 الاصفهاني ، شيخ الشريعة : ١٥٨
 افريقيا : ٦٠
 الافغان : ١٣١
 الافغاني : ٢٥٤
 البانيا (= الالبان) : ٦٣-٦٢
 المانيا : ٧٦-٧٧-٧٩-٨٠-٨٣ -
 ٨٤-٨٩ - ١٠٥ - ١٢٩
 امريکا : ٢٥١
 امين ، قاسم : ٥١
 الاناضول : ١٧-٢٨
 انكلترا : ٢٦-٢٧ - ٨٠ - ٨٣ -
 ٩٣ - ١٠١ - ١١٨ - ١٥٤ - ١٥٥ -
 ١٧٥ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ -
 ١٩٤ - ١٩٩ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٩ -
 ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٤٩ -
 انور باشا : ٢٩ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٣ -
 ٨٤ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -
 ١٣١ - ١٧٢ -
 اوربا : ١٣ - ٤٨ - ٥٠ - ٢٦٥
 ايران : ١٩-٢٧-١٨٦
 ايطاليا : ٢٧ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٣ -
 ٥٩ - ٩١
 ايوان كسرى : ٩٧
- ب -
 باب الطلسم : ١١١
 بابان ، حمدي : ١٥٧
 الباجه جي ، ابراهيم منيب : ٣٨ -
 ٤١ - ١٢٨ - ٢٨٦
 الباجه جي ، حمدي : ٢١٧
 الباجه جي ، مزاحم : ٢١٧
 باريس : ٢٤ - ٤٨ - ١٢٩
 البازركان ، علي : ١٤٩-١٥٨
 باش اعيان (مكتبة) : ٤
 الباقر ، محمد = الحلبي
 بحر العلوم ، محمد صالح : ١٦٧
 ١٦٨ - ٢١٠ - ٢١٩ - ٢٧٠ - ٢٨٦
 برقة : ٥٦
 برلين : ١٣١
 بستانه ، عبدالرزاق : ٦
 بريطانيا = انكلترا
 البسفور : ٨٠
 البصرة : ١٧ - ٧٣ - ٨٦ - ٩٢ -
 ١٤٠ - ١٤٨ - ١٧٥
 البصرة الاصلاحية (جمعية) : ١٣٩
 البصير ، محمد مهدي : ٢٩-٨٠
 ١٠٢ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٨ - ١٢٩ -

البناء ، علي : ٢٨-١٠١

بولونيا : ١٠٤

بيروت : ١٠٧

- ت -

تركستان : ١٣١

تركيا : ٤٩ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٩ -

١٠٥ - ١٨٧ - ٢٦٥

تفليس : ١٣١

التقدم (حزب) : ٢٢٦ - ٢٢٧

التكريتي ، العقيد عبدالرحمن : ٦

تل السور : ٩٦

التميمي ، (صالح) : ٤٨

تونس : ٥٤ - ٥٥

- ج -

الجادر جي ، رفعة : ١٤٩ - ١٥٧

الجادر جي ، كامل : ١٣٨

جاسم ، يحيى : ٦

الجبل الاسود : ٤٩ - ٦٢

جرجل ، ونستون : ٧٩-١٧٦

الجزائري ، محمد جواد : ١٤٢

الجعفري ، صالح : ٢١٧ - ٢٢٢

جمال باشا (السفاح) : ٢٤ - ٧-

٧٩ - ١٠٤ - ١٣١

جميل ، حافظ : ١٩٢

جنكيز خان : ١١٣

- ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣

- ١٥٦ - ١٧٤ - ١٩٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩

بطي ، رفايل : ٢٢٢ - ٢٣١ -

٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٦٣

بغداد : ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ -

- ٢٩ - ٣٧ - ٥٩ - ٨١ - ٨٦ - ٩١ -

- ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦ -

- ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ -

- ١١٥ - ١١٩ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٥٢ -

- ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٠ - ٢٢٨ - ٢٥٢ -

- ٢٥٧ - ٢٦٢ - ٢٦٩

البغيلة : ١٠١

بكر صدقي ، عوني : ٢٦٣

بل ، مسز : ١١٦ - ٢١٠

بلاد الالبان = البانيا

بلجيكا : ١٢٩

بلغاريا (= البلغار) : ٤٩ - ٦٢ -

٦٣ - ٦٥ - ٦٩

البلقان : ٤٩ - ٥٣ - ٦٢ - ٦٣ -

٦٦ - ٦٨ - ٨٩

بنغازي : ٥٤

البناء ، عبدالرحمن : ٢٨-٣٨-٤٦

- ٥٩ - ٧٨ - ٨٠ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ -

- ١١٠ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٩١ -

- ١٩٧ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٢٣ - ٢٣٠ -

- ٢٦٣ - ٢٦٤

الحلي ، عبدالمطلب : ٣٠ - ٣٣ -

٥٩ - ٦١ - ٨٤ - ٩١ - ١٠٠

الحلي ، محمد باقر (باقر) : ١٤٣ -

١٤٤ - ١٥١ - ١٥٧ - ١٩٣ -

حلمي ، عباس : ٢٧٦

حمادة ، خليل : ١٣٩

حمرين (جبل) : ١١١

الحويزي ، عبدالحسين : ١١٩

حيدر ، باقر : ٨٤

حيدر ، عبدالكريم : ١٤٩

الحيدر خاته (جامع) : ١٤٧ - ١٤٨ -

١٥٢ - ١٥٦ - ٢٦٢ - ٢٨٠ -

الحيدري ، عبدالرحمن : ١٤٩

- خ -

الخالصي : ١٦٠ - ١٦١

الخالصي ، مهدي : ١٨٦ - ١٩٤ -

الخضيري ، ياسين : ١٤٩

الخطيب ، عطاء الله : ٩٩

الخطيب ، علي : ٢٠٨

خلف الله احمد ، محمد ٢ - ٣ -

خليل باشا : ٢٨ - ٩٥ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ -

١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦ -

خليل بك : ١٤١

الخليل ، عبدالكريم : ١٣٩

جواد ، مصطفى : ١٥١ - ١٦٠ -

١٦١

الجواهري ، حسن : ١٥١ - ١٥٨ -

الجواهري ، عبدالعزيز : ٤١ - ٦٢ -

الجواهري ، محمد مهدي : ١٥١ -

١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ -

١٦٨ - ١٩٣ - ٢١٣ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -

٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٧٥ - ٢٨٥ -

جورج (الخامس) : ١١٨

جورج ، لويد : ١٧٥

- ح -

حافظ = ابراهيم ، حافظ

الحاوي ، الدكتور ناصر : ٢٨٣

الحجوبي ، محمد سعيد : ٩١ - ١١٤ -

الحجوبي ، محمود : ٢٦٣ - ٢٧٦ -

٢٨٦

الحجاز : ١٤١ - ١٧٢ - ١٨٣ -

الحر (حزب) : ١١٧

حرس الاستقلال (جمعية) : ١٤٧ -

الحسين (ع) : ١٤٧ - ٢١٦ -

حسين (الملك) : ٣٠

حسين ، محمد : ٣٩

الحلة : ١٥٢ - ١٥٦ -

الحلي ، احمد حقي : ١٩١ - ٢٣٠ -

الحلي ، صالح : ٣٢ - ٩١ -

رجب باشا (وزير) : ٣٨

رجيب ، يوسف : ١٧

الرجال ، حسين : ٢٦٣

الرحيمي ، ابراهيم : ٢٥٥

الرسول = محمد (ص)

رشاد = محمد رشاد

رشي ، حسين : ٩٠

الرصافي ، معروف : ٣-٢٣-٢٤-

٢٥ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٤ -

٤٥ - ٤٦ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٩ -

٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٩ - ٨٩ - ٩٠ -

١٠٧ - ١٠٨ - ١١٧ - ١٢٥ - ١٢٦ -

١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٠ - ١٤٠ - ١٩١ -

١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ -

٢٠٧ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٢ - ٢٢٨ -

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ -

٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ -

٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ -

٢٨٣ - ٢٨٤

رضا ، محمد رشيد : ٤٨

الرمثة (واقعة) : ٥٩ - ١٦٠

الريمض ، بدر : ١٧

روسيا : ٢٧ - ٧٩ - ١٢٦

روما : ٥٧ - ١٢٩

رومانيا : ١٢٩

الريحاني ، امين : ٢٢٦

خليل ، محمد : ١٩٨

الخوري ، بشارة : ١٣٧

- د -

داود ، احمد الشيخ : ١٤٩

داود باشا : ١٥

داود ، سلمان الشيخ : ١٩٥

داود ، محمد رشيد الشيخ : ٢٦٢

دجلة : ١٠٨

الدجيلي ، كاظم : ٢٩ - ١٣٠ -

٢٨٦

الدجلة - مشروع : ٢٦٩

الدخيل ، سليمان = النجدي

الدردنيل : ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٩٧ -

٩٩ - ١٠٢ - ١٠٣

دركولتز ، فون : ٧٧

الدفتري ، محمد هادي : ٢٣٠

الدفتري ، فؤاد : ١٤٩

الدليم : ١٦٠

دوبس ، هنري : ١٩٨

الدوري ، حسن النقي : ٩٧

ديالى : ١٦٠ - ١٦١ - ٢٧٠

الديوانية : ١٥٦

- ذ -

ذويب ، محمد بسيم : ٢٥٠

- ر -

الرارنجية (معركة) : ١٥٩-١٦٠

- ز -

السعود ، (عبدالعزيز بن) : ٨٣

السعيد ، نوري : ٢١٧

سكر ، عبدالواحد : ١٩٨

سلانيك : ٣٤ - ٣٩ - ٤٠ - ٦٩

سلمان باك : ٨٥ - ٩٦ - ٩٧ -

١٠٢ - ١٠٤

سليمان باشا (وال) : ١٥

سليمان ، حكمة : ٢١٧

السماعي ، محمد طاهر : ٢٧-٣٩

- ٢٥٥

السنوسي : ٥٤

السوداني ، جواد : ٢١٨ - ٢١٩ -

٢٢٠ - ٢٧٦

سوريا : ١٨ - ١٩ - ٢٣ - ٢٤ -

٧٩ - ١١٢ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٧٢ -

١٧٦ - ١٨٣ - ١٨٦ - ١٩١

السويدي ، يوسف : ١٤٩ - ١٥٦ -

١٥٧ -

زغلول ، سعد : ٢٢٨ - ٢٢٩

الزهاوي ، ابراهيم ادهم : ٢١٩ -

٢٢٠

الزهاوي ، أمين : ١٩٥

الزهاوي ، جميل صدقي : ٢٥ -

٢٦ - ٣١ - ٣٧ - ٣٨ - ٤٦ - ٥٩ -

٨١ - ٨٤ - ٩٧ - ١٠٣ - ١٠٨ -

١١٦ - ١١٧ - ١٢٧ - ٢٨ - ١٣٨ -

١٤٠ - ١٤٤ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٧ -

١٧٧ - ٢٣٠ - ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٥٧ -

٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦١ -

٢٦٢ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٦ -

الزهاوي ، عبدالقادر : ١٩٣

الزهاوي ، عبدالحميد : ١٣٩

الزهاوي ، عبدالكريم : ١٣٩

زوبع (قبائل) : ١٧٣

زين الدين ، نظيرة : ٢٥٤

- ش -

الشام = سوريا

الشيبي ، جواد : ٢٦٢ - ٢٦٣ -

٢٨٦

الشيبي ، محمد باقر : ٦٢ - ١٣٠ -

٢٠٥ - ٢١٤ - ٢١٧ - ٢٢٠ -

الشيبي ، محمد رضا : ٢٩ - ٣٠ -

- س -

سامراء : ١١٢

سارجنت : ٦

سر كشك ، محمد عبدالحسين : ١٥١

السعدون ، عبدالحسن : ١٨١ -

٢١٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ -

٢٣١ - ٢٣٢

ط -

طاونزند : ٩٥
طبانة ، (بدوي) : ٣٣
طرابلس : ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ -
٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ -
٥٩ -

طلعت (باشا) : ٧٩ - ١٠٤ - ١٣١
الطورانية : ٧٠ - ١١٣

ظ -

الظاهر ، احمد : ١٤٩
الظريفي ، حسين : ٢٦٣
الظوالم (عشائر) : ١٥٩

ع -

عائشة (ام المؤمنين) : ٢٥٤
عاكف باشا : ١٧
العاني ، شفيق : ٢٢٠
عبد الحميد (السلطان) : ٢٢ - ٣٤
٣٥ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤ -
عبد السلام ، مصطفى عزة : ٢٦٣
عبد علي ، عبد المجيد : ٦
عبد القادر ، عيسى : ١٤٨ - ١٥١
عبد المحسن = السعدون
عبد المطلب = الحلبي
العبطان ، محمد : ١٥٧

٣٣ - ٣٧ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٧٨ -

٨٥ - ٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٢٨٦ -
الشرقي ، علي : ٦ - ٤٦ - ٥٦ - ٥٧ -
١٢٠ - ١٣٩ - ١٦٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -
٢١٧ - ٢٢٦ - ٢٣١ - ٢٧٤ - ٢٨٦ -
الشعبية : ٨٥

الشماع ، هادي : ٢٧٦
الشهرستاني ، هبة الدين : ١٩٢
شوقي ، (احمد) : ٢٥٤
الشيرازي ، محمد تقي : ١٤٣ -

١٥٦ - ١٥٧

ص -

الصافي ، احمد = النجفي
الصافي ، محمد رضا : ١٤٢
صالح ، سعد : ١٤٦ - ١٦٢ - ١٦٣
صالح ، مهدي : ١٩١
صبري ، اسماعيل : ٢٥٤
الصدر ، محمد : ١٤٩
صدر الدين ، محمد : ١٥٨
الصرب : ٤٩ - ٦٢ - ٦٣ - ٧٥
١٢٩ -

صليوا ، داود ، ١١٨
صندل ، الشيخ (جامع) : ١٥٣
الصيدلي ، فاضل : ٢١١

عبدالله ، محمد : ٢٥٤
العبيد ، خيون : ٩٢ - ٩٣
العبيدي ، محمد حبيب : ٢٥ - ٢٦
- ٥٠ - ٩٣ - ٩٤ - ١٥٠ - ١٥١ -
١٩٢ - ٢٣٠

- غ -

غليوم : ١٠٥ - ١٢٩
غنام ، رزوق : ٢٦٣ - ٢٦٤

- ف -

فتوحى ، حكمت : ٦
الفرات : ١٥٩
فراير (اسرة) : ٦
فرنسا : ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ١٥٥
فرعون ، (فريق مزهر) : ٦
الفضلي ، شكري : ٨٩
فكتوريا (الملكة) : ١١٩
الفكيكي ، توفيق : ٢٦٣
فلسطين : ٢١٧

فيصل (الاول) : ١٧٦ - ١٨٥ -
١٨٦ - ١٨٩ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢١٦
- ٢٣٢ - ٢٥٢

- ق -

القاضي ، مصطفى عبد الجبار : ٢٦٣
القاهرة : ١٧٦
قبرص : ٧٩ - ٢١٦

الغداري ، حسن : ٣٢ - ٣٥
العريسي ، عبدالغني : ٢٤
غزام ، حسن : ١٤٤
الغزتي ، الأنسة ساجدة : ٦
العسكري ، بكر صدقي : ١٨٨
العسكري ، تحسين : ٥٠ - ٧٩
العسكري ، سليمان : ٨٥ - ٨٦
عصبة الامم : ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٥

- ٢١٥ - ٢١٦ - ٢٢٥
القطار ، يوسف : ٢٥٢
العظم ، حقي : ٢٣ - ٢٤
علاء الدين ، علي : ٤٣ - ٤٤
العلاف ، عبدالكريم : ١٥١ - ١٥٢
- ٢٣٠

العلم (جمعية) : ١٣٩
العوادي ، قاطع : ١٨٩
علوان ، السيد نور السيد : ١٩٣
علي (الملك) : ٢٥٢
علي ، مصطفى : ٦ - ٣١ - ٤٦ - ١٠٧
- ٢٦٣
العمارة : ٢٧٦

كمال الدين ، حسين : ٢١١-٢٧٦

كنه ، عبدالمجيد : ١٥٦

الكوت : ٢٨ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٩ -

١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤

الكوفة : ١٦٠

كوكس ، برسي : ١١٧ - ١٥٥

١٦٦ - ١٧٥ - ١٨٣ - ١٨٤

الكويت : ١٦٢

كون ، داود : ٦

كوكس (جون) ٦

الكيلاني ، رشيد عالي : ١٨٨-٢١٧

كيوم (الفرد) : ٦

الكيلاني ، عبدالرحمن = النقيب

القحطانية (جمعية) : ١٣٩

القره غول (محلة) ٢٨

القره غولي ، عبدالستار : ٦

القيسي ، احمد ناجي : ٦

القرنة : ٨٤

القزويني ، خضر : ٢٣٠

القشطيني ، ناجي : ١٥١-١٥٣-

٢٣٠

ققطان ، حمزة : ١٩٢ - ١٩٨

قفقاسيا : ٨٤

- ك -

كاشف الغطاء ، محمد حسين : ٥٧

- ٥٩ -

الكاظمية : ٢٩

الكاظمي ، عبدالمحسن : ٣٦-٤٢-

٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨

الكاظمي ، محمد حسن الحداد :

١٥١

كامل ، حسين : ٩٠

كراين : ٢٠٦ - ٢١٤

كربلاء : ١٥٦

الكرخ : ١١٩ - ١٥٣

الكرخي ، الملا عبود : ٢٦٣-٢٦٥

الكرملي ، انستاس : ١١٥

كلايتون ، كلبرت : ٢٢٧

لندن : ٦٢ - ٩٦ - ١٠١ - ١١٨ -

٢٢٨

لولا بوغاز (معركة) : ٦٤

- م -

مارشال (قائد) ٦٤

المؤيد ، شفيق : ١٣٩

المبعوثان (مجلس) : ٣٥

التأسيس (المجلس) : ١٨٦ -

١٩٣-١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧

١٩٨ -

محمد (ص) : ٢٥ - ٤٨ - ٦٥-

- ٢٢٣ : الملا ، عبدالمجيد
 ١٣٩ : المنتدى الادبي
 ٣٤ : المهدي ، القائم
 مود ، ستانلي : ١٠٦ - ١١٥ -
 ١١٩ - ١٢٠
 موسى (النبي) : ٢٢٦
 الموصل : ١٧ - ١٠٦ - ١٣٩ -
 ١٤٠ - ١٨٦ - ١٩٩
 الموصل ، محمد حبيب = العيادي
 الموصل ، ملا عثمان : ١٥١
 مولود ، الآنسة فكتوريا : ٦
 ميسلون (معركة) : ١٧٦
 - ن -
 النائب ، عبدالوهاب : ١٤٩
 النادي العربي : ٥٠
 ناظم باشا : ١٣ - ١٩ - ٦٤ - ١٤٠
 ٢٥٩ -
 النبي = محمد (ص)
 النجار ، سليم : ١٣٩
 النجدي ، سليمان الدخيل : ١٤٠
 النجف : ١٧ - ٢٩ - ٣٢ - ٥٩ -
 ٩١ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٨
 النجفي ، احمد الصافي : ١٤٦ -
 ٢٢٠ - ٢٤٩ - ٢٦٢ - ٢٧٣ - ٢٧٦
 ٢٧٧ -
 ٩٩ - ١٤٧ - ٢٢٢ - ٢٥١ - ٢٥٤ -
 ٢٦٢
 محمد رشاد (السلطان) : ٢٢ -
 ٢٨ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٩ - ٦٢ - ٦٣ -
 ١٠٠ - ١٠٢
 محمد علي بك : ٩٦
 المحمودية : ١٧٣
 المختار ، توفيق : ١٥٣
 المدائن : ٩٦
 مدحت باشا : ١٧
 المدرس ، جميل : ٢٦٣
 المدرس ، فهمي : ١٤٠ - ٢٢٠
 مراکش : ٥٥
 مشتاق ، طالب : ١٤٨
 المشخاب : ١٧٣
 مصر : ١٩ - ٣٦ - ٥٠ - ٥٢ -
 ٥٤ - ٥٥ - ٦٨ - ٧٩ - ٩٠ - ١٣٨ -
 ١٣٩ - ٢٥١ -
 المصري ، عزيز : ٤٩ - ١٣٩
 مصطفى كمال باشا : ٤٩ - ١٠٦
 المظفري ، محمد رضا : ٢٧٦
 المغول : ١١٣
 مقدونيا : ٦٢
 الملاح ، محمود : ٢٠٤ - ٢٠٧ -
 ٢١٨ - ٢٣٠
 الملا ، عبدالحسين : ٢٢٠ - ٢٢٢

١٢٢ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٨ - ٢١٢

- ٢٥٢ - ٢٥٥

هولاكو : ١١٥

الهويدر : ٢١٢

- و -

وارنر ، دورين : ٢٦٨

الواعظ ، مصطفى : ٢٥٧

الوطني العراقي (حزب) : ١٨٥

- ٢٠٩ - ٢١٧ - ٢١٨

ولسن ١٤٣ - ١٥٦

وهج ، حسين الحاج : ٢٧٦

- ي -

اليابان : ١٢٦

الياسرى ، علوان : ١٨٩

اليقوي ، محمد علي : ٢٩ - ٨٠ -

٩٧ - ١٠١ - ٢٣٠

يكن ، ولي الدين يكن : ١٤

يلدز : ٣٩ - ٤٠ - ٤١

اليمن : ٤٩

يوسف باشا : ٣٩

اليونان : ٤٩ - ٦٢ - ٧٩

التنجفي ، محمد طاهر السماوى =
السماوى

نصرة ، كمال : ٢٣٠

نظيف ، سليمان : ٣١ - ١٠٧

النقشبندى ، سعيد : ١٤٩

النقيب ، طالب : ١٣٩ - ١٤١

النقيب ، (عبدالرحمن) : ١١٧ - ١٧٥

النهضة العراقية (حزب) : ١٨٥

نور الدين باشا : ٩٦

الثاني ، محمد حسين : ١٨٦

- ه -

الهاشمي ، رشيد : ٨٩

الهاشمي ، عبدالرزاق : ١٤٨ -

١٤٩ - ١٥١

الهاشمي ، محمد : ٢٨٥

الهاشمي ، ياسين : ١٩٥ - ٢١٣

- ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٢٢

هاملتون (قائد) : ٧٩

هناجم : ١٤٢ - ١٧٠ - ١٧٥

الهند : ١٤٢ - ١٧٠ - ١٧٥

الهنداوي ، خيري : ٣٣ - ٦٩ -

to Britain from the League of Nations. This was felt by all Iraqis to be a great burden and they struggled to get rid of it. The poetry of this period is full of words concerning this situation. We find mandate, advisory, parliament, foreign, freedom, independence, struggle, etc. All these words sum up the situation of Iraq in this period, which meaning we did not find in any previous period of Iraq's political history. We notice in that period that many poets appeared. This means that the mandate and occupation urged their spirit and sentiments to express themselves against the occupation.

The Fifth section dealt with a completely different field where we discussed the problem of social life in Iraq, such as the conditions of the peasantry, the emancipation of women, the poverty in the nation and the influence of all these factors on Iraqi poetry at that time. I described the part taken by every poet of the period and I have made researche into this problem and the amount of development which Iraq achieved under Ottoman time until the Second World War.

I have tried to be a historian and to expose all the influences which have combined in Iraqi poetry throughout the first half of the 20th Century.

Yusif 'Izz - al - Din

justice and progress within their country. They attacked the policy of Abdul Hamid, symbol of oppression, but they were disappointed when the Committee of Union and Progress took power and gave bad treatment to the Arabs. The tune of their happiness turned to sadness. In that period we saw the beginning of the Arab nationalised movement. Committees and parties were established demanding rights for their country and the result was the Arab revolution.

In the second section we dealt with the influence of the First World War and the change of the current of the nation's thoughts. They started to ask for independence and the British Occupation had a great influence on this current of thought.

Iraqi poetry described the great battles of the World War and mentioned the famous leaders and their battles.

I dealt in the Third section with the struggle between the Iraqi people and the British government. The British rulers wanted to make Iraq answerable to the Government of India, while Iraq wished for complete independence and the gap widened the British officials' cruel treatment of the Iraqis, especially by means of military force. Therefore, Iraqi poetry in this interval took the form of a national competition to spread enthusiasm against foreigners and that led up to the Iraq revolt of 1920, which led to sacrifices of wealth and blood on both sides.

This revolution shocked the Iraqi spirit and changed its ideas and content, even though the revolution did not succeed. The main result was the coming of King Faisal I to Iraq and the start of a new parliamentary rule. We found that poetry was full of words urging the people against foreign occupation. The poets did not care to select words and develop style, they merely urged their people to fight against the British occupation.

In the fourth section, it is shown that the Iraqis struggle for independence peacefully by delegations.

A treaty resulted which placed Iraq under Mandate

CONCLUSION.

I dealt in previous sections with the Social and Political Life in Iraq and its influence on Arabic poetry, giving a glimpse of the life and thought in each section as I covered the whole period.

We noted in the first section the confusion in public life pervaded as it was by corruption. Security, justice and education were lacking. Bribery of officials was rife; government influence inside and outside the major cities was considerable; the women did not take part in the general social life. These circumstances led to a period of decay in the Ottoman Empire. This decay had a great influence on Arabic poetry; in ideas, aim, style, meaning and vocabulary. The poetry served the Ruler and was not concerned with the nation because the rich gave money to poets only if they praised them.

Nationalism was not widespread and the tendency at that time was towards Islam because the Ruler gave his active support to it and this was the only link between the ruler and subject. They called anyone not believing in Islam an infidel. We found this tendency in the wars declared by the government against its enemies, for example the Balkan Wars, the Dardanelles and Tripolitania War.

Hope increased in the hearts of the Iraqis when the Ottoman Constitution was promulgated in 1908, for freedom, equality,

CONTENTS

Preface

Page

3

FIRST SECTION

(Iraqi Poetry during Ottoman Period)

I	The Social Problems	13
II	Islamic Tendencies	21
III	The Ottoman Constitution	32
IV	The War of the Ottoman Government	48

Second Section

(The Influence of the First World War)

I	The Important Battles	75
II	The Events of Iraq	83
III	The British Occupation	115
IV	Peace and War	121

Third Section

(Iraqi Revolt)

I	The Causes of the Revolt	137
II	Prelude of the Revolt	146
III	The End of the Revolt	155
IV	The Throne of Iraq	175

Fourth Section

(Iraq Political Problems)

I	Brief Survey of History of Iraq	183
II	The Mandate and its Influence	189
III	The Treaties and Politicians	197
IV	Al Sa'dun and his Influence on Iraqi Poetry	225

Fifth Section

(The Social Problems and the Influence on the Iraqi Poetry)

I	The Influence of Occupation	241
II	The Emancipation of the Women	250
III	The Rural Problems	267

MODERN IRAQI POETRY

THE INFLUENCE OF THE POLITICAL AND SOCIAL TRENDS

Dr. Yousif Izzidien

(B.A., M.A., PH.D.)

Faculty of Arts University of Baghdad

MODERN IRAQI POETRY

*THE INFLUENCE OF THE
POLITICAL AND SOCIAL TRENDS*

Dr. Yousif Izzidien

(B.A., M.A., PH.D.)

Faculty of Arts University of Baghdad

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

